

بقلم
محمد بن حامد الناصر

مكتبة الكوثر
الرياض

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م

مكتبة الكوثر
للنشر والتوزيع

حي الفلاح - مقابل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
(بوابة ٣) هاتف: ٢٧٥٣٦٦٢ - فاكس: ٢٩٣١٦٩١



مقدمة

إن الحمـد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنـا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هـادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلـم، وعلى من اتبع طريقهم إلى يوم الدين.

وبعـد: فإن هذا الكـتاب: "المـدرسـة العـصرانيـة في نزعـتهـا المادية"، جاء متممًا لكتابنا السـابق" العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريـب".

ذلك أن هذا التـوجـه العصـراني أشـد خطـرًا من العلمانيـة لأن الأول يتلبس بلبـوس الإسـلام، والعلمـانيـة ظاهـرٌ انحـرافـهـا، بيّنٌ بعـدها عن الدين.

• وأعيـد إلى الأذهان: " أن العصـرانية حركـة تجديد واسـعة، نشطت في داخل الأديان الكبـرى: " اليهـودية والنصرانيـة والإسلام أيضًا" وقد عرفت في الفكر الديني الغربي بهذا الإسم.

• والعصرانية هي أي وجهة نظر في الـدين، مبينة على الاعتقاد، بأن التقدم العلمي والثـقافة المعاصرة، يستلزمـان إعادة تأويل التعاليم

الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة"[١].

• **فالعصرانيون** اعتمدوا منهج التفكير الفلسفي العقلي وكانت القيمة الأساسية فيه للعقل كمصدر للمعرفة.

ويعتمد المذهب العقلي على تفسير كل شيء في الوجود من خلال العقل.. ويتعامل أصحاب هذا المنهج مع النصوص الشرعية عن طريق التأويل، وفقًا لمعطيات العقول مع تقديم العقل على النقل.

• **أما المدرسة العصرانية ذات النزعة المادية:**

فقد أضاف روادها إلى الانحرافات السابقة انحرافات جديدة، إذ اعتمدوا منهج التفكير المادي "الوضعي" الذي ينظر إلى العالم الخارجي، باعتباره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة، وأن هذه الحقيقة الموضوعية ذات وجود مستقل عن الإنسان.

وفي المنهج المادي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية بإلغاء دلالتها: والحصول على المعرفة من مصادر وضعية مثل: التاريخ والسير في الأرض لمعرفة: كيف بدأ الخلق؟! والاعتماد على سنن الأنفس والآفاق، والقوانين الطبيعية والاجتماعية، وإعطاء تفسير جديد

(١) ينظر تفصيلاً لذلك: العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب/ ص ٥ - ٦/ الطبعة الثانية.

لمفهوم الوحي، والقول بإلغاء النبوة.. وقد تبنوا آراء المعتزلة والقدرية في القول بالمشيئة، وكذلك الإيمان بنظرية داروين والمذهب الوضعي الفلسفي "كانت" ، وأعجبوا بالنتائج التي توصلت إليها الماركسية.

• يقول الشيخ جودت سعيد: "الوجود الخارجي: أي المادي هو الحقيقة الثابتة، التي نرجع إليها عند الاختلاف والصور الذهنية قابلة للنقصان" (كتاب اقرأ / ص٥٥) ويقول الدكتور خالص جلبي: "الواقع الخارجي والسير في الأرض هو الأساس، وليس السير في الكتاب والسُّنة ؟!! وإن الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي إلىٰ كارثة ثقافية مروعة"[(١)] ؟!!.

• ويعتبر (جودت سعيد) من أبرز دعاة هذا المذهب المادي المعاصر، فهو يدعو إليه منذ أكثر من ثلاثين سنة، من خلال الخطاب الإسلامي، في كتبه ومقالاته وندواته.

وسار علىٰ هذا الطريق (الطبيب خالص جلبي) تلميذه وزوج أخته، وتكاد تكون آراؤه رجع الصدىٰ لآراء شيخه جودت.

• وسوف نتحدث عن أبرز منطلقات هذا التيار من خلال مقارنة منهج دعاته، مع المنهج الإسلامي الذي يعتمد علىٰ الكتاب والسُّنة، كما فهمه الصحابة رضي الله عنهم، وكذا التابعون لهم خلال القرون

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠١٨٨).

الثلاثة الأولى المفضلة، وهو منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

• ومن أبرز اهتمامات الشيخ جودت وتلميذه: هو تبني منهج اللاعنف، والإعجاب بمذهب (غاندي البوذي) وهما يشتكيان ندرة المريدين، فلم يظهر من أتباعهما كاتب يستحق الذكر، ويحمل أفكارهما، ذلك لأنهما يطرحان أفكاراً تصادم الفطرة السليمة، وتتنكر لصريح النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة.

• والحقيقة أنني قد عانيت طويلاً خلال إعدادي لهذا البحث، بسبب ظلمة البدعة فيما يكتب دعاة هذه المدرسة، مع نغمة التعالم والتطاول على تاريخ المسلمين وتراثهم وحضارتهم، مما يذكرنا بأساليب الشعوبيين القدماء.

كما تتميز كتاباتهم عمومًا بالغموض والترميز، مع التكرار الممل، وكثرة اللف والدوران..

يقول الشيخ جودت سعيد نقلاً عن الدكتور محمد إقبال: "والفكرة الواحدة، كي تستوي على قدميها، تحتاج إلى ألف مقال"!!.

• وعمومًا فقد اطلعت على معظم كتابات "جودت وخالص" في كتبهما أو فيما ينشر لهما في الصحف والمجلات، وهو شيء كثير. فقد ينشر للشيخ جودت في مجلة المجلة سلسلة: لا إكراه.

ونشر للطبيب خالص جلبي مثلاً أكثر من مائتي مقالة في جريدة الرياض وحدها خلال خمس سنوات، عدا عن غيرها، كالعمود اليومي في الاقتصادية..

• وقد اقتصرت في دراستي هذه على فكر هذين الرجلين لأنه هو الأساس لهذا التوجه المادي المعاصر، وما عدا ذلك يصبح واضحًا وتابعًا، وتكرارًا متكلفًا، يستطيع القارئ أن يربط الفرع بالأصل، فعسى أن يصحو غافل، أو يتنبه مخدوع، هنا أو هناك، في أطراف الجزيرة وأنحاء الشام.

• وإنه ليؤلمني هذا العرض لنزغات فكر هذه المدرسة، رغم عدم معرفتي بأصحابها.

وكم كنت أتمنى لو تضافرت جهودنا جميعًا للبناء السليم، بدلاً من أساليب التغيير على طريقة الهدم لثوابت الأمة وقيمها الأصلية.

• ولا يسعنى هنا إلا أن أشير إلى بعض الدراسات التي تصدت لهذا التيار المادي.

أولها: الدراسة الجادة التي أصدرها الأستاذ "عادل التل"، وقد أفدت منها، وأشرت إلى ما يهمني فيها[1].

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي للأستاذ عادل التل/ ١٤١٥هـ.

وثانيها: دراسة مختصرة لم تطبع: ونشرت على شبكة الإنترنت، للشيخ سليمان الخراشي، وقد أفدت منها كذلك[١].

وثالثها: المداخلات على مكاشفات "الدكتور خالص جلبي"، نشرت في ملحق الرسالة في جريدة "المدينة"، وكان فيها الجلبي واضحًا، تحدث عن أفكاره بجرأة عجيبة، وكانت الردود كاشفة لهذه الانحرافات أيضًا[٢].

- وقد قمت بهذه الدراسة المتكاملة لمنطلقات المدرسة المادية المعاصرة، إكمالاً لما سبق، وأداء للأمانة وتحذيراً من حملات التشكيك، قبل أن يداهم أجيالنا الخطر الشديد.

- وقد حذر علماء السلف من المبتدعة وأهل الأهواء، وأنكروا عليهم مقالاتهم.

- قال ابن تيمية - رحمه الله -: «يجب الإنكار على أهل البدع ولو كانت بدعتهم بقصد حسن».

---

(١) انحرافات خالص جلبي شيخ العصرانيين في القصيم/ عام ١٤٢٢هـ موقع السلفيين.

(٢) أجرى المقابلة مشرف الرسالة «ملحق جريدة المدينة»، الأستاذ عبد العزيز القاسم في ثلاث حلقات بدأت في ٢٨/٨/ ١٤٢٣هـ.

• وقال أيضًا: «وأئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنة، فإن بيان حالهم، وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين»[١].

وقال الإمام أحمد - رحمه الله - عندما سئل عن الرجل يصوم ويصلي ويعتكف، أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟! فقال: «إذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين، وهذا أفضل».

•• وقد جاء البحث موزعًا على **مقدمة وتمهيد وخمسة أبواب**:

الفصل التمهيدي: خصص للتعريف بهذه المدرسة، وبأبرز دعاتها، مع بيان الخطوط العريضة لمنهجها وأساليبها.

الباب الأول: **الجذور الفكرية والعقدية وأبرزها: إيمانهم بنظرية داروين**.

- تبني نظريات علم الاجتماع الوضعي (المادي).
- الإعجاب بما توصلت إليه الماركسية من نتائج.
- تبني آراء الفرق المنحرفة: كالمعتزلة والقدرية.
- المفهوم البدعي لحتمية السنن في الأنفس والآفاق.

الباب الثاني: **استبعاد الأدلة الشرعية. عن طريق**:

١- القول بانتهاء النبوة وإحلال البدائل عنها. وبيان حقيقة النبوة في الإسلام.

---

(١) الفتاوى لابن تيمية: ج٢٤/ ٢٩٢، وجـ٢٨/ ٢٣١.

٢- تعطيل النصوص الشرعية بالتحريف والتأوليل.

٣- مع إنكار حد الردة ، والدفاع عن الزنادقة والمرتدين.

الباب الثالث: فتنتهم بالحضارة الغربية والانبهار بتلك الحضارة؛ وفيه:

١- الهزيمة النفسية عند دعاة هذه المدرسة.

٢- تمجيد الفلاسفة والمفكرين الغربيين.

٣- مخاطر الأخذ بمناهج الفلاسفة.

٤- الدعوة إلى تطبيق مفاهيم الغرب في حياة المسلمين.

الباب الرابع: موقفهم من الجهاد في سبيل الله. وفيه:

١- مشروعية الجهاد وأهدافه في الإسلام.

٢- التشكيك في مفهوم الجهاد وأهدافه، عند العصرانيين وأصحاب النزعة المادية.

٣- دعوة أصحاب المدرسة المادية إلى نزعه السلاح من الجيوش العربية والإسلامية.

٤- التبشير بنهاية الحروب في العالم، ومواقفهم المريبة من الاعتداءات الوحشية على ديار المسلمين، في فلسطين والعراق وأفغانستان والبوسنة - مع الدعوة للخنوع والاستسلام.

الباب الخامس: الهجوم على التاريخ الإسلامي.

١- يتميز بلهجة شعوبية حادة، وتشويه متعمد للفتوحات الإسلامية.

٢- التطاول على الصحابة والسلف، والتعريض بمقام النبوة والأنبياء!!

٣- تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة.

٤- موقف أهل السُّنَّة والجماعة من المبتدعة، وأهل الأهواء.

***

وأخيرًا: أضرع إليه تعالى أن يلهمنا الإخلاص والصواب، وأن يجنبنا الزلل والأخطاء. اللَّهم أعنّا ولا تُعن علينا، وانصرنا على أعداء الإسلام والمسلمين، فقد تكالبوا علينا من كل حدب وصوب.

ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به، وأعفُ عنها واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا، فانصرنا على القوم الكافرين.

وصلى الله على سيد المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حرر في: ٢٨/ محرم/ ١٤٢٤هـ

الموافق إلى: ٣١ آذار - مارس ٢٠٠٣م في مكة المكرمة

محمد الناصر

❁ ❁ ❁

فصل تمهيدي

تعريف بهذه المدرسة وبأبرز دعاتها

١) تعريف بالعصرانية والاتجاهات الفكرية المعاصرة.

٢) السيرة الذاتية للشيخ جودت سعيد.

٣) السيرة الذاتية للدكتور خالص جلبي.

٤) الخطوط العامة لمنهج هذه المدرسة.

٥) هجة التعالم والتطاول عند أصحاب هذا الاتجاه.



«١» تعريف بالعصرانية والاتجاهات الفكرية المعاصرة

كنا قد ذكرنا في كتابنا "العصرانيون" أن العصرانية "حركة تجديد واسعة، نشطت في داخل الأديان الكبرىٰ: اليهودية والنصرانية والإسلام أيضًا" وقد عرفت في الفكر الديني الغربي بهذا الاسم.

"والعصرانية في الدين هي أي وجهة نظر في الدين، مبنية علىٰ الاعتقاد بأن التقدم العلمي، والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية، علىٰ ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية السائدة"(١).

• وهي "الحركة التي سعت إلىٰ تطويع مبادئ الدين لقيم الحضارة الغربية ومفاهيمها، والتي هي ربيبة الثقافة اليونانية، ومن ثم إخضاع الدين لتطورات هذه الحضارة، ووجهة نظرها في شئون الحياة"(٢).

• وقد كانت حركات التحرر الديني مستهجنة داخل اليهودية والنصرانية، حتىٰ أن البابا "بيوس العاشر" قد أصدر منشورين عن

---

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد الناصر/ مكتبة الكوثر بالرياض/ ١٤٢٢هـ / ص ٥-٦.

(٢) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد / ص ٩٦- ٩٧/ دار الدعوة.

هذه الحركة عام ١٩٠٧م، وأطلق عليها اسم "العصرانية" ودمغها بالكفر والإلحاد، ووصفها بأنها "مركب جديد لكل عناصر البدع والهرطقة القديمة"، وأعلن بأنه "لو حاول إنسان أن يجمع معًا جميع الأخطاء التي وجهت ضد الإيمان، وأن يعصر في واحدة عصارتها وجوهرها كلها، لما استطاع أن يفعل ذلك بأفضل مما فعل العصرانيون"(١).

• وقد انتقلت هذه الأفكار، وتلك التيارات من الغرب إلى ديار المسلمين، منذ القرن الماضي عن طريق بعض المتغربين، فنادوا بتفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيرًا عقلانيًا، أو ماديًا وضعيًا، وحاولوا إخضاع القرآن والسُّنة للمقاييس المادية حتى تتلاءم مع قيم الحضارة الحديثة، التي بهرت كثيرًا من الذين كانوا يرونها هي المقياس الوحيد لكل نهضة وتقدم.

• **فالعصرانيون** كانوا قد اعتمدوا **منهج التفكير الفلسفي العقلي**.

وكانت القيمة الأساسية فيه للعقل كمصدر للمعرفة. ويعتمد المذهب العقلي على تفسير كل شيء في الوجود من خلال العقل،

---

(١) انظر: تكوين العقل الحديث: راندال / ج٢/ ص ٢٣٥، وكتابنا: العصرانيون/ ص ١٧٥ وما بعدها.

سواء في إثبات الشيء أو نفيه، أو تحديد معانيه.

ويتعامل أصحاب هذا المنهج مع النصوص الشرعية بطريق التأويل وفقًا لمعطيات العقل وتقديم العقل على النقل، وهذا هو منهج الفرق الضالة القديمة، كالمعتزلة والرافضة وأمثالهم، وأسلوب المدرسة العقلية المعاصرة[١].

• أما المدرسة العصرانية ذات النزعة المادية:

فقد أضاف روادها إلى الانحرافات السابقة .. خرافات جديدة، إذ اعتمدوا منهج التفكير المادي "الوضعي" ويتمثل بالاتجاه المادي، الذي ينظر إلى العالم الخارجي، باعتباره يمثل الحقيقة الكبرى الكاملة وأن هذه الحقيقة الموضوعية، ذات وجود مستقل عن وعي الإنسان.

والمذهب المادي، هو نظرية تقوم على اعتبار أن المادة هي الحقيقة الوحيدة، وأن الوجود ومظاهره، يمكن تفسيرها كمظاهر أو نتائج للمادة.

وفي المنهج المادي: يكون التعامل مع النصوص الشرعية، بإلغاء دلالتها، واعتبارها كأنها غير موجودة، والحصول على المعرفة من

---

(١) مجلة البيان: العدد (٦٣) - ذو القعدة / ١٤١٣هـ، من مقال للأستاذ عادل التل، بعنوان: أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي.

مصادر أخرىٰ مثل التاريخ والسير في الأرض، أو أحداث الكون، مما يستدعي حسب رأي أصحاب هذا المنهج - إلغاء النبوة- والاعتماد علىٰ السنن والقوانين الطبيعية والاجتماعية - بديلاً عنها:

"آيات الآفاق والأنفس" ، وإعطاء تفسير جديد لمفهوم الوحي، ومفهوم التلقي من الله، والاعتماد علىٰ قوانين تطور الطبيعة، وقوانين تطور المجتمع، وهذا هو منهج المدرسة المادية التغييرية[١] .

• ويعتبر الشيح جودت سعيد من أبرز دعاة هذا المذهب المادي، يدعو إليه منذ ثلاثين سنة، في كتبه ومقالاته من خلال الخطاب الإسلامي والدعوة الإسلامية.

وسار علىٰ طريقه الدكتور "الطبيب" خالص جلبي، تلميذه وزوج أخته.

وسوف نتحدث عن أبرز المنطلقات لأصحاب هذا الاتجاه، من خلال مقارنة منهجهم مع منهج التفكير الإسلامي "الديني" الذي يتمثل في الاعتماد علىٰ النصوص الشرعية المتمثلة بالقرآن الكريم والسُّنة النبوية، نتعامل مع هذه النصوص، بإثباتها، وكما فهمها

---

(١) مجلة البيان / العدد (٦٣) ، ذو القعدة عام / ١٤١٣هـ من مقال للأستاذ عادل التل.

الصحـابة، الذين عايشـوا التنزيل، وكمـا فهـمه التابعـون عن طريق الصـحابة، وهذا هـو منهج أهل السُّنة والجـماعـة، وطريقـة السلف الصالح، وأسلوب المدرسة التجديدية عند أهل السُّنة والجماعة[١].

***

وسوف نتـحدث في هذا الفصل الـتمهـيدي، عن السيـرة الذاتية لأقطاب هذه المدرسة، والخطوط العريضة لمنهـج أصحابها، ولهجة التعالم الحادة، التي تميزت بها كتاباتهم.

***

(١) مـجلة البيـان / العدد (٦٣) ، ذو القـعدة عـام / ١٤١٣هـ من مقـال للأستاذ عادل التل.

«٢» السيرة الذاتية للشيخ جودت سعيد

هو شيخ هذا التيار العصراني المادي، وهو المنظّر لأتباعه، ولد في قرية (بئر عجم) التابعة لمحافظة القنيطرة في الجولان المحتل بسوريا، عام ١٣٥٠هـ - ١٩٣١م.

وهو من أصل شركسي، هاجر ذووه من الاتحاد السوفييتي فرارًا من الممارسات الوحشية في تلك البقاع.

يعيش الآن ما بين دمشق وبئر عجم، ويسمح له بإلقاء الدروس في منزله، وبالندوات التلفزيونية، وإلقاء المحاضرات في المراكز الثقافية.

• كان الشيخ قد درس في الأزهر، فأكمل دراسته الجامعية حتى تخرج من كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر.

وتفرغ للعمل الفكري بعد عودته إلى سوريا، وقدم العديد من الكتب والدراسات، عرض أفكاره من خلالها منذ أواخر الخمسينيات ولايزال.

وجعل لكتبه شعارًا متميزًا هو: "أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع"[1].

---

(١) ينظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي، الأستاذ عادل التل (ص ٦٨-٦٩)، دار البينة للنشر والتوزيع/ ١٤١٥هـ. والسيرة الذاتية =

• وقد جعل شعاره عن منهجه الحركي منذ البداية "فردية - سلمية - علنية" وهو بذلك يستنكر قيام الدعوة بناء على العمل الجماعي، ولكن الواقع يشهد خلاف ذلك، فهو يقيم تجمعًا فكريًا كبيرًا، وعملاً منظمًا مستمرًا، ويحاول أن يتزعم المدرسة المادية التغييرية، وأن يكون رائدها في العالم الإسلامي بلا منازع، ولايقل دوره في هذا الشأن عن الدور الذي كان يمارسه جمال الدين الأفغاني[1].

• وأبرز كتب الشيخ جودت سعيد.

١- مذهب ابن آدم الأول.

٢- حتى يغيروا ما بأنفسهم.

٣- العمل قدرة وإرادة.

٤- الإنسان حين يكون كلاً وعدلاً.

٥- اقرأ وربك الأكرم.

٦- فقدان التوازن الاجتماعي.

• كما أصدر منشورات دورية، وهي عبارة عن رسائل "انظروا"

= لجودت سعيد: إعداد غطفان القادري، مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات، العدد التاسع، بيروت شتاء عام /١٩٩٦م، ص ٢٤.

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٦٩، عادل التل.

صدر منها حتىٰ عام / ١٩٩٥م، ما يقارب ثمانين عددًا، وقد اشترك في إعدادها مجموعة من أتباعه، أذكر منهم أخته "ليلىٰ سعيد" وزوجها "خالص جلبي" وموسىٰ الجناطي وغيرهم[١].

• • بدأ الشيخ جودت يدعو إلىٰ الفكر الفلسفي بعد عودته من دراسته في الأزهر، بينما كان قد بدأ العمل الإسلامي، ونشط في طرح الأفكار الإسلامية في سوريا قبل سفره إلىٰ مصر، ثم صار - بعد عودته - يعارض الحركة الإسلامية في أصول منهجها، من خلال طرح شعارات، تدعو إلىٰ ممارسة الأسلوب العلني في الدعوة، والأسلوب الفردي مقابل العمل الجماعي، والأسلوب السلمي في المواجهة[٢].

• التطور الفكري لدىٰ جودت سعيد.

الحقيقة أن عمل الشيخ جودت يشوبه الغموض، بسبب التأثيرات الفكرية التي مر بها.

فقد كان ينهل من معين المدرسة العقلية، ومن أفكار (جمال الدين الأفغاني) وتلميذه (الشيخ محمد عبده)، إذ كان يعتبرهما رواد النهضة في الشرق.

---

(١) المرجع السابق/ ص ٦٨ - ٦٩ .

(٢) النزعة المادية في العمل الإسلامي، ص (٢٧١-٢٧٢).

تأثر بالأفغـاني في إحدىٰ مراحـل حـياته، وكان لـمالك بن بني تأثيـر علىٰ جـودت سعيـد في مرحلة من مـراحل حـياته أيضًـا، ثم تجـاوزه إلىٰ مراحل أبعـد في الاعتـقاد، وانتقل إلىٰ أفكـار: "كانت وداروِن وتوينبـي ورسـل ومـاركس وأمـثالهم... وتـأثر بنظـرياتهم وآرائهـم"[1].

• وعندما سئل الشيخ جودت عن مصدر أفكاره، وهل اعتمد علىٰ أفكار مالك بن بني وحده، أم استفاد من غـيره أجاب: "استفدت من توينبي وغوته وفاوست"[2].

وعمـومًا يلاحظ تأثره بالفكر الفلسـفي الوضعي في أواخر حـياته سواء في كتبه أو مقالاته.

• ويعتبر الشيخ جودت سعيد، أبرز دعاة مذهب السلم ونبذ ما يسميه "العنف".

وقـد خصص لذلك جل كـتبـه ومقـالاته، وعلىٰ رأسهـا كتـابه المشهور بـ: "مذهب ابن آدم الأول".

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٧.

(٢) من مـقال لجـودت سعـيد: نشـر في مجلة العـالم، وصحـيفـة اللواء الأردنية، (وفاوست: رواية فلسفية كتبها غوته).

وقـد اقتـبس هذا المـذهب من أفكار (مـالك بن بني) ومـذهب "غـاندي البـوذي" ويرى أن هذا المـذهـب "مـذهب السلم" ، هو الأنجح في حل قضـايانا، وتحقيق أهدافنا، بخلاف غـيره، ولو كان الجهاد في سبيل الله!!

• ويرىٰ أن **"الوحي والنبوة" قد انتهىٰ دورهما** !! وآن لـنـا أن نستبـدل ذلك بقراءة التاريخ والسنن الكونية، وأن الكتـاب والسُّنَّة مما يزيدنا فرقة واختلافًا، ولذلك نجـده يحرف المعاني الشرعية، ويؤول الآيات القرآنية بما يخدم أفكاره.

ويصر الشيخ جـودت علىٰ تمجيد الفلاسـفة، وتعظيم أفكارهم، أمثال: سقراط وغاندي وماركس وغيرهم[١].

• وحينمـا سئل الشـيخ جودت: ما السـبيل إلىٰ توحـيد المـسلمين والعاملين للإسلام ؟! أجاب: "إني قد أشرت في بعض كتبي أن الجواب التقليدي هو قولهم بالعودة إلىٰ الكتاب والسُّنَّة والسلف الصالح، لكن هذا الجواب لم يعد كـافيًا علىٰ وضعه التقليـدي ولكي يصدق هذا الجواب، ويكتسب فاعليته العملية، لا بد من أن يكتشف المسلمون وغير المسلمين

(١) ينظر: انحـرافات خالص جلبي، إعـداد سليمـان الخراشي، (ص ٨) ، شبكة الإنترنت، موقع السلفيين.

منهجًا لفهم الكتاب والسُّنة، وكل التراث الإنساني"[١].

• فإذا لم يكنْ الكتاب والسُّنة كافيين، فما المنهج المقترح لدى الشيخ الجليل؟!.

قال عليه الصلاة والسلام: "**(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسُّنة رسوله)**[٢].

• وإنه لموقف محير هذا الذي يتحدث عنه الشيخ جودت، مما لفت نظر الأستاذ عادل التل في كتابه "النزعة المادية" ودفع الأستاذ محمد بيومي معلقًا بقوله: " بعد التفكير الطويل والحيرة الشديدة، فيما كتبه الأخ عادل التل عن الشيخ جودت سعيد وأفكاره، لم أجد لذلك إلا هذا التفسير: إن موقفه هذا قد حصل - والله أعلم - لأن جذور الرجل الفكرية، ليست موصولة بالتربية الفكرية الصافية لأهل السُّنة والجماعة، بل هي موصولة بخليط من التربية والأفكار الأخرى الغريبة على الفكر السني، تعلي من قيمة العقل، إلى حد يجاوز

(١) كتاب اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ص ٢٢٤.

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ ، باب النهي عن القول بالقدر بلاغًا، وقال الأرناؤوط في جامع الأصول (١/ ٢٧٧) ، يشهد له حديث ابن عباس عند الحاكم (١/ ٩٣) بسند حسن فيتقوى به.

حدوده التي رسمها الشرع"[١].

• وممّنْ تأثر بهم الشيخ جودت سعيد تأثرًا قويًا : الدكتور محمد إقبال، في كثير من آرائه الفلسفية، وخاصة قوله: بفكرة انتهاء النبوة.

كما تأثر بمدرسة أحمد خان الفكرية: فقد كان أحمد خان أول من سعى بشكل منظم لتطويع الإسلام للحضارة الغربية، وسعى للتعايش مع الإنجليز، وقدم لهم المساعدات في مواجهة أبناء المسلمين في الهند، ويرى أن الجهاد لا يكون إلا للدفاع عن النفس فقط.

وقد نادى بالاعتماد على القرآن وحده، واستبعد العمل بالأحاديث النبوية، كما دعا إلى تأويل القرآن تأويلاً حديثًا يتناسب مع قوانين الطبيعة.

وكان لا يعتبر الوحي أمرًا خارقًا، ويفسر وجود الإنسان على الأرض من خلال نظرية داروين[٢].

• **وعمومًا تتلخص دعوة الشيخ جودت سعيد:**

في أنه يدعو إلى تكوين مجتمع متحضر، على طريقة الغربيين

---

(١) مجلة البيان ، العدد (٦٥) ص ١٠٤ ، من مقال الأستاذ/ محمد بيومي.

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي / ص ٧٣، وانظر: كتابنا (العصرانيون) / ص ٧٥ - ٨٢.

اعـتمـادًا على مـعطيات العلوم الإنـسانيـة "علم النفس والاجـتمـاع خاصة"، ومعطيـات التكنولوجيا والاختراعات المتـقدمة، وفهم آيات الأنفس والآفاق[١].

• ويصر الشيخ جـودت سعيد على التـغيير السنني خارج شـمولية الإسلام وعدله، ونتساءل عن الأهداف المرجوة من تلك الدعوة، فلا نجد سعيًا لتحكيم شرع الله، ولا تأكـيدًا على تحقيق صفاء العبادة لله سبحانه، على أسس التوحيـد والإيمان، ولا دعوة واضحة إلى الخلق القويم المنبثق عن العقيدة السليمة.

فما البديل المقترح عند أصحاب هذه المدرسة؟!.

سنرى أن البـدائل تتلـخص في دعـوتهم إلى الدولة العـالمـيـة، والديمقراطيـة على الطريقة الغربية العلمـانية.. يريدون ذلك الإنسان بلا هوية، الإنسان المتحضر، صاحب الأناقة - كما يزعمون-[٢].

***

---

(١) انظر تفصيلاً لهذه الموضوعات في الأبواب القادمة.

(٢) ينظر: الباب الثالث "الفصل الثالث" من هذا الكتاب.

«٣» الدكتور خالص جلبي

هو الطبيب خالص مجيب جلبي كنجو، من مواليد مدينة القامشلي في شمال شرقي سوريا، ولد عام / ١٩٤٥م، وتخرج من كلية الطب في جامعة دمشق، وسافر إلى ألمانيا " "الغربية" وحصل على الزمالة الألمانية "تخصص جراحة" عام / ١٩٨٢م، وهو يعمل حاليًا في مستشفى الملك فهد التخصصي في القصيم[١].

• عاد الطبيب متأثرًا بالفكر الغربي تأثرًا شديدًا، ومتعلقًا بفلاسفة الغرب وحضارته المادية، حتى أنه انبرى لشتم تراث بلاده وحضارة قومه، وصار يتطاول على الثوابت الإسلامية، شأنه في ذلك شأن شيخه "جودت سعيد" بل يكاد يكون "الدكتور خالص" رجْع الصدى لشيخه، وهو لا يخفي هذا الأمر، بل يفخر به باستمرار، وهاهو يهدي كتابه الأول "النقد الذاتي" إليه قائلاً: "إلى أخي المفكر جودت سعيد، فهو الذي غرس النبتات الأولى لهذا الاتجاه عندي"[٢].

---

(١) ينظر: انحرافات خالص جلبي شيخ العصرانيين في القصيم، إعداد الشيخ سليمان الخراشي، شبكة الإنترنت/ موقع السلفيين ١٤٢٢هـ/ ص ٦.

(٢) النقد الذاتي: د. خالص جلبي/ ص ٧.

• ويحدثنا الدكتور خالص عن نشأته بقوله: لم تكن بيئتي بيئة دينية، فقد نشأت ولم يكن والدي يؤدي الصلاة، ولا حتى صلاة الجمعة، ولم يسبق لي أن رأيته يفتح المصحف، أو أي كتاب آخر.

بيتنا لم يكن فيه علم ولا حتى تشجيع للعلم، كنت أشتري بعض القصص من مكتبة قرب دكان والدي "وعمري ثماني سنوات"، وما زالت عالقة في ذهني من تلك الأيام مسرحيات شكسبير؟!.

لقد نشأت في بيئة عربية مخلوطة بالتركية، والدي عربي من ماردين في تركيا، ووالدة والدتي تركية من مدينة "سامسون" على البحر الأسود، أما والدتي فولدت في دمشق، تحسن القراءة والكتابة بالتركية، ولا تحسن اللغة العربية، وتحسن الضرب على العود، ولعل منها نشأ حبي للموسيقى، ففي بيتي موسيقى لغات العالم أجمع تقريبًا، من الشرق والغرب.

وفي قناعتي أن كارثة أصابت الشرق بعدم تطوير الفن، ويجب أن نطور فرقًا موسيقية، كما فعل الإيرانيون، فأبدعوا في إنتاج موسيقى إسلامية هادفة[١].

---

(١) مقابلة معه في ملحق الرسالة بجريدة المدينة، أجراها: عبد العزيز محمد قاسم، الحلقة الأولى، بتاريخ ٢٨/ شعبان/ ١٤٢٣هـ.

• ثم يتحدث عن مدينة القامشلي، بلد النشأة بقوله: "نحن فيها مزيج عجيب، وبها خليط غير معقول من الناس، يتحدثون ثماني لغات، وفيها كل الديانات تقريبًا، وفيها كل الطوائف المسيحية، وفيها كل التيارات الفكرية من قوميين وعلمانيين وشيوعيين، وبعثيين ومتصوفة...

وكان هذا التنوع ضمن شرانق تتبادل الكراهية المبطنة والريبة"[(١)].

• هذا وإن القارئ يستشف أن البيئة المتناقضة التي نشأ فيها "خالص" أفرزت فكره بدءًا من سيرة والده، الذي لم يصل أو يصوم... أو سلوك والدته التي لا تحسن اللغة العربية، وتعزف على العود، حتى نشأ محبًا للموسيقى[(٢)].

ويتجاهل الدكتور (جلبي) أبسط تعاليم الإسلام في حرمة الموسيقى الوترية بشكل خاص، ويتنكر للأحاديث الصحيحة الواردة في هذا الموضوع.

***

• ويتابع الطبيب خالص شيخه "جودت سعيد" في معظم أفكاره، وعلى رأسها "الدعوة إلى مذهب السلم" الذي استحوذ على معظم

---

(١) السابق/ الحلقة الأولى أيضًا / خالص جلبي.

(٢) ملحق الرسالة في ٢٤/٩/١٤٢٢هـ، من مداخلة أسامة الحازمي.

كتاباته، وذلك لقربه من الشيخ جودت، فهو زوج أخته، ولأنه اتخذ من العمل السري، ومبدأ العنف تجربة له في مطلع حياته، فلما سجن ونكل به، انقلب إلى الضد من ذلك كردة فعل شديدة، وتطرف نحو الجهة المقابلة، بل قاده ذلك إلى تقبل " الآخر" والدفاع عن معتقداته وحريته في نشر تلك المعتقدات، مهما كانت، بدعوى حرية الحوار، وقبول الآراء المختلفة[١].

•• يقول الدكتور خالص جلبي، متحدثًا عن ظروف نشأة هذه الفكرة وتاريخها: "منذ ظروف المعتقل عام / ١٩٧٤م، مازال هذا البحث ينمو عندي ويترسخ. . . ".

وفي ربيع عام/ ١٩٧٣م، تعرضت لاعتقال دام (٢٥٠ يومًا) كنت أتساءل عن سر هذه اللعبة بين الجلاد والضحية. . . ومن ثم أمسكت بمفتاح هذه المصيبة "العمل السري" ثم بمفتاح المصيبة الثانية "العمل المسلح" فالمفتاح الثالث ويتمثل في "التنظيم" . . .

وقد كثرت الانهيارات العصبية في جو السرية، وكان لها نتائج خطيرة[٢].

(١) انحرافات خالص جلبي: سليمان الخراشي/ ص ٩، وص ١٩-٢٥.

(٢) سيكولوجية العنف: للدكتور خالص جلبي/ ص ٢٢-٢٤/ بإيجاز.

• **وللدكتور خالص مؤلفات عديدة من أبرزها: -**

١- الطب في محراب الإيمان.

٢- النقد الذاتي.

٣- سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي.

٤- جدلية القوة والفكر والتاريخ.

٥- الزلزال العراقي: صدر حديثًا خلال طباعة هذا الكتاب ولا يختلف عن أبحاث كتبه السابقة.

• وله مقالات كثيرة في الصحف والمجلات المتنوعة، وأبرز هذه الصحف هي: ((الرياض والشرق الأوسط والاقتصادية)) يقول: "مع مقالتي هذه في (٢٢/ ٣/ ١٤١٩هـ) ، أكون قد كتبت "٢٠٠ مقالة" لجريدة الرياض، على مدار خمس سنوات، والمقالة أسبوعية.

ثم يقول: (هذه المقالات غطت فروعًا معرفية، اقتربت من ثلاثين حقلاً معرفيًا، من الفيزياء النووية، إلى البيولوجيا والثورة العلمية الحديثة، ومدارس علم النفس الحديثة. . .)[1].

***

(١) جريدة الرياض: رقم (١٠٩٧٩) ، في ٢٢/ ٣/ ١٤١٩هـ.

« ٤ » الخطوط العامة لمنهج هذه المدرسة

إن تيار المدرسة المادية يمثله عدد من الكتاب أمثال:

الشيخ جودت سعيد، والدكتور خالص جلبي، وسبقهما إلى ذلك، الدكتور محمد إقبال، والسير أحمد خان في الهند. ويمثل هؤلاء تيارًا خاصًا له خطوطه العريضة، ويجمع بينهم خط عام مشترك نوجزه فيما يأتي:-

١- التزامهم بالمناهج الفلسفية، واعتمادهم على نظرية دارون، ثم محاولتهم إدخال ما يسمى "بالعلوم الإنسانية" في العقائد الإسلامية، من خلال شعار "أسلمة العلوم الإنسانية"، واعتماد مقررات علماء الاجتماع والنفس والفلسفة، كنتائج مقبولة، وتفسير النصوص الشرعية من خلالها.

٢- يغلب على هؤلاء الكتاب : محاولتهم الفصل بين القرآن والسُّنة، بالأسلوب الذي يضع السُّنة في موضع الشك والاتهام، ثم محاولاتهم الجادة في التحريف والتعطيل لآيات القرآن، وللأحاديث الصحيحة.

٣- تبنيهم لمنهج المعتزلة، وآراء فرقة القدرية خاصة، ومذهب الاختيار مقابل مذهب الجبر. مع اعتمادهم أساليب الجدل

المعروف في التاريخ الإسلامي بعلم الكلام[1].

٤- تبنيهم لمنج اللاعنف، الذي يوصل إلى تعطيل مفهوم الجهاد المسلح، وإلغاء تسليح الجيوش العربية، مع الدعوة إلى السلم الموهوم، وتربية الاستسلام والخنوع[2].

• وسوف نتحدث عن كتابات الشيخ جودت، وتلميذه الطبيب خالص، في هذه الدراسة، لأنهما يمثلان قطبي المدرسة العصرانية بنزعتها المادية...

وهما يشتكيان ندرة المريدين، لأنهما يطرحان أفكارًا تصادم الفكرة وتتنكر للنصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة، ولم يظهر من أتباعهما كاتب يستحق الذكر ويحمل أفكار هذه المدرسة.

• وتتميز كتاباتهما عمومًا بالغموض واللف والدوران حول الفكرة الواحدة، ويتسم أسلوبهما بوعورة الأفكار وتعقيد الأساليب، ونغمة التعالم وازدراء الآخرين، مع التكرار الممل عشرات المرات وليس من مجيب.

(١) ينظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ٧٠ - ٧٥ للأستاذ عادل التل.

(٢) سوف نتحدث عن هذا الموضوع في الباب الرابع إن شاء الله.

يقول جودت سعيد: يقول محمد إقبال: "والفكرة الواحدة كي تستوي على قدميها، تحتاج إلى ألف مقال"..؟![١]

ويقول الشيخ جودت أيضًا: "أجدني في أحيان كثيرة في حيرة، وإن كان هذا يمكن أن يرد إلى عدم تمكني من الموضوع، كيف سأقنع الشباب بأسلوب علمي جديد ؟!".[٢]

ولعل هذا من نعمة الله ورحمته بعباده، حتى لا ينتشر الفكر البدعي بين المسلمين على نطاق واسع.

***

(١) مذهب ابن آدم الأول: جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت عام/ ١٤١٤هـ.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد، ص ٢٢٧-٢٢٨.

« ٥ » لهجة التعالم والتطاول عند دعاة هذه المدرسة

يتميز العصرانيون عمومًا بالتعالم وبتسفيه آراء الآخرين، واستخدام الإرهاب الفكري في إلغاء الرأي المخالف، بحيث لا يصح عندهم إلا ما يرونه صحيحًا.

وكلما كان المخالف أكثر اتباعًا للسلف، ومناديًا بشمولية الإسلام، كان عداؤهم له أشد، والتطاول عليه أعتى.

وقد وصل سوء أدبهم إلى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فكالوا لهم من النقد والتجريح، ما يستحى من ذكره إجلالاً لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والغريب في الأمر أن هذه السمة ليست جديدة، وإنما هي قديمة في سلفهم المتقدمين، من رؤوس المعتزلة كعمرو بن عبيد والنظام وأمثالهم[١].

• قال عمرو بن النصر: سئل عمرو بن عبيد عن شيء، وأنا موجود عنده فأجاب فيه، فقلت له: ليس هكذا قول أصحابنا، قال:

---

(١) فاستقم كما أمرت: للشيخ عبد العزيز الجليل، ص ١٩٥-١٩٧ بإيجاز، دار طيبة/ الرياض عام / ١٤٢٣هـ.

ومن أصحابك لا أبا لك؟! فقلت: أيوب ويونس وابن عون والتيمي. قال: "أولئك أنجاس أرجاس، أموات غير أحياء"[١].

• والمتابع لكتابات جودت وتلميذه خالص، يجد الكثير من أقوالهما يفيض بكيل التهم، والتطاول والتعالم على الآخرين.

• وفيما يأتي نذكر نماذج فقط للتعالم والتطاول عند الشيخ جودت سعيد أولاً، ثم نذكر نماذج أخرى للدكتور خالص جلبي. يقول الشيخ جودت: "فالذين ليس لهم بصر بسنن التاريخ، وكيف بدأ الخلق، يصابون بالحيرة واليأس، واختلاط الدنس بالمقدس، والعلم بالجهل ، والشرف بالوضاعة، والأمانة بالخيانة والعمالة"[٢]

• وعندما يتحدث عن رجال الفكر من المسلمين، يتهمهم بأبشع الصفات، يقول: "في الواقع، إننا نفقد رجال الفكر والمتطلعين إلى أن يكونوا رجال فكر، وإنهم من الضآلة بحيث لا يشكلون تياراً فكرياً يتأثر به قطاع عريض من الناس، بل إننا نفقد الذين يعلمون، كيف يصبح الرجل، رجل فكر !!"[٣].

---

(١) الاعتصام للشاطبي، ج ١/ ٢٩٥، تحقيق سليم الهلالي.

(٢) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد ، ص ٣٨.

(٣) العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد ، ص ١١٧.

• ويستمر الشيخ الملهم، في مهاجـمة علماء المسلمين واتهامهم بالتخلف، والجهل بفهم الكتـاب والسُّنة، فكأنه هو الوحيد الذي فتح الله عليه بالإلهام والعبقرية، انظر إلى أقواله التالية:-

"ومن المؤسف أن يكون الموجهـون الذين يمثلون حلقة الوصل بين المبـدعـين والسـواد الأعظـم، لا يزالون يحـملون كل عـوامل التـخلف التي قادت العـالم الإسـلامي إلى العصـر الذي يمـثل فيـه المسـلمون "القصعة"[1].

"والذي يحول دون استفادة المسلمين من سنن التغيير وتطبيقاتها، أن الذين يبحثون هذه الأمور ويمارسونها - إن كان هناك من يمارسها لايستطيـعون ربطها بمبـرراتها من كتاب الله وسُّنة رسـوله، وذلك إما لجهلهم بالكتـاب والسُّنة، أو لاعتقادهم أن هذه السنن لا يعـترف بها القرآن ولا السُّنة"[2].

• انظر إليه وهو يتحـدث بلهجة شعوبيـة حادة، متهمًـا المسلمين بالذل والهوان، في قوله: "وكذلك نحن عالة مستكبرون، لا نظن أن أحدًا يملك شـيئًا مـن الحق له قيمـة، ونحن عندنا الحق كله. ومع

---

(١) العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد ،ص ٢٥٦.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد/ ص ١٦٢.

ذلك لا نستطيع أن نخفي ذلتنا وهواننا، وهذا الهوان الفاضح، هو الزاد الوحيد الآن، لنجعل المسلم ينتبه(١).

• فالمسلمون متخلفون - عند الشيخ ـــ يعيشون خارج التاريخ. يقول: "لقد عاشت الإنسانية مرحلة ما قبل الزراعة عصر الصناعة، فعصر المعلومات، إلا أننا نحن المسلمين ما زلنا نعيش خارج التاريخ، لم نولد بعد، فأنى لنا الدخول في عصر الصناعة، بل عصر المعلومات ؟!!"(٢).

• وتتكرر هذه النغمة السقيمة في كتابات الشيخ وكتابات مريده (الطبيب خالص جلبي)، متناسيين ما قدم المسلمون للعالم كله من فكر وحضارة وعلم، حينما كان العالم يعيش على فتات حضارتنا، ولكن المنهزمين والمفتونين بحضارة التيه والضياع لا يفقهون.

• أما الدكتور خالص جلبي، فالتعالم عنده أشد، والتطاول لديه أقسى.

"تجده في أكثر مقالاته، يوغل في ممارسة العنف القولي، والعنف التأليفي والصحفي، ولكن ضد الأمة وعلمائها، ودعاتها

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد/ ص ١٧٥.

(٢) مذهب ابن أدم الأول: جودت سعيد، ص ٢١.

ومفكريها، وضد جملة من حدودها وضوابطها ومنهجيتها.

وهو يتلذذ بهذا العنف يمارسه بأحادية مطلقة[١]، وفي (المكاشفات) ما يدل على ذلك"[٢].

• خذ نماذج (تدل على ما تقدم) من أقواله:-

"لا أدري إن كنتم تعرفون مقدار المسافة بالسنة الضوئية".

"هل تظنون أن أحدكم إذا همهم ودمدم في المسجد، واكتفى بذلك عبد الله ؟!".

"الفكر الإسلامي كسيح، ويحتاج للعكازات دومًا".

"أنتم لم تفهموا ما يريد الأنبياء ولا العلم"[٣].

• ويقول جلبي متطاولاً مفاخرًا بعلمه: "نوعيه.... الغذاء الأدبي الذي أتناوله دسمة، الشرق الأوسط أعطيها أهمية خاصة،

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة: د. سعيد بن ناصر الغامدي، في ١٠/٩/١٤٢٢هـ.

(٢) المكاشفات تعني المقابلة التي أجراها مشرف ملحق الرسالة، في ثلاث حلقات، ابتداء من ٢٨/ شعبان/ ١٤٢٢هـ وحتى ١٠/ رمضان/ ١٤٢٢هـ.

(٣) ملحق الرسالة: د. سعيد بن ناصر الغامدي في مداخلة في ١٠/٩/١٤٢٢هـ.

لأنها دولية. . . أما جريدة المدينة فهي محلية، وأجد فيها بعض الالتزام(؟!)، لذلك ألجأ إلى استعمال الأسيد لإزالة هذا الالتزام؟! وأستخدم الأصباغ والأملاح، ولي خطة للتعامل معكم مدتها عشر سنوات"[1].

• وعندما سئل عن نظرية داروين قال:

"مرة أخرى أتعجب منكم وأنا أتحدث لكم عن الأنثروبولوجيا ومثلي بينكم مثل الصيني الذي يريد أن يتحدث بالعربية. . ومرة أخرى أجدني عاجزًا عن الشرح لكم، لأن ما قاله داروين كان عام / ١٨٥٩، ونحن الآن على عتبة عام /٢٠٠٣م، ولكننا حتى اليوم، لسنا في مستوى مناقشة عام / ١٨٣٥، مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم ؟! إن العلم قفز قرنًا ونصف متجاوزًا دارون ونحن لم نقترب من دارون، كل عام وأنتم بخير"[2].

• وهكذا يستمر الدكتور العلامة؟! بالتعالي على محاوره وعلى القراء جميعًا، وبالتعالم أيضًا، وعهدنا بالعلماء المسلمين، أنهم

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، الحلقة الثالثة، في ١٠/ رمضان/ ١٤٢٢هـ.

(٢) ملحق الرسالة: في ١٠/ رمضان/ ١٤٢٢هـ، الحلقة الثالثة.

متواضعون أتقياء أخفياء، أما رائحة الفلسفة الإلحادية، ونزعة الاعتزال والفرق الضالة، فتأبى إلا أن تصدم القراء المسلمين بسوئها وعفونتها.

• انظر إلى قوله عندما سئل عن العلم: "كنت قد طرحت أن العلم حق للجنس البشري، مالم يستطع تحقيقه الأنبياء على مدى العصور... والتقدم الذي حققه الجنس البشري اليوم كان بواسطة العلم، وبذلك تم تدشين موعظة الأنبياء بقاعدة علمية لأول مرة في تاريخ الجنس البشري.

ولما سأله محاوره : هلاّ وضحت لنا ما قصدت يا دكتور ؟! أجاب : مرة أخرى أنتم لم تفهموا ما يريده الأنبياء، ولا العلم، والأمور مختلطة عليكم، وقضية السلم قضية جوهرية نادى بها الأنبياء ولكن الكثيرين يرون أن القتل سيد الحلول" ؟!![1]

• أما الكتابات الإسلامية، فلها شأن آخر عند الدكتور خالص، عندما يقول:

"إن الكتابات الإسلامية، حتى الوقت الحاضر، لم تتسم تمامًا بروح العلمية والموضوعية، والأدمغة الناضجة في محيطنا

---

(١) ملحق الرسالة: في ١٠/ رمضان/ ١٤٢٢هـ، الحلقة الثالثة.

الإسلامي قليلة"[١].

•• ويبدو أن لوثة التطاول والتعالم، تسري في عروق كل المريدين لهذا التيار المادي، ولو كانت بضاعتهم من العلم قليلة.

فهذا بحث بعنوان: "الإنسان كلاً وعدلاً"، قدمته السيدة (ليلى سعيد)، أخت الشيخ جودت، وزوجة الطبيب خالص جلبي، وهو بحث صغير متواضع، قدمته السيدة ليلى سعيد، ووافق أخوها جودت أن ينشر باسمه، ويذكر الشيخ في مقدمة هذا الكتاب أنه كان يولي أخواته اهتمامه، ليشاركن في قضية تخلف المسلمين"[٢].

• وفي خاتمة الكتاب، تقول السيدة ليلى:

"هذه الأفكار التي سجلتها هنا، تكونت لدي أثناء حياة موجهة مليئة بالخبرات والبحوث، عشتها مع أخي فسجلتها، لاعتقادي أن هذه الأفكار، تفيد وتسهم في إنارة الطريق لمستقبل الحركة الإسلامية.

كان أخي يعلق عليّ الأمل في أن أكون مسلمة فعّالة... كان أول ما يرسم، وأول ما يخطط هو دوري ومهمتي في هذه الأعمال، كان

---

(١) كتاب النقد الذاتي: خالص جلبي/ ص ٢١٧.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب الإنسان كلاً وعدلاً، للشيخ جودت سعيد، (ص ١١)، نشر دار الفكر المعاصر / بيروت/ ١٩٩٢م.

ينظر إليّ، كأني الشطر الثاني من عمله.

وأعتبر أن هذا الأمل، الذي كان في نفسه، هو نسمة الحياة الأولىٰ التي تنعش كياني، حيث لم تكن تهب مثل هذه النسمة، فيما أعلم في مجتمعنا علىٰ نظيراتي، وهذه مشكلة أساسية في مجتمعنا[١].

•• يبدو أن إظهار الذات، والأنا المتعالية، من أبرز سمات هذه المدرسة.

فأين التواضع، أين هي لهجة التناصح وإنكار الذات ؟! كيف يقبل القراء كتابة من يشتمهم ويشتم تاريخهم، ويشوه حضارتهم، ويتهمهم بالتخلف والغفلة والجهل ؟! بلهجة حادة وانفعال عجيب؟!.

أخي القارئ ! معذرة إن حملتك علىٰ قراءة ما يغيظك، فلقد عانيت من ذلك سنة كاملة، وأنا أقرأ وأتابع هذا الفكر في مظانه المختلفة، لأن تبيان الحق أمانة، علينا أن نؤديها بما أوتينا من قوة وتجشمنا من صعاب.

❁ ❁ ❁

---

(١) الإنسان كلاً وعدلاً: الخاتمة، بقلم ليلىٰ سعيد/ ص ٦١-٦٢.

الباب الأول

الجذور الفكرية والعقدية للمدرسة العصرانية ونزعتها المادية

الفصل الأول : الإيمان بنظرية النشوء والارتقاء "نظرية دارون" .

الفصل الثاني : تبني نظريات علم الاجتماع الوضعي .

الفصل الثالث : الإعجاب بما توصلت إليه الماركسية من نتائج .

الفصل الرابع : تبني آراء الفرق المنحرفة كالمعتزلة والقدرية .

الفصل الخامس : القول بحتمية السنن في الأنفس والآفاق .



الجذور الفكرية والعقدية
لأتباع المدرسة العصرانية بنزعتها المادية

تمهيد:

لقد تفنن أصحاب المدرسة العصرانية في إثارة المشكلات وتضخيم أزمة الفكر تحت شعار أزمة العقل، وبحجة تخلف المسلمين، فركزوا على الحلول الجزئية التي تقوم على منهج التغيير المادي، فاستبعدوا الحلول الشاملة التي تعتمد على إعادة العمل بالكتاب والسُّنة.

كما حث هؤلاء الأمة للقيام "بأسلمة المعرفة" من خلال أسلمة العلوم الإنسانية، كعلم الاجتماع الوضعي، والاهتمام بعلم النفس والإشادة بـ "فرويد" اليهودي الأصل وبنظرياته في هذا الميدان.

وينطلق أصحاب هذه النزعة من منهج تفكير حسي تحت شعار الراية الإسلامية، ويلحون على تبني النظريات العلمية الغربية، دون النظر إلى الظروف التي أدت إلى الصراع بين العلم ورجال الكنيسة في تلك الديار، حيث جحدت أوروبا خالقها، وأحلت محله تأكيد العلم والتجربة، ومظاهر الطبيعة المحسوسة، وبدأ بعض المتغربين هذا الانحراف باسم اقتباس العلوم الغربية، وباسم التقدم الحضاري

المزعوم، وألهت أوروبا التجربة الحسية، وكفرت بكل عوالم الغيب وما وراء المحسوس"[(١)].

فكان أصحاب المدرسة العصرانية المادية من أكبر دعاة هذا الاتجاه.

• يقول الشيخ جودت سعيد: "الوجود الخارجي أي المادي، هو الحقيقة الثابتة، التي نرجع إليها عند الاختلاف، والصور الذهنية قابلة للنقصان"[(٢)].

ويقول الدكتور خالص جلبي: "الواقع الخارجي والسير في الأرض هو الأساس، وليس السير في الكتاب والسُّنة ... وإن الاستغناء بالكتاب عن الواقع هو الذي قاد العالم الإسلامي، إلى كارثة ثقافية مروعة"[(٣)].

• بينما يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم:

﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، الأستاذ محمد قطب، ص ٦٢٧-٦٣٠، دار الشروق / ١٤٠٣هـ.

(٢) كتاب أقرأ وربك الأكرم : جودت سعيد / ص٥٥.

(٣) جريدة الرياض ، خالص جلبي، العدد (١٠١٨٨) في ١٦/ ٥/ ١٩٩٦م.

• لقد جعل دعاة المدرسة المادية، المذاهب الغربية هي مصادر الإلهام والمعرفة لديهم، فتبنوا نظرية داروين، ومذهب الاجتماع الوضعي المادي، واستلهموا الماركسية معجبين بالنتائج التي توصلت إليها.

وقالوا بحتمية السنن في الأنفس والآفاق، وتبنوا آراء القدرية في المشيئة، وهذا ما سوف نتحدث عنه في هذا الباب.

❁ ❁ ❁

الفصل الأول

إيمانهم بنظرية دارون حول النشوء والارتقاء

١) تمهيد حول التعريف بالنظرية وانحرافاتها.

٢) جهود جودت وخالص لتقريب هذه النظرية إلى المسلمين تحت شعار العلم.

٣) أصل الحياة البشرية: بين النظرة المادية ونصوص الشرع الحنيف.

٤) مناقضتها لأصول التفسير عند علمائنا الثقات: القرطبي وابن جرير الطبري وسيد قطب.

٥) ملاحظات ونتائج على ضوء أقوال العلماء السابقة.



« ١ » تمهيد : التعريف بالنظرية وانحرافاتها

• نظرية دارون، نظرية خطيرة، تناقض العلم الصحيح، وتتنكر للأديان السماوية، فهي تعتمد على "أن أصل الحياة خلية، كانت في مستنقع أو بحر، قبل ملايين السنين، ثم تطورت هذه الخلية، ومرت بمراحل عديدة منها: مرحلة القرد الذي تطور ليكون منه هذا الإنسان، وهذه العملية كلها من فعل الطبيعة.

ويعتبر دارون: " أن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حد لقدرتها على الخلق" .

وقال أيضًا: "إن الطبيعة تخبط خبط عشواء" .

• وقد وقف كثير من العلماء يعارضونه ويندوون بأقواله، وهذه النظرية بصرف النظر عن صحتها، أو عدم صحتها من الوجهة العلمية البحتة، لم يكن من الحتم أن تصاغ هكذا، لولا ذلك الصراع القديم بين الكنيسة والعلماء، والذي استمر إلى عهد داروين ومابعده، وجعل العلماء يتعمدون تجريح الدين ورجاله انتقامًا مما فعلته الكنيسة من قبل، كما جعل أوروبا تهرب من إله الكنيسة، وتضع "الطبيعة" إلهًا بدلاً منه.

وقد وجدت اليهودية في (دارون) فرصة سانحة لتقويض عقائد

"الأمميين" وإزالة ما بقي من أثر للدين في حياة الناس[١].

• فحين يكون الإنسان حيوانًا، أو امتدادًا لسلسلة التطور الحيواني، فأين مكان العقيدة في تركيبه، وأين مكان الأخلاق، وأين مكان التقاليد الفكرية والروحية والاجتماعية ؟!"[٢].

***

(١) ينظر : مذاهب فكرية معاصرة : الأستاذ محمد قطب، (ص ٩٦-٩٧).

(٢) مذاهب فكرية معاصرة : الأستاذ محمد قطب/ ص ٩٨ .

« ٢ » جهود الشيخ جودت وخالص جلبي لتقريب هذه النظرية إلىٰ المسلمين تحت شعار العلم

تعتبر نظرية التطور أحد أركان النظرية الماركسية، وإحدىٰ دعائم دعوة علماء الاجتماع الوضعيين، أمثال: (كانت ونيتشة وسبنسر وآخرين).

وهي عندهم أساس عملية التغيير الاجتماعي.

وقد رفض العالم الإسلامي نظرية التطور هذه، لأن دارون وضع تصوراً غريبًا لنشوء الحياة، وقال: إنها كانت في الماء ثم علىٰ اليابسة، ثم وجد الإنسان، وأن أصل الإنسان من إحدىٰ فصائل الحيوان "القرد".

• وقد بذل جودت سعيد وخالص جلبي جهوداً مضنية في كتاباتهم لتقريب نظرية التطور هذه إلىٰ المسلمين تحت شعار العلمية[١].

يقول الدكتور خالص جلبي: "لقد فتح دارون الطريق لمعرفة سر الحياة، وأصل الإنسان بشكل عام، وهذا بدوره شق الطريق إلىٰ مجموعات جديدة من فضاءات المعرفة... لقد تركت الداروينية بصماتها علىٰ الفكر الإنساني من خلال علم الاجتماع، علىٰ الشكل

(١) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي ص ١٨٥.

الذي طوره البريطاني "سبنسر"[١].

• ويعتبر الدكتور "خالص جلبي" أن دارون أحد العباقرة في العالم، وأنه أنجز "١١٩" مقالة، ومثله في العبقرية فرويد وباخ وآخرون[٢].

• وعندما سئل عن مدى قناعته بنظرية دارون قال: "أتعجب منكم، وأنا أتحدث لكم في علم "الأنثروبولوجيا" فمثلي ومثلكم كالأخرس الذي يريد أن ينقل عن آخر مهمة الكلام... ونحن حتى اليوم لسنا في مستوى مناقشة عام / ١٨٥٣م (حينما طرح دارون نظريته) مثل طالب الحضانة الذي تقرأ على رأسه فيزياء الكم ؟!"[٣].

فجلبي يزعم أن المسلمين إلى اليوم، ليسوا في مستوى مناقشة مقولة دارون.

***

• وكان الشيخ جودت سعيد- ومايزال - من أكبر المبشرين بنظرية دارون هذه. فهو يستغرب من العالم الإسلامي رفضه لنظرية دارون، ويستنكر عدم قبوله لها، ويعنف المسلمين، الذين ترسخت في

---

(١) جريدة الرياض ، العدد (١٠٤٠٥) ٩/٨/١٤١٧هـ

(٢) المصدر السابق، العدد (١٠٦٠١) في ٢٨/٢/١٤١٨هـ.

(٣) ملحق الرسالة ، ضمن المقابلة التي أجراها مشرف الرسالة مع جلبي ابتداء من ٢٨/٨/١٤٢٢هـ ، في ثلاث حلقات.

أذهانهم فكرة معينة لنشوء الخلق "من خلال الوقوف عند حرفية النصوص المقدسة - كتابًا وسُنّة- وليس من خلال السير في الأرض، فأهملوا فكرة نشوء الخلق، ولم يلتفتوا إلى الآية الواضحة، التي تحدد مصدر معرفة: كيف بدأ الخلق من السير في الأرض.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

• ويقول أيضًا: "إنني لم أجد عند المسلمين بحثًا واحدًا أدخل هذه الآية، على أنها متصلة بهذا الموضوع"(١).

• ويكرر هذا المعنى بلهجة المتعالم، عندما يقول:

"ولكن عدد الذين فهموا آيات الآفاق والأنفس قليل، بل أستطيع أن أقول: ليس في العام الإسلامي رجل واحد رائد في فهم آيات الآفاق والأنفس، وكل الذين يكتشفون اليوم ، آيات الآفاق والأنفس، هم من غير العالم الإسلامي !!!

والمسلم إن اجتهد في فهم ذلك فمبلغه أن يستشهد بأقوالهم، ليدعم وجهة نظره، وإنما يحدث هذا في الوقت الذي يتوقف فيه المجتمع عن التفكير"(٢).

---

(١) كتاب: أقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد/ (ص ١٥٣-١٥٤) ، دار الفكر المعاصر - بيروت / ١٤١٥هـ.

(٢) العمل قدرة وإرادة : جودت سعيد / ص ٢٥٩

«٣» أصل الحياة البشرية:
بين نصوص الشرع والنظرة المادية

لمعرفة أصل الحياة البشرية، يرى الشيخ جودت سؤال التاريخ والسير في الأرض، والتنقيب خلال الآثار والحفريات، يقول في رسالة له:

"إن الذي اطلع على كثير من تاريخ البشر في أنهم كانوا يرفضون أموراً ثم يقرون بها... وأن المسلمين يقفون من التاريخ موقفًا سلبيًا، ولا يعترفون بالتاريخ العام، وإنما بتاريخهم فقط، ولا يأخذ تاريخهم حجمه الحقيقي سلبًا وإيجابًا، إلا إذا نظروا إليه من خلال التاريخ العام"[١].

• وإنه لأمر غريب حقًا أن يلح "الشيخ جودت" على التلقي من التاريخ العام للبشرية، واعتباره مصدراً للمعرفة، وذلك يعني التخلي عن حقائق القرآن وإهمالها...

والمقصود بالتاريخ العام، هو المراحل التي مرت بها المجتمعات البشرية، والانتقال من المرحلة البدائية المشاعة، إلى مرحلة التنظيم،

(١) رسالة انظروا ، رقم (٤٠)، اللغة والواقع، لجودت سعيد / ص ١٠.

ومن مرحلة الصيد إلىٰ مرحلة الرعي، ثم إلىٰ مرحلة الزراعة، وتقسيم العصور التي مرت علىٰ الأرض، إلىٰ عصر حجري وآخر برونزي، وغير ذلك من التصنيفات، التي وضعها أصحاب المنهج المادي.

إن سلوك هؤلاء يمثل خروجًا علىٰ النصوص الشرعية، وتعطيلاً لآيات القرآن التي تتحدث عن بدء الخلق، خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض[١].

• ويعتمد هؤلاء الماديون علىٰ تفسير مغلوط، وفهم منحرف للآية الكريمة: "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق". فيزعم الشيخ (جودت) أن هذه الآية إنما تحتوي علىٰ منهج محدد للبحث، يشمل جوانب الحياة المادية وغير المادية، والموضوع يشمل كل الكائنات، من الذرة وما دونها في الصغر، إلىٰ المجرة، بل وعموم الكون[٢].

• إن هذه الآراء تخالف حقائق القرآن عن نشأة البشرية ووحدة أصلها.

- وتخالف أصول التفسير لآيات القرآن لدىٰ علمائنا الثقات.

- وتخالف حقائق العلم الموضوعية بعيدًا عن الهوىٰ والتبعية.

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل، ص ١٨٧ وص ١٨٨.
(٢) كتاب أقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ص ٢٠٩.

• **فمن الحقائق المهمة أن آدم عليه السلام هو أول البشر.**

وأن الله خلقه من طين، يقول جل من قائل:

- ﴿**خَلَقَ الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (١٤) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٥)**﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥].

- وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)**﴾ [آل عمران: ٥٩].

فالله سبحانه وتعالى، يصف لنا في كتابه: كيف خلق الإنسان بتفصيل دقيق، فكيف نتخلى عن هذا العلم الصادر من لدن حكيم عليم، ونتلقى الأمر من أدعياء العلم والحفريات، أتباع دارون من اليهود والنصارى ومشركي العالم ؟!!

• ومن الحقائق المهمة، معرفة أن آدم عليه السلام، هو أول البشرية، وأنه "نبي مكلّم من الله سبحانه وتعالى"[١].

خلقه الله في الجنة، وأهبطه إلى الأرض لحكمة أرادها سبحانه، وقد خلقه الله في أحسن صورة، وزوده بالعقل والتفكير، مع ما تفضل به عليه من الوحي، الذي يوضح له الأحكام والتشريعات، ومنهج الحياة.

---

(١) مشكاة المصابيح، حديث (٥٧٣٧) رواه الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

فآدم عليه السلام كان نبيًا يوحى إليه، فهل يعقل أن أبا البشر، أو أحد أبنائه وأحفاده المؤمنين بالله ، كان يمشي عريانًا، كما يدعي أصحاب نظرية التطور ؟! يقول سبحانه وتعالى: "يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسًا يواري سوءاتكم وريشًا، ولباس التقوى ذلك خير، ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون" .

• • فالمصدر الذي تستقى منه المعلومات عند الإنسان الأول هو القرآن الكريم، هو المصدر الحق والصحيح الذي لا مرية فيه[١] .

• إلا أن الشيخ جودت سعيد، يصر على مناقضة كتاب الله تعالى، وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم: " وأن نظرية دارون زلزال، حدث بسبب توصل العلماء إلى معلومات جديدة عن نشأة الحياة على الأرض، وذلك بواسطة الحفريات، وأن هذه المعلومات تختلف عن المعلومات، التي كان الناس يحصلون عليها عن طريق الوحي من السماء !!.

فالآثار العظيمة التي كشفها الناس في أثيوبيا، تدل على الهيكل العظمي "لوسا" منذ ثلاثة ملايين أو أربعة ملايين سنة، لأن الحجر

---

(١) المدخل إلى علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي، (ص ٢٧، و ص ٤١) ، دار الوطن بالرياض / ١٤٢٣هـ.

يتكلم بهذا، وبعلم لا ينكره أحد، فإذا بهذا العالم بدأ يأخذ معلومات من واقعه، وكان الناس قبل ذلك يأخذون المعلومات بطريق الوحي من السماء"[١].

• فلماذا لم يظهر هذا المعنى إلا لجودت سعيد وأصحابه، ولماذا لم يقل بهذا الرأي، أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ولماذا لم يفسر أهل العلم آية "قل سيروا في الأرض. . ." بالمعنى الذي توصل إليه جودت.

كيف يدرك دارون أهمية معرفة كيف بدأ الخلق، ثم يسيح في الأرض، ويقوم بالحفريات والتقاط الآثار، ليصل إلى تصور غريب لنشأة الحياة، وكيف وجد الإنسان، وكيف تطور من مرحلة إلى أخرى ؟![٢].

• فالشيخ جودت يعتمد هنا على معلومات علماء الاجتماع في موضوع خلق آدم عليه السلام، دون النظر في الحقائق القرآنية الواضحة، ولا يمل التكرار الممل، وترديد أقوال سادته هؤلاء:

---

(١) ندوة السويداء في شريط مسجل، بصوت جودت سعيد، خلال الندوة، نقلاً عن الأستاذ عادل التل في كتابه: النزعة المادية / ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي / ص ١٨٩

"إن الكون قبل عشرة آلاف سنة، كان الإنسان يعيش في الكهف، كان يمشي علىٰ قدميه فقط، وعندما ننظر كيف بدأ خلقه ضعيفاً، تطارده الحيوانات، ليتغذوا به، وهو يطاردها ليتغذىٰ بها، وأن هذا الإنسان كان عريانًا... وكيف أن آخر المخلوقات كان أرقاها، والآن استطاع أن يفهم، وصار مصيره في يده"(١).

• فكيف تكون الحفريات، ونظريات التطور وبدء الخلق، التي قال بها بعض الأوروبيين، وخالفهم فيها آخرون حجة شرعية في نسخ مفاهيم قرآنية، وأحاديث نبوية صحيحة، عن بدء الخلق، لا سيّما وأن آدم عليه السلام خلق من تراب، وليس من مخلوقات دنيا، فكيف تكون هذه النظريات مقنعة وناسخة للمفاهيم الشرعية، بحجة فهم مغلوط لآية: "انظروا كيف بدأ الخلق".

• ويقول الدكتور خالص جلبي، معلقًا علىٰ آية "السير في الأرض من سورة العنكبوت" بقوله: "هذه الآية من سورة العنكبوت، عملاقة في المحور الذي تخطه للفكر، فالأمر هنا هو السير في الأرض، وليس السير في الكتاب، أي قراءة الواقع، وليس قراءة النصوص، والظن بأن الاستغناء بالكتاب عن الواقع، هو الذي قاد

---

(١) ندوة تلفزيونية في دمشق، بالاشتراك مع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة، والنظر هنا لمعرفة أصول الأشياء فإذا لم تعرف بداياتها، لم يعرف تطورها على وجه الدقة، فنحن أمام تدشين فكر فلسفي جدلي نقدي صارم"[١].

• ويصر جودت سعيد وأتباعه، على ضرورة إعادة النظر في كل ما نراه من حيث كيف بدأ الخلق، وأن الآية "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" تتضمن كل شيء يمكن أن يدرسه الإنسان، حتى ما يتعلق بطريقة الإيمان بالله"[٢].

• فمجرد إعادة البحث في نشأة الإنسان، ومفهوم الإيمان، يعني رفض العقيدة القائمة عند المسلمين، منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن.

"اللَّهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب".

• ولننظر في أصول التفسير لدى علمائنا الثقات، فيما يتعلق بتفسير آية "قل سيروا في الأرض..." لنرى مقدار الانحراف والتعطيل لمعاني هذه الآية الكريمة كما فهمها السلف الصالح.

---

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠١٨٨) تاريخ ١٦/٥/١٩٩٦م.

(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢١٠.

• «٤» **أصول التفسير** تناقض ما ذهب إليه **الماديون** في نظرية دارون وإن أولى الناس بتقديم التفسير المناسب هم العلماء الذين تشهد لهم الأمة بالثقة والعدالة والعلم، والذين يتعاملون مع النصوص الشرعية من خلال المنهج الشرعي وقد اعتاد جودت سعيد (وخالص جلبي كذلك) أن يأخذ الآية التي يريد أن يستشهد بها من السياق، ويفصلها عما قبلها وعما بعدها، ثم يفسرها دون النظر إلى موقعها من السياق[١].

• لقد جاء نص الآية في قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾**﴾ [العنكبوت: ١٩ – ٢٠].

• **قال القرطبي** – رحمه الله –: "أولم يروا كيف يبديء الله الثمار فتحيا ثم تفنى، ثم يعيدها أبدًا، وكذلك سائر الحيوان، أي فإذا رأيتم قدرته على الإبداء والإيجاد، فهو القادر على الإعادة". ثم يقول: "قل لهم يا محمد، سيروا في الأرض، "فانظروا كيف بدأ الخلق" على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم، واختلاف ألسنتهم وألوانهم وطبائعهم، انظروا إلى مساكن القرون الماضية وديارهم وآثارهم،

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ١٩٠.

كيف أهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرته"[(١)].

• **وقال الإمام محمد بن جرير الطبري** - رحمه الله -

"أولم يروا كيف يستأنف الله خلق الأشياء، طفلاً صغيراً ثم غلامًا يافعًا ثم رجلاً، ثم كهلاً ... ثم يعيده من بعد فنائه وبلاه كما بدأه أول مرة خلقًا جديدًا بالبعث بعد الموت".

وقال أيضًا: "يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد للمنكرين للبعث بعد الموت، الجاحدين الثواب والعقاب: " سيروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ الله الأشياء، وكيف أنشأها وأحدثها، وكما أوجدها وأحدثها ابتداء، فلم يتعذر عليه إحداثها مبدئًا، فكذلك لا يتعذر عليه إنشاؤها معيدًا ... "[(٢)].

• **ويقول سيد قطب** - رحمه الله -: "إنه خطاب لكل منكر لله ولقائه، خطاب دليله هذا الكون، ومجاله السماء والأرض على طريقة القرآن، في اتخاذ الكون كله معرضًا لآيات الإيمان ودلائله، وإنهم ليرون كيف يبديء الله الخلق، يرونه في النبتة النامية، وفي البيضة والجنين، وفي كل ما لم يكن ثم يكون، مما

---

(١) تفسير القرطبي، ج ١٣/٣٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ج ٢٠/ ١٣٨.

لا تملك قدرة البشر مجتمعين ومنفردين أن يخلقوه، وإن سر الحياة وحده لمعجز. . . "[١].

ويقول أيضًا: "ثم يدعوهم "لكل منكر لله ولقائه" إلى السير في الأرض وتتبع صنع الله وآياته في الخلق والإنشاء، في الجامد والحي سواء، ليدركوا كيف تبدأ الحياة في النبات والحيوان والإنسان في كل مكان ويكون السير في الأرض لتنبيه الحواس والمشاعر برؤية المشاهد الجديدة، ودعوتها للتأمل والتدبر في آثار قدرة الله على إنشاء الحياة"[٢].

«٥» فمن خلال أقوال العلماء السابقة يتبين لنا الملاحظات التالية:-

١- أن المخاطبين بهذه الآيات، هم الملحدون بآيات الله والمنكرون للبعث بعد الموت، والخطاب دعوة للتفكير بمخلوقات الله الدالة على قدرته والاعتبار بالعاقبة، كقوله تعالى: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ** ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: ٦٩].

فالآية بعيدة كل البعد عن التمحل والتكلف الذي يريده جودت سعيد.

• والآيات في لفت النظر إلى هلاك الأمم الكافرة والمكذبين

(١) في ظلال القرآن: ج ٥ / ٢٧٢٩.
(٢) في ظلال القرآن: ج ٥ / ٢٧٢٩.

بآيات الله كثيرة قال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠، ١١].

وقوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [محمد: ٨ - ١٠].

• وقوله تعالى: ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الروم: ٤٢].

• فالآيات الكريمة توجه أنظار الخلق ليعتبروا بما آلت إليه أحوال الأمم الكافرة بعد قوة ومنعة، ثم دمر الله عليهم ديارهم فما ترى إلا آثارهم، قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [غافر: ٨٢].

٢- إن المخاطبين بالآية التي استشهد بها (جودت سعيد) من سورة

العنكبوت هم المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم وعدم ذكر كلمة "قل" من أول الآية، جاء لإشعار القارئ بأن الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم غير مشمولين بهذا الخطاب على الخصوص.

٣- كأن (جودت سعيد وأصحابه) يوجهون الاتهام للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالجهالة والغفلة عن هذه الآية، وعدم حرصهم على معرفة كيف بدأ الخلق، ولم يصلنا أن النبي ترك المدينة، وصار يبحث في الوديان أو البحار وصار ينقب عن الآثار.

ولم يقم بذلك أحد الصحابة رضي الله عنهم، وهم أعلم بمراد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي كان يعلمهم كل جزء من أمور دينهم، مهما كان صغيراً.

"كما أننا لم نسمع أن أحداً من علماء المسلمين، فسر هذه الآية بالمعنى الذي ابتدعه جودت سعيد، فهل نأخذ بقوله، أم بقول هؤلاء"[(١)].

• وجودت لا يريد الوقوف على الكتاب والسُّنة، وقد كرر هذا المعنى كثيراً في كتبه وندواته، انظر إلى قوله: "إن دلالة الكتاب، يمكن أن تلغى إلغاءً تامًا وكأنها غير موجودة، والذي سينبه المسلمين إلى هذا، ما جاء في الكتاب من الاهتمام بالتاريخ وأحوال البشر،

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ١٩٢-١٩٣ بتصرف يسير.

وحـوادث التاريخ، أي أن الذي سـيعلمـنا ليس القرآن، وإنمـا نفس حـوادث الكون والتـاريخ، فهي التي سـتـعلمنا، والمـثل على ذلك "سيروا في الأرض. . . "(١).

***

ومـهمـا حاول أصـحـاب النزعة المـادية، تعطيل آيات الكتـاب العـزيز، والعـزوف عن الهـدي النبـوي ، فـإن نظرية (دارون) تبـقى نظرية، وليـست حقـيـقة علمـية، فـقد رد علـيهـا عدد من العلمـاء الغربيين، وعلماء الداروني ـة الحديثة، وظهر عوارها وكفـرها وتفاهتها إلا عند المتعالمين في ديارنا.

• فهذا العالم الألماني "مايز مان" في عام / ١٨٨٢م قد رد عليها ودحضها منذ أكثر من مائة عام.

وهذا البـروفسـور "أندروز" رد عليهـا بقـوله: "والحقـيقـة أن المعلومـات التي بنيت عليهـا نظرية التطور، لا تفيـد ولا تستطيع أن تؤدي إلى أية نظرية "فـهي عبارة عن مـعلومات قليلة ومـتناثرة وذات فجوات كبيرة، كما أنها نظرية غامضة، وتحتمل وجوهًا عديدة".

أما المعلومـات الأكيدة في هذا الموضوع، فإنها تشـير إلى نتائج

---

(١) رسالة انظروا ، رقم (٤٠) ص٨/ جودت سعيد.

تؤدي بالباحث إلى معارضة هذه النظرية والوقوف عليها . . . " .

• " لقد تبرأ العلم من نظرية (دارون)، وأبطل الأساس الذي تقوم عليه، وقد جرى تعديل أفكار دارون مرات عديدة تحت اسم "الداروينية الحديثة" لكن المنهزمين والمبتدعة، يرفضون إلا التبعية الذليلة، وخسارة الدين والدنيا[١] .

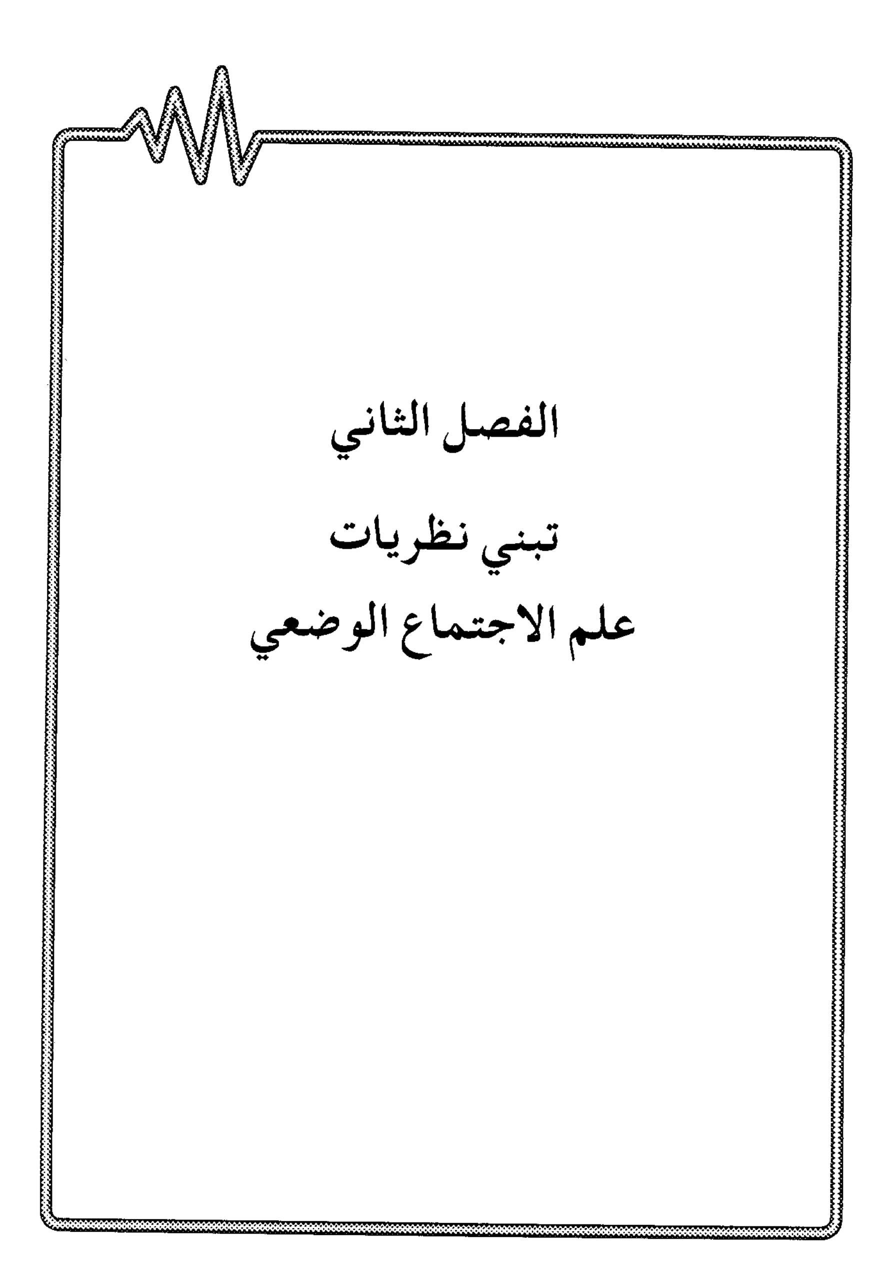
"و لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" .

❁ ❁ ❁

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي / ص ٢١٩، الأستاذ عادل التل.





الفصل الثاني

تبني نظريات
علم الاجتماع الوضعي



تبني نظريات علم الاجتماع الوضعي[(١)]

وهي من مصادر المعرفة، التي استلهمها الشيخ جودت سعيد وتلاميذه، وخاصة في موضوع مراحل التاريخ.

• وقد ظهر هذا المصطلح خلال كتابات "أوجست كانت" الذي ينسب إليه المؤرخون إنشاء علم الاجتماع الوضعي - المادي - في أوروبا.

وهو عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي، عاش ما بين (١٧٩٨ - ١٨٥٧) ويعتبر مؤسس الفلسفة الوضعية.

• وإذا عرفنا فكر (كانت) الوضعي، سنعرف أفكار الشيخ جودت سعيد، وسيلاحظ القاريء مدى مطابقتها لما يقوله (أوجست كانت).

• يقرر (كانت) وجود قاعدتين، كي يفهم الناس ظواهر الاجتماع: -

أ - أن تكون ظواهر الاجتماع خاضعة لقوانين، لا تسير وفق الأهواء، على اعتبار أن فهم الظواهر بالطريقة الوضعية يعد وسيلة

---

(١) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل ص ٧٨ حتى ص ٨٣، دار البينة للنشر والتوزيع، عام / ١٤١٥هـ.

للوصول إلى القوانين التي تحكم هذه الظواهر.

ب - تيسير وسائل فهم الناس للقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع، ولا يمكن الكشف عنها إلا إذا درست الظواهر الاجتماعية دراسة وضعية - مادية - ترمي إلى بيان طبيعتها، والعلاقات التي تربط بعضها ببعض، وتربطها بغيرها، وما يحكمها من قوانين.

• ويؤكد (كانت) على فكرة "مراحل التاريخ" أو مفهوم التغيير الاجتماعي.

ويقسم الحياة البشرية إلى مراحل محددة، وقد أحب أن يطلق على المرحلة التي عاش فيها الأنبياء، المرحلة الطفولية، تشبيهًا لها بأوصاف الأطفال الذين لم يبلغوا مرحلة الشباب والرشد[١].

• وقد تبنى "جودت سعيد" معظم هذه الآراء، واعتمد على فكرة (مراحل التاريخ) في تقرير أفكاره، كما جاء في مقدمة كتابه "حتى يغيروا ما بأنفسهم"[٢].

وهو يدعو إلى الاحتكام إلى التاريخ، باعتباره يمثل مصدر "العلم والمعرفة".

---

(١) المرجع السابق/ ص٨١/ الأستاذ عادل التل.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد / دار الفكر المعاصر، بيروت عام / ١٤١٤هـ.

ولم ينسب جودت هذه الأفكار لأصحابها من علماء الاجتماع الوضعيين في الغرب، وإنما طرحها وكأنها من اختراعه وابتداعه، بينما هو يستمدها من هؤلاء جاهزة مرتبة، لايعنيه من ذلك إلا إضفاء الصبغة الإسلامية عليها، بإضافة بعض الآيات القرآنية، أو الأحاديث النبوية الشريفة، وقد يختار أحيانًا كلمات من التوراة والإنجيل، وأحيانًا يعرض أفكار "زرادشت"، ويظهر أنه لا فرق عنده !!.

وقد تأثر الشيخ (جودت) بهذه الأفكار تأثرًا شديدًا، ولم يعد يعنيه إلا بث هذه الأفكار، بأي أسلوب كان[١].

• يقول الشيخ جودت سعيد: "إن العقل يمكن أن يتخذ أحد موقفين إزاء المشاكل، إما أن يفرض فيها أنها تخضع لقوانين، وبالتالي يمكن أن تخضع المشكلة للسيطرة عليها وتسخيرها، وإما أنها لا تخضع لقوانين، أو لا يمكن كشف قوانينها"[٢].

• وقد طرح (كانت) أفكاره الوضعية، بنفس الأسلوب الذي صار يعتمده "جودت سعيد"، وذلك في قوله: " الطريقة الوضعية تقوم على الإيمان بأن الظواهر خاضعة لقوانين، والطريقة الدينية تقوم على

---

(١) النزعة المادية لعادل التل/ ص ٨١.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم / ص ٣١.

الاعتقاد بأنها غير خاضعة لقوانين"[١].

• ويختار جودت هذه الأفكار المنحرفة، وينقلها بأسلوب غامض، لتكون متلائمة مع أوضاع التخلف العلمي في ديار المسلمين، ويدعي أن المسلمين لا يأخذون بالأسباب، ولا البحث عن العلل التي تسير من خلالها الأشياء، وهذا الأمر إن وجد بين المسلمين، فهو يقوم عند بعض الطوائف التي لا تتبنى المنهج الإسلامي.

وقد عمم (جودت سعيد) هذه القاعدة على جميع المسلمين انتصاراً لمذهبه في "القدر" وتبنيه لمذهب الاختيار، مقابل مذهب الجبر[٢].

• انظر إليه وهو يتحدث عن مراحل تطور البشرية بقوله:

"إن جهل بداية الخلق، يعطي صورة مشوهة للواقع، ويخلق الاضطراب، وعدم التمكن من التعامل الحسن مع الواقع...

إن الخلق ما زال مستمراً في شتى مستوياته، وإن الإنسانية كانت كالفرد، له مراحل نمو، وهي لم تصل إلى مرحلة الرشد بعد"[٣].

---

(١) النزعة المادية : عادل التل / ص ٨٢، والتفكير الاجتماعي: د. زيدان عبد الباقي / ص ٣٠٧.

(٢) السابق لعادل التل/ ص ٨٢.

(٣) اقرأ وربك الأكرم : جودت سعيد / ص ٢٨٣.

• فجودت يعتبر أن المرحلة المادية الحالية، هي مرحلة الرشد والنضج. وكذلك شأن مريديه (خالص جلبي وزوجته)، فهما يدعوان إلى قراءة كتاب "معالم تاريخ البشرية" (لكانت)، كما يدعو ان إلى قراءة كتاب "آفاق المستقبل" في نفس الموضوع[(١)].

• يقول الدكتور خالص جلبي مردداً أقوال شيخه "جودت سعيد" ومتابعًا أقوال قدوتهم "أوغست كانت".

"بقي الإنسان لفترة طويلة يطارد الوحوش، والوحوش تطارده، يأكلها وتفترسه، يعيش على الصيد وجمع الثمار... ثم كانت الثورة الزراعية قبل عشرة آلاف سنة، وبدخول مرحلة المجتمع الزراعي واستئناس الحيوان، تحرر الإنسان دفعة واحدة من الموت جوعًا فسيطر على إنتاج غذائه، وبها دخل الإنسان مرحلة المدنية، وإلى انبثاق تقسيم العمل والتخصص فيه، على ما أشار إليه عالم الاجتماع "دركايم" في كتابه تقسيم العمل"[(٢)].

• إن التطور بهذا الشكل، ينبع من نظريات علماء الاجتماع الغربيين، ومن وحي نظرية دارون التي تناقض الأديان السماوية.

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي / عادل التل/ ص٨٣.

(٢) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي/ ص ١٦١ / بيروت ودمشق ١٤٢٠هـ / ودركايم عالم اجتماع يهودي معروف.

وقد كفّرت الكنيسة دارون ابتداء، وقالت عنه إنه زنديق مارق من الدين، لأنه يخفي الخلق المباشر من الله للإنسان[١].

• وقد ذكرنا في الفصل السابق، أن أصل البشرية ابتدأ بآدم عليه السلام، أهبطه الله إلى الأرض (من الجنة) لحكمة أرادها، وهو نبي مكلم من الله تعالى"[٢].

وقد خلقه الله بيده، ثم نفخ فيه الروح، وأمر الملائكة بالسجود له تشريفًا وتكريمًا.

• أما تقسيمات التاريخ عند أصحاب المدرسة الوضعية، فهي تقسيمات جاهلية ظنية، تهمل تاريخ النبوات، وأثر ذلك التاريخ على حياة البشرية، لأن النظر الشرعي، يقتضي تقسيم تاريخ البشرية بحسب موقفها من الرسل إلى قسمين.

١- المؤمنون: الذين استجابوا للرسل، وأفردوا الله بالعبادة، وأخلصوا له التوحيد، وأقاموا حضارتهم مدينتهم على هذا المنهج.

ولهؤلاء ولتاريخهم سمات وخصائص، يجب ملاحظتها، وأخذها بعين الاعتبار عند تقسيم العصور التاريخية.

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب / ص ٩٥.
(٢) مشكاة المصابيح ، حديث (٥٧٣٧) ، وقد صححه الألباني رحمه الله.

٢- الكفار: الذين كذبوا الرسل، وأشركـوا مع الله غيره أو عبدوا غـير الله، فـهـؤلاء أقامـوا تاريخـهم وحـضارتهـم على هذا المنهج الكفري، ويشتـرك تاريخهم في سمات وخصائص نابعـة من منهجهم ونظرتهم للكون والحياة(١).

• فالتاريخ الإسلامي يقول: "إن تـوحيد الله هو الأصل في حياة البشـر، والشرك طارئ عليـهم، وتعرُّفنا على تاريخ آدم عليـه السلام وذريته إلى عـهد نوح عليـه السلام، يبـين لنا أن البشريـة كانت على التوحيد، ولا تعرف الشرك أبدًا.

وأول ما ظهر الشرك، كان في القوم الذين بعث إليهم نوح عليه السلام(٢).

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين**»(٣).

❁ ❁ ❁

---

(١) المـدخل إلى علم التاريخ: د. مـحـمد بن صـامل السلمي، دار الوطن بالرياض/ ١٤٢٣هـ ص (٤٥ - ٤٦).

(٢) المرجع السابق/ ص ٢٦.

(٣) رواه ابن جرير الطبري في التفسير، (جـ ٤/ ٢٧٥)، وانظر تفسير ابن كثير (جـ ١/ ٣٦)، فقد صرح بتصحيح قول ابن عباس سندًا ومعنى.



الفصل الثالث

التبشير بالمادية الجدلية

والإعجاب بما توصلت إليه الماركسية من نتائج

١) الإشادة بالماركسية وبأساليب التغيير لديها.

٢) مسايرة الشيوعية في أهم مبادئها:

- المادية الديالكتيكية.

- المادية التاريخية.

- قوانين سير المجتمع.

٣) تناسي الشيخ جـودت سعيـد، لمآسي الشيـوعية وجرائمـها خلال التطبيق في البلاد التي حكمتها.

« ١ » الإعجاب والإشادة بالماركسية(١)

• يكاد المسلم لا تنقضي دهشته من موقف الشيخ (جودت سعيد) وأتباعه، من حيث الإعجاب بالماركسية، وما توصلت إليه، مع أن الإنسان العادي بات يعرف ما تدعو إليه الماركسية من كفر وإلحاد.

وهاهي قد تمزقت في ديارها، وظهر عوارها في جميع الميادين، السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وليت الشيخ سعيد ومريديه، يعلنون خطأهم وتبرأهم من هذا المنزلق الخطير.

فجودت سعيد وخالص جلبي، لا يخفيان الإعجاب بالمنهج المادي وخصائصه، وفيما يلي نصوص تظهر إشادة (جودت) صراحة بالمنهج الماركسي، عندما تعرض لتفسير آية "إن الله لا يغير ما بقوم حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم" حيث يقول: " والفكر الماركسي، لبه ومبتداه ومنتهاه في إدراك محتوىٰ هذه الآية، حيث لمحوا قدرة الإنسان علىٰ صنع التاريخ، والقيام بعملية التغيير، فهذا الضجيج الذي أحدثه الفكر الماركسي خلال أكثر من مائة عام، إنما كان في تبنيهم لهذه الفكرة، وإداركهم لها"(٢).

---

(١) ينظر: النزعة المادية لعادل التل/ ص ٨٥-١٠٠/. وكتب جودت سعيد: اقرأ - وحتىٰ يغيروا ما بأنفسهم.

(٢) أقرأ وربك الأكرم/ ص ٢١٩.

• وإنه لأمر غريب وعجيب حقًا، أن تصدر مثل هذه الإشادة، من رجل يعمل في حقل الدعوة الإسلامية فإذا به يشهد للفكر الماركسي بالأصالة، ويصفه بالقدرة والتماسك، وكأنه يشعر الناس بأن مصدر الفكر الماركسي، ينهل من كتاب الله تعالىٰ.

وقد توهم الشيخ جودت، أنه بأسلوبه هذا يحقق ما عجز عنه أقطاب الفكر الماركسي ودعاته في بلاد الإسلام، وذلك حين حاولوا بكافة الوسائل إيجاد الصلة بين المنهج الإسلامي والأفكار الماركسية[(١)].

• والأغرب من كل ذلك، أن جودت سعيد، رغم فشل الفكر الماركسي نظريًا وعمليًا، فإنه لا يزال يدعو إلىٰ هذا الفكر، (بجرأة نادرة) الشباب المسلم ليقوم بعملية التغيير انطلاقًا من المبدأ الماركسي ويعد كتابه «حتى يغيروا ما بأنفسهم»، بمثابة دعوة سافرة لتبني هذا المنهج الماركسي، حيث يقول: "وكذلك إذا تذكرنا، أنه علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم، وأن الحكمة لا تضر من أي وعاء خرجت، فإن الاعتراف بجانب الصواب في النظرية الماركسية، لا يضرنا شيئًا، ولكن إذا رفضنا جانب الصواب بسبب جانب الكفر الذي عندهم، لا نكون مصيبين"[(٢)].

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٨٦.

(٢) حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم/ ص ١٠٧، طبعة ١٩٩٣م.

• فجودت هنا يقرر أن النظرية الماركسية تحوي صوابًا يجب على المسلمين أن يأخذوا به !!.

وماذا في هذا المنهج الذي يناقض الفطرة البشرية التي فطر الله الناس عليها، وقد سقط غير مأسوف عليه، وما الذي يعجب جودت سعيد وأتباعه في التطبيق الماركسي لنظرياتهم.

- أهو الكفر بالله حينما يقولون: "لا إله والكون مادة "والمادة سابقة في الوجود على الفكر".

- أم شيوعية النساء والمال، وقد أثبتت الأيام مناقضة كل ذلك للفطرة السوية والعقل السليم ؟!.

- أم تمزق الاتحاد السوفييتي، وكفر كثير من دعاة الماركسية بمبادئها بسبب تناقضاتها وسلبياتها ؟![١].

رغم كل ذلك فإن الشيخ جودت سعيد، يصر على التمسك بهذا الفكر الساقط، من خلال الأخذ بجانب الصواب فيه، فيقول:

"حين يقول الماركسي: إن دراسة التاريخ الاجتماعي أصبحت

---

(١) ينظر: التيارات الفكرية والعقدية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن العشرين : محمد فاروق الخالدي/ ص ١٠٣-١٣٢/ فصل الشيوعية في المنطقة العربية / دار المعالي - ١٤٢٣هـ.

علمًا، ينبغي أن نقول له: أخطأت، بل نقول له: هذا حق، وإذا اعتبر أن مظاهر الطبيعة قادرة على إعطائنا حقائق موضوعية، علينا أن نراه تقريرًا بأن آيات الأفاق تعطي حقائق موضوعية، ونزيد له أيضًا، بأن آيات الأنفس كذلك تعطي حقائق موضوعية"(١).

• فعلى أي شيء نصدق الماركسي، ونحن نعلم أن الماركسي يقصد من دراسة التاريخ: تاريخ الأرض والإنسان، من خلال نظرية داروين، ومن خلال صراع الطبقات، وهذا معروف عند الماركسيين بالمادية التاريخية.

وجودت يؤمن بمراحل التاريخ التي وضعها "كانت" وفصلها الماركسيون في دراستهم، وقد جاء تفصيلها عند جودت بقوله:

"كان الإنسان قبل عشرة آلاف سنة، يعيش في الكهف، لم يكن يعرف الزراعة، كان عريانًا ضعيفًا أعزل"(٢). ثم يقول: "إن جهل الموقف العلمي، وجهل المعرفة بتاريخ بدء الخلق يجعل الإنسان في موقف الجاهل المركب.. مما يدل على عدم تذوق العلم أو إدراك تاريخه الطويل، الذي قطع الإنسان فيه مراحل ومراحل، حين خرج

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم : جودت سعيد ، ص ١٠٨.

(٢) ندوة تلفزيونية في دمشق ، بالاشتراك مع البوطي.

من حياة الصيد إلى الرعي ثم الزراعة. . . "[١].

• ويردد خالص جلبي هذه الأقوال في كتبه ومقالاته الكثيرة في الصحف والمجلات، ففي مقال له في جريدة الرياض يقول [٢]: " الثورة الزراعية لم تدشن إلا منذ تسعة آلاف سنة، واخترعت الكتابة قبل خمسة آلاف سنة فقط".

أما علم "الأنثروبولوجيا - علم الإنسان" فإنه يتحفنا بخبر مثير عن رحلة الإنسان التي بدأت قبل سبعة ملايين من السنين !!.

"والإنسان لم يتخلص من مرحلة الأدوات الحجرية، ليقفز إلى الحضارة في سومرو مصر إلا منذ ستة آلاف سنة فقط"[٢].

• • إن قضية تكون الأرض والمراحل التي مرت بها خلال ملايين السنين، وتحديد ذلك بالساعة والدقيقة، ما هي إلا افتراضات ليس لها ما يؤكدها، ولا تحتاج إلى هذه الضجة والتعالم !!.

• • ومن قبيل الإعجاب بهذه النظريات الغربية، والهزيمة النفسية تجاه معطياتها ، يقول الدكتور خالص جلبي، في مقالة له بعنوان: "الإنسان قبل وبعد عشرة آلاف سنة":

---

(١) اقرأ ربك الأكرم، ص ٨٨.

(٢) جريدة الرياض: العدد (١٠١٨٨) في ١٦/ ٥/ ١٩٩٦م.

"ظاهرة بزوغ الحضارات قبل ستة آلاف سنة، بزغت ٢٨ حضارة، من أصل ٦٠٠ مجتمع بدائي، ماتت معظم هذه الحضارات، وبقي منها خمس حضارات فقط، حسب الدراسة المدهشة التي استغرقت خمسين عامًا من المؤرخ البريطاني "أرنولد توينبي".

وإحدى الحضارات المتبقية التي تترنح اليوم، وتبدو كشبح مجتمع هي الحضارة الإسلامية، مجتمع منطفئ الفعالية عاجز عن حل مشكلاته الميدانية"(١).

***

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٣٣٥) في ١٠/١٠/١٩٩٦م.

« ٢ » مسايرة الشيوعية في مبادئها

• إن أصحاب هذه المدرسة (التغييرية المادية) يسايرون النظريات الشيوعية في أهم مبادئها وهي[١]:

المادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية:-

• يقول ستالين في كتابه: "المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية،: "تقوم المادية الفلسفية على مبدأ آخر، هو أن المادة والطبيعة والكائن الحي، هي حقيقة موضوعية موجودة خارج الإدراك، أو الشعور بصورة مستقلة عنه، وأن الفكر هو نتاج المادة"[٢].

• ويقول إنجلز: " الطبيعة توجد مستقلة عن كل فلسفة فهي الأساس الذي نمونا عليه، نحن الناس نتاجها، أيضًا وخارج الطبيعة والإنسان لا يوجد شيء".

• وها هو جودت سعيد يقرر هذا المفهوم المادي، كما أخذ به الماركسيون بالضبط، فهو يقول: "الوجود الخارجي - أي المادي - هو الحقيقة الثابتة، التي نرجع إليها عند الاختلاف، والصور الذهنية

(١) النزعة المادية : عادل التل ، ص ٩١.

(٢) المادية الديالكتيكية والتاريخية: ستالين / ص ٢٩.

قابلة للنقصان"[١].

• ويؤكد هذا المعنى الدكتور خالص جلبي حينما يقول: " إن فكرة "قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق" تعني أن الأمر هنا هو السير في الأرض، حيث تتحول الأرض والواقع إلى شواهد وكتاب، ينطق بحقائق لا توجد إلا فيه، فالأمر هنا هو السير في الأرض، وليس السير في الكتاب "أي القرآن" أي قراءة الواقع وليس قراءة النصوص، والظن بأن الاستغناء بالكتاب عن الواقع، هو الذي قاد العالم الإسلامي إلى كارثة ثقافية مروعة"[٢].

فالواقع الخارجي هو الأساس لدى أصحاب هذه المدرسة، وليس النصوص الشرعية من قرآن كريم، أو سُنَّة نبوية.

• **المادية التاريخية**: فقد تابع جودت سعيد الماركسيين فيها، خلال دراسته لتاريخ المجتمعات المادية، ومن ثم فقد اهتم بالتاريخ وجعله مصدراً من مصادر المعرفة الأساسية، وأصبح في النهاية يقدمه على دلالة آيات الكتاب، كما جاء في قوله: "إن دلالة الكتاب يمكن

---

(١) اقرأ وربك الأكرم : جودت سعيد ، ص ٥٥.

(٢) جريدة الرياض من مقال لخالص جلبي، العدد: (١٠١٨٨)، في ١٦/٥/١٩٩٦م.

أن تلغىٰ إلغاء تامًا وكـأنها غير موجودة، والذي سينبـه المسلمين إلىٰ هذا ما جاء في الكتاب من الاهتمام بالتاريخ وأحوال البشر، وحوادث التـاريخ، أي أن ا لذي سيـعلمنا ليس القـرآن، وإنما حـوادث الكون والتاريخ، فهي التي ستعلمنا"[1].

• ويقـول أيضًا: "وقـد علمنا الله في كـتابه أن التـاريخ مصـدر صـحيح للعلم، وعـلمنا أن التاريخ ليس هـو الماضي فـقط، بل هو الآتي أيضًا"[2].

وبذلك يحاول تعطيل آيات القرآن، ليحل محلهـا حتمية التاريخ، وحقائق العلم ونظرياته.

• **قوانين سير الـمجتمع**[3]: يحاول (جودت سعيد) إ براز جوانب أخرىٰ من النظرية الماركسيـة، باكتشافهم لقوانين سير المجـتمع فيقول: "وكذلك الأمـر الآن في النظرية الماركسـية، من إثبات سنن الاجتـماع، فإذا اهتدوا إلىٰ سنن وآيات في سير المجتمعات، كما اهتدىٰ قبلهم علماء الفلك إلىٰ سنن سير الأجرام، فإن ذلك لا علاقة له بنفي الإيمان. . .

---

(١) رسالة انظروا، (رقم ٤٠) ، / اللغة والواقع / ص ٨ لجودت سعيد/ .

(٢) كتاب اقرأ وربك الأكرم ، ص ٢٣٩ .

(٣) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي ،ص٩٤ .

فعلينا أن نـتأمل السنن التي يستـخدمونهـا في تسخـير المجـتمع لهـدفهم الذي اتخـذوه، ونحن في هذه الحـالة نكون قد حـصل لنا المناعة التي نحن في حاجة إليها"[١].

• وبسبب قناعـة (جودت سـعيد) بطريقـة الماركسـيين في سـير المجتمع أطلق على كتبه: "أبحاث في سنن تغيير النفس والمجتمع".

وعمومًا فإن الشيخ جودت سعيد، لا يخفي رأيه في موضوع علم الاجتـماع الغـربي، حيث جـعل مؤلفـاته كلهـا مرتعًا خـصبًـا لتلك الأفكار، وينطلق فـي هذا البرنامـج من قدرة الإنسـان على إحـداث التغيير، ومعرفة سنن التـغيير، وهو يعترف صراحة أن هذه السنن هي من اكتشاف الماركسيين والعالم الغربي بشكل عام حيث يقول:

"أمـا الكشف العـلمي بأن هذه السنن تخـضع لـسلطان الإنسـان بشكل من الأشكال، فقـد تنبه إليه في العـصر الحديث إنسان مـحور (واشنطن - موسكو) قبل غيره"[٢].

• وعمـومًا فإن (ماركس) قـدوة هؤلاء العصرانيـين، هو صاحب القول المشـهور: "الدين أفيون الشعوب" وهو يهـودي ألماني، أخذ

---

(١) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ٩٤.

(٢) كتاب حتى لا يغيروا ما بأنفسهم / ص ٥٢.

جوهر نظرية دارون، وأنشأ على أساسها نظرية اقتصادية، وتفسيراً للحياة البشرية، يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي، ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر(١).

• ماذا يعجب الشيخ جودت في نتائج وتطبيقات هذه النظرية، وقد "قام اليهود (على أساسها) بتحطيم الأخلاق - أخلاق الجنس بصفة خاصة - وأشاعوا الفوضى الجنسية والانحلال، وحاربوا قيد العفة الذي يحول بينهم وبين تنفيذ مخططاتهم الواسعة لتحويل الآدميين إلى دواب تدور في طاحونتهم، فيجيء فيلسوفهم ماركس، ليقول: "إن قضية العفة إنما أخذت أهميتها من أنانية الرجل في المجتمع الزراعي "المتأخر" باعتباره هو ا لمتكسب والمنفق، ثم وضع عليها وسم الدين والأخلاق ليعطيها أهمية زائدة خدمة لأنانيته... وقام اليهود بتحطيم الأسرة، لأن الأسرة أحد القيود التي تمنع التحلل الخلقي(٢).

• ويعتبر جودت سعيد أن الثورة البلشفية قد حققت العدالة الاجتماعية يقول: "والشعور بالأناقة - المدنية - قد يكون في صورة

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب، ص ١٠١/ دار الشروق / ١٤٠٣هـ.

(٢) المرجع السابق / ص ١٠٦-١٠٧.

انتصار عسكري، أو عدالة اجتماعـية، كما في الثورة البلشفية، أو في صورة حقوق إنسان، كما في الثورة البلشفية . . . "[١].

***

(١) فقدان التوازن الاجتماعي/ جودت سعيد، / ص ٢٧/ دار الفكر المعاصر / بيروت / ١٩٩٣م.

«٣» تناسي الشيخ جودت لمآسي الشيوعية في التطبيق

ما أدري لماذا يتناسى الشيخ جودت المآسي التي تركتها الشيوعية في العالم ؟! فقد حرمت الإنسان من حريته ومن حقه في أن يجني ثمرة عمله، وحقه في السعي والابتكار والإنجاز، وأرادت أن تساوي قسرًا بين الناس.

ساوت بينهم في الفقر والحاجة، إلا زمرة قليلة من قادة الشيوعية الذين عاشوا عيشة مترفة(١).

• ولماذا يتناسى الشيخ جودت، أن الشيوعية قد حاربت الأديان والقيم والأخلاق العليا، وسحقت كل المعارضين، وعاش ملايين المسلمين مضطهدين، أو منفيين إلى سيبريا ؟!.

• وليسأل الشيخ أجداده، كيف كانوا يحتفظون ببعض نسخ القرآن في الأبنية والدهاليز لينقلوها إلى أبنائهم بعيدًا عن أعين السلطات الكافرة(٢).

• ولعل الشيخ جودت، قد سمع من آبائه وأجداده، ما عانوه من الماركسيين قبل هربهم من سطوة الإرهاب الشيوعي الأحمر.

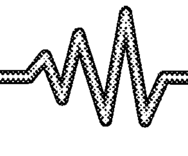
---

(١) مجلة المجتمع: العدد (١٥٢٧) في ١١/ رمضان /١٤٢٣هـ.

(٢) الحياة الدينية عند العرب (ص ٤٣٦-٤٣٧) ومذاهب فكرية معاصرة/ ص ٢٥٨ وما بعدها / الأستاذ محمد قطب.

لقد أوصل الشـيوعيـون البلاد التي حكمـوها إلى مجاعـات ما تزال شعوبها تئن منهـا حتى اليوم، ولذلك انهار الاتحاد السوفـييتي، وتمزقت أشلاؤه، ويعترف بذلك كثير من الشيـوعيين أنفسهم، إلا الشيـخ جودت سـعيد، فإنه ما يزال يرى العـدالة الاجتماعية في الثورة البلشفية.

❁ ❁ ❁



الفصل الرابع

تبني آراء الفرق المنحرفة كالمعتزلة والقدرية

١) العصرانيون الجدد على خطا المعتزلة.

٢) اتّباع القدرية في مفهوم المشيئة وأساليب التغيير.

٣) مفهوم جودت سعيد حول المشيئة مخالف لأقوال العلماء الثقات، والمفسرين المعتمدين.

٤) مفهوم التغيير عند أصحاب المدرسة المادية الحديثة.

٥) النزاع في مسألة القدر وموقف أهل السُّنة والجماعة.

٦) الإيمان بالقدر قوة إيجابية في حياة المسلمين.



« ١ » العصرانيون الجدد على خطا المعتزلة(١)

لقد سلك العصرانيون من ذوي النزعة المادية مسالك الفرق المنحرفة في سبيل التغيير الذي ينشدونه، إضافة إلى ما سبق من الجذور الفكرية والعقدية، كتبني نظرية دارون، وآراء (أوغست كانت) الوضعية، والإعجاب بالماركسية الجدلية.

• وقد سلكوا طريقة المعتزلة في تضخيم العقل وتقديمه على النقل من نصوص الشرع الحنيف، كما اتبعوا طريقة الفرقة القدرية، التي تعطي الإنسان القدرة على خلق أفعاله، وأنه فاعل للخير والشر، والإيمان والكفر، وهو المجازى على فعله. "وأن الله سيغير ما بالقوم حتمًا إن هم غيروا ما بأنفسهم، سُنَّة الله"(٢).

• **فالمدرسة العقلية الأولى "المعتزلة"** ، كانت تقدم العقل على الشرع، وجعل رجالها الأدلة العقلية مقدمة على الأدلة الشرعية، فكذبوا ما لا يوافق العقل، من الحديث الشريف، وأولوا ما لا يوافق رأيهم من الآيات الكريمة، بل حاولوا إخضاع عبارات القرآن

---

(١) ينظر كتابنا: العصرانيون/ ص ١٣-٢٩، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم : جودت سعيد / ص ٨٦.

لآرائهم، ومن ثم فسروها تفسيرًا يتفق مع مبادئهم"[١].

• • والمعتزلة قوم فتنوا بالفلسفة اليونانية، وبالمنطق اليوناني وبما نقل عن الفلسفة الهندية والأدب الفارسي، فأولوا القرآن لينسجم مع تلك الفلسفات، وكذبوا الأحاديث التي تتعارض مع هذه العقلية الوثنية"[٢].

ولذلك طعنوا بنقل الحديث من الصحابة والتابعين، حتى يستقيم لهم منهجهم العقلي.

وقد لاحظنا في المباحث السابقة" أن جودت سعيد وخالص جلبي، اعتمدوا على تحريف النصوص وتأويلها، ضاربين بعرض الحائط ما اتفق عليه علماء الأمة وسلفها الصالح، وسنرى من ذلك المزيد.

كما اتخذ أتباع المدرسة المادية الجدل والمراء وسيلة للبحث في الدين، وذلك مخالف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)**. ثم تلا قوله تعالى: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨][٣]. وقال

---

(١) التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي، جـ ١/ ٣٧٢ وص ٣٧٣/ دار الكتب الحديثة ، الطبعة الأولى / ١٣٨١هـ.

(٢) السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي، / الطبعة الثالثة/ بيروت / ١٤٠٢هـ.

(٣) أخرجه الترمذي، وقال : حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

الإمام الأوزاعي - رحمه الله - "إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[١].

• ومن آثار الاعتزال في فكر أصحاب هذا الاتجاه تكذيب الأحاديث النبوية وتجريح رواتها، عن طريق التأويل والتحريف، واختاروا من الآيات الكريمة ما يوافق رأيهم وأبطلوا الأخذ بالتفاسير الموثوقة حينما لا توافق آراءهم.

• وقد عرف عن المعتزلة سوء الأدب، والتطاول على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

•" فهذا عمرو بن عبيد - أحد كبار المعتزلة - يقول : "والله لو أن عليًا وعثمان وطلحة والزبير، شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته" . وقال عن سمرة بن جندب رضي الله عنه: "ما تصنع بسمرة قبح الله سمرة"[٢].

رضي الله عن صحابة رسول الله الذين حفظوا سنته ونشروها، رغم أنف عمرو بن عبيد وأمثاله من المبتدعة.

وقد ولغ بعض ضالي المعتزلة في أعراض الصحابة، خلال فتنة وقعة الجمل، ومعركة صفين، إذ زعم كل من واصل بن عطاء وعمرو بن

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة، اللالكائي ، جـ ١/ ١٤٥، دار طيبة بالرياض.
(٢) تاريخ بغداد للخطيب ، جـ ٢/ ١٧٦-١٧٨، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

عبيد: "أن إحدىٰ الطائفتين يوم الجمل فاسقة، ولا تقبل شهادتهم"[١].

• وقد سار الدكتور (خالص جلبي) علىٰ طريقة المعتزلة في مهاجمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كمعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، ومن أقواله: "وشخصيات هامشية في الثورة الإسلامية الأولىٰ من طراز عمرو بن العاص ومعاوية، حرفت مسيرة الخلافة الراشدة"[٢].

ولا يمل هذا الرجل من تكرار الغمز والتعريض بمعركة صفين وبني أمية، يقول: "عندما يقلب معاوية الوضع الراشدي لبناء دولة بيزنطية، ومسخ الخلافة الراشدة بالتآمر الأموي"[٣].

***

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي/ ص١٢٠.

(٢) جريدة الرياض ، العدد (١٠٤٨١) في ١/ ٣/ ١٩٩٧م.

(٣) ينظر ، كتابه سيكولوجية العنفف / ص١٥٧ ، وجريدة الرياض ، العدد (١٠٤٤٠) في ١٤رمضان / ١٤١٧هـ.

«٢» اتباع القدرية في القول بالمشيئة خلال أساليب التغيير(١)

اختار الشيخ جودت سعيد عنوانًا بارزًا لأحد كتبه، وهو جزء من آية كريمة ﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾.

وقال: "لقد كان جهدي كله في هذا الكتاب ينصب على بيان إحدى وظيفتي تغيير ما بالنفس، وهي وظيفة الإنسان، وتفسير الآية التي هي عنوان الكتاب، كان يدور حول هذا الأساس"(٢).

• والآية بتمامها هي: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝١٠ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد: ١٠، ١١].

وقد وضع جودت سعيد لهذا الجزء من الآية تفسيرًا لا يستقيم مع القرآن، ولا مع السُّنة النبوية، ولا مع مفاهيم اللغة العربية.

فهو يقرر هنا قاعد للتغيير، تتلخص في إعطاء البشر القدرة على التغيير على طريقة القدرية النفاة، أي الذين ينفون القدرة.

---

(١) ينظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ١٠١-١١١.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم : جودت سعيد / ص ٢٥/ .

• وقد جاء في تحديد منهج القدرية، قول الشهرستاني:

"القول بالقدر، إنما هو مسلك معبد الجهني، وغيلان الدمشقي، يقولون: العبد فاعل للخير والشر، والإيمان والكفر... وهو المجازى على فعله، والرب تعالى أقدره على ذلك كله".

ويقول أيضا نقلاً عن القدرية: "إن الله قد فرض علينا، أن نقوم بهذه الأفعال، وأن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم"(١).

• وها هو الشيخ جودت سعيد يتابعهم في معتقدهم، فينسب التغيير للإنسان، وأنه هو الذي يصنع مصيره بنفسه، وأنه يصنع التاريخ، وأن تغيير الله تابع لتغيير البشر.

يقول: "إن الله سيغير ما بالقوم حتمًا، إن هم غيروا ما بأنفسهم سُنّة الله"(٢).

فهو يعتبر أن مشيئة الله لاحقة لمشيئة البشر، وهذا هو مذهب القدرية الفاسد، يقول: "تغيير القوم وتغيير الله، لا بد من توفرهما جميعًا، ليتحقق التغيير، كما أنه لابد من أسبقية التغيير الذي يحدثه القوم، إلا أن هنالك ترابطًا بين التغييرين، فإذا وقع التغيير الذي

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني، جـ ١/ ص ٦٢.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم/ ص ٨٦، جودت سعيد.

يخلقه الله، دل ذلك قطعًا على أن التغيير الذي يقوم به القوم، قد سبق أن حدث، لأن الله تعالى اشترط هذه الأسبقية..."[١].

ويكرر الشيخ جودت هذه المعاني في كتبه ومقالاته، ومن ذلك سلسلة مقالاته بعنوان "لا إكراه"[٢].

• فهنالك علاقة متينة بين أفكار جودت سعيد وزمرته، وبين الأفكار التي روجتها فرقة القدرية المعطلة، أو "القدرية النفاة"، وكان الجعد بن درهم من رؤوسها وهو أول من قال بالقدر، وقد ضحى به خالد بن عبد الله القسري في البصرة، وكان الحسن البصري ينهى عن مجالسته، ويقول: "هو ضال مضل"[٣].

وأخذ عنه معبد الجهني، الذي قتله الحجاج صبرًا، وهو أول من أظهر القول بالقدر في البصرة، وقد نهى الحسن البصري عن مجالسته أيضًا، ثم تبنت المعتزلة هذه الآراء وأدخلتها في منهجها[٤].

---

(١) السابق/ ص ٩٦، لجودت سعيد.
(٢) ينظر: مجلة المجلة، العدد (١١٦٣) في الشهر السادس/ ٢٠٠٢م. والعدد: (١١٣٠)، الشهر العاشر/ ٢٠٠١م.
(٣) سير أعلام النبلاء للإمام الذهبي، جـ ٤/ ص ١٨٥.
(٤) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٣٧.

• وبالغ أصحاب المدرسة العصرانية المادية، في اتباع هذا المنهج، إضافة إلى انحرافات فلاسفة الغرب الوضعيين.

• وقد تبرأ المتأخرون من أصحاب رسول الله من القدرية ومن هؤلاء الصحابة عبد الله بن عمرو وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك - رضي الله عنهم -[١].

***

(١) ينظر: شرح أصول الاعتقاد للالكائي، جـ ٤/ ٦٤٣-٦٧٢، والفرق بين الفرق للبغدادي/ ص١٩.

«٣» مفهوم الشيخ جودت سعيد للمشيئة يخالف آراء العلماء الثقات وأقوال المفسرين المعتمدين

• **يقول ابن تيمية** - رحمه الله - "وقد أثبت الله المشيئتين، مشيئة الله ومشيئة العبد، وبين أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الرب، ثم ذكر قوله تعالى: "إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً، وما تشاءون إلا أن يشاء الله، إن الله كان عليمًا حكيمًا"(١).

• **ويقول ابن كثير** - رحمه الله، في تفسير هذه الآية: "وما تشاءون إلا أن يشاء الله".

"لا يقدر أحد أن يهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان، ولا يجر لنفسه نفعًا "﴿**إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۝٣٠ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ۝٣١**﴾ [الإنسان: ٣٠، ٣١].

• " فالله أعلم بمن يستحق الهداية، فييسرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فمن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له"(٢).

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية، جـ ٨/ ص ٢٣٨.

(٢) تفسير ابن كثير، جـ ٤/ ٧١٨، طبعة دار الكتب العلمية.

• إلا أن أتباع المدرسة المادية، يصرون على أن تكون مشيئة الله تابعة لمشيئة البشر، وهو فهم معكوس مخالف لمنهج أهل السُّنة، ومؤيد لمنهج القدرية والمعتزلة.

• ولو رجعنا إلى أقوال علماء التفسير الثقات للآية الكريمة التي جعلها جودت سعيد محور كتابه "حتى يغيروا ما بأنفسهم" لوجدنا أن تفسيره بعيد كل البعد عن التفسير السليم، والفهم الصحيح **يقول ابن جرير الطبري في تفسر هذه الآية**: "فتأويل الكلام: إن الله لا يغير ما بقوم من عافية ونعمة فيزيل ذلك عنهم، ويهلكهم، حتى يغيروا ما بأنفسهم، كظلم بعضهم بعض، واعتداء بعضهم على بعض، فتحل بهم حينئذ عقوبته وتغييره"(١).

• يلاحظ هنا أنه لايوجد دليل في الآية على أنها تبحث في المشيئة، أو في الهدى والضلال، وأن التغيير محصور في التحول من الطاعات إلى المعاصي، فتكون العقوبة بالتغير من النعمة إلى النقمة.

والآية في الأصل رد على القدرية، الذين يقولون بأن الإنسان يخلق أفعاله، أو يملك مصيره، وهذا يعارض ما ذهب إليه جودت سعيد من إثباتها كدليل(٢).

---

(١) تفسير الطبري: جـ ١٣/ ص ١٢١.

(٢) النزعة المادية : عادل التل/ ص ١٠٣ - ١٠٤.

• **ويقول ابن كثير عند تفسير قوله تعالى:** "ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم. . . " يقول رحمه الله: "يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، أي كصنعه بآل فرعون وأمثالهم، حين كذبوا بآياته، فأهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم"[١].

***

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير / جـ ٢/ ص ٥٠٢.

« ٤ » مفهوم التغيير عند أصحاب المدرسة المادية

يتلخص هذا المفهوم لدى الشيخ جودت وأصحابه فيما يأتي:[١]

١- جعل الإنسان قادراً على تغيير ما في نفسه، وما في نفوس الآخرين.

٢- الاعتقاد بقدرة الإنسان على أن يملك مصيره بيده.

٣- جعل مشيئة الله تابعة لمشيئة البشر، باعتبار أن الإنسان سيد الكون.

٤- التغيير عندهم يشمل المسلم وغير المسلم، ويشمل أسس العلاقات بين المجتمع الإسلامي والمجتمعات الأخرى، وإلغاء الفوراق بين الأديان لصالح دين الإنسانية العالمية، والتقارب بين الأديان.

٥- التغيير يلغي الاعتماد على النبوة، والبديل عندهم، هو الاعتماد على السنن الكونية والاجتماعية والنفسية.

٦- استخلص الشيخ جودت قاعدة مطردة في سنن التغيير، وهي أن الله أسند مهمة التغيير للبشر من خلال آية "حتى يغيروا ما بأنفسهم.. ، والحقيقة أن الأمر كله بيد الله، وقد نسب النبي صلى الله عليه وسلم ذلك إلى الله بدعائه: **(اللَّهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها)**[٢].

---

(١) ينظر النزعة المادية : عادل التل / ص ١٠٥-١٠٦ بإيجاز.

(٢) صحيح مسلم : جـ ٤/ ٢٠٨٨.

ولو كان أمر التغيير بيد الإنسان لأدخل رسول الله عمه في الإيمان، لأنه يدري أن الأمر في شأن الهداية والضلال والغنى والفقر بيد الله.

• وعمومًا فإن قناعة الشيخ جودت سعيد، مخالفة للقدر الشرعي، نافية له على طريقة معبد الجهني وفرقة القدرية.

وهاهو يشيد بالفضل لمحور "واشنطن - موسكو" في كشف قوانين التغيير، عندما يقول: "وأما الكشف العلمي، بأن هذه السنن تخضع لسلطان الإنسان بشكل من الأشكال، فقد تنبه إليه في العصر الحديث، إنسان محور "واشنطن - موسكو" قبل غيره"[١].

• فهو يؤكد نظريته في التغيير الاجتماعي، حينما يشيد بالأفكار الغربية، ويبدي اهتمامه بتطويع الدين ليتلاءم مع نظريات علم النفس وعلم الاجتماع، وأنه لا سبيل إلى تغيير ما في النفوس البشرية، إلا باتباع هذه العلوم الإنسانية. يقول: "إن هذا العلم لايزال في توحشه، ولم يستأنس بعد عند المسلمين، حتى يسخروه لتغيير ما بأنفسهم ولكشف ما ينبغي أن يغيروا مما بأنفسهم"[٢].

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد / ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق / ص ١١٤.

• • فأين كتاب الله وأين حديث رسول الله ؟!

هل أصبحا غير صالحين لأداء مهمة التغيير المنشودة ؟

جودت سعيد لا يترك الأمر غامضًا، بل يصرح دائمًا، أن هناك بديلاً عن الكتاب هو: آيات الأنفس والآفاق وحوادث التاريخ والكون. يقول: "إن آيات الكتاب قد تكف عن أدائها دور العلم في ظروف معينة"[١].

***

(١) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ص ٢٢٩.

«٥» النزاع في مسألة القدر وموقف أهل السُّنة والجماعة [(١)]

يقودنا البحث في وسائل التغيير التي وضعها الشيخ جودت في كتبه بدلاً من مفهوم التجديد عند أهل السُّنة والجماعة، إلى إيضاح مفهوم القدر، والتأكيد على كونه ركنًا من أركان الإيمان، وهو جزء رئيسي من عقيدة المسلم.

"وبينما كان في حس الأجيال الأولى من هذه الأمة قوة دافعة بنّاءه محركة.. صار في حس الأجيال المتأخرة منها، قوة سلبية هدامة مخذلة، حين انحرف مفهوم القضاء والقدر في حسها عن صورته الصحيحة، التي عاشت بها الأجيال الأولى، وبنت وعمّرت وتحركت" [(٢)].

• **قال ابن حجر في تعريف القدر:** "إن الله تعالى علم مقادير الأشياء، وأزمانها قبل إيجادها، ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد، فكل مُحْدَث صادر عن علمه وقدرته وإرادته، هذا من المعلوم من الدين بالبراهين القطعية، وعليه كان السلف من الصحابة وخيار التابعين" [(٣)].

---

(١) ينظر: النزعة المادية: عادل التل/ ص ٢٩-٤٩/ والحياة الدينية عند العرب/ ص ٢٤٩-٢٦٢/ محمد الناصر وخولة درويش/ ١٤١٧هـ.

(٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح: "الأستاذ/ محمد قطب / ص٢٥٥، دار الشروق / ١٤٠٨هـ.

(٣) فتح الباري: جـ ١ / ص ١١٨.

• **والشواهد على ذلك كثيرة من الكتاب والسُّنة:**

- قال تعالى: ﴿**ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ** ﴿٦﴾﴾ [السجدة: ٦].

فالله يعلم الأشياء قبل وجودها.

• وقال تعالى: ﴿**وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق: ١٢].

• • ومن ذلك الإيمان بأن الله كتب الأشياء قبل خلقها في كتاب عنده: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ** ﴿١٢﴾﴾ [يس: ١٢].

والمقصود هنا: هو إحصاء الأعمال في اللوح المحفوظ قبل أن يعملها العباد.

• • **والأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع كثيرة تؤكد مفهوم الإيمان بالقدر.**

- قال عليه الصلاة والسلام: (**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء**)[١].

---

(١) صحيح مسلم: جـ ٤/ ٢٠٤٤، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

والمسلمون يجمعون على أنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وخالفهم في ذلك القدرية، فجوزوا أن يكون في الوجود ما لا يشاء الله، مثل أفعال الإنسان وحريته المطلقة في التصرف في هذا الكون.

قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ، فمشيئة الإنسان تابعة لمشيئة الله.

• وجاء في الحديث الصحيح قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب . قال ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد"(١) .

• وفي حديث ابن عباس المشهور: "واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك"(٢) .

•• وعند نفخ الروح في الجنين، حين يتم له أربعة أشهر "حيث يأمر الله الملك أن يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي هو أو سعيد"(٣) .

---

(١) صحيح سنن الترمذي : جـ٢/ ٢٢٨، حديث (١٧٤٨) ، وانظر صحيح الجامع الصغير: جـ ١/ ٤٠٥.

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة (٢٥١٦) ، وقال : حديث حسن صحيح، وانظر صحيح الجامع الصغير (٧٨٣٤).

(٣) رواه الإمام البخاري في القدر (٦٥٩٤) ، ومسلم في القدر ايضًا.

كما جاء في حديث ابن مسعود ﷺ، الذي رواه البخاري ومسلم في القدر.

• وكتابة الله عز وجل لأعمال العباد، لا تقتضي جبرهم عليها أصلاً، وإنما هي تسجيل لما علم الله أن العباد يفعلونه باختيارهم، فإن العلم الأزلي المحيط، قد كشف الله عز وجل كل الأمور المستقبلية، التي من جملتها أعمال العباد، فكتبها الله على الوجه الذي يتعلق به العلم.

والعلم ليس له صفة تأثير حتى يكون ملزمًا للعبد بفعل معين، وغاية ما في الأمر: أن ما تعلق به العلم لا بد أن يقع... ولا شك أن من جملة ما تعلق به العلم، هو اختيار العباد لأفعالهم الصادرة عنهم بقدرهم وإرادتهم، فلا يصح لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب، فإن الله لا يشاء من العباد إلا ما علم أنهم يشاؤونه لأنفسهم، ولا يظلم ربك أحدًا"[1].

"وأنكرت القدرية هذا، وزعمت أنه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم علمه سبحانه بها، وإنما يعلمها سبحانه بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى، وجل عن أقوالهم الباطلة علوًا كبيرًا"[2].

---

(١) فتاوى الدكتور: محمد خليل هراس، دار طيبة/ ١٤٢٣هـ ص٨٢.

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي، جـ١/ ص ١٥٤، طبعة رئاسة البحوث العلمية بالرياض/ طبعة ثانية.

• هذا ولا يغفل المسلمون - رغم اعتقادهم بالقدر المكتوب - عن تحقيق الجهد البشري، والأخذ بالأسباب المعهودة، وذلك أن كل إنسان ميسر لما خلق له، وهذا واضح في قوله تعالى: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى". قال القرطبي رحمه الله: "نرشده لأسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها"[1].

• • وفي الفتاوى الكبرى لابن تيمية - رحمه الله - تفصيلات دقيقة حول هذه المسألة نقتطف منها قوله: "إن أهل السُّنة يؤمنون بأن الله على كل شيء قدير، فيقدر أن يهدي العباد ويقلب قلوبهم، وأنه ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيء من الأعيان والصفات والحركات.

فأهل السُّنة يؤمنون أن العبد له قدرة ومشيئة .. والله سبحانه جعل العبد مختاراً لما يفعله، فهو مختار مريد، والله خالقه وخالق اختياره وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته ولا في أفعاله"[2].

---

(١) تفسير القرطبي: جـ ٢٠/ ٨٣.

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: ج ٣/ ٣٧٤، مكتبة المعارف - الرباط.

• وقد روى البخاري عن عمران بن حصين قال، قال رجل: "يا رسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ فقال: نعم، قال: فلم يعمل العاملون؟! قال: "كل يعمل لما خلق له أو لما ييسر له"[١].

• والقدر الذي لا ريب في دلالة الكتاب والسُّنة والإجماع عليه، هو ما قدر الله من مقادير العباد وعامة ما يوجد من كلام الصحابة والأئمة في ذم القدرية، يعني به هؤلاء القدرية المحضة.. ". كقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، لما قيل له: ويزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف . قال أخبرهم: أني منهم بريء وأنهم مني براء"[٢].

• **هذا ومن المعلوم أن التوكل مع تعاطي الأسباب، لا يتنافى مع الإيمان بالقدر[٣].**

فاعتماد القلب على الوكيل وحده، لا يناقض حركة البدن في التعلق بالأسباب ولا ادخار المال.

فعندما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟! قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له... الحديث".

---

(١) صحيح البخاري، حديث (٦٥٩٦)، وفتح الباري: جـ ١١/ ٤٩١.
(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ، جـ ٢/ص ٣٥٨، مؤسسة الرسالة ١٤٠٨هـ.
(٣) ينظر: الحياة الدينية عند العرب/ ص ٢٥٢-٢٥٦.

لذلك كان في حس الأجيال الأولى أنه لا بد لهم من مجاراة السنن الجارية إذا رغبوا في الوصول إلى نتيجة معينة في واقع حياتهم، أي لا بد من اتخاذ الأسباب المؤدية إلى النتائج بسبب تلك السنن الجارية، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

• • ورغم اتخاذ الأسباب لم تترك هذه الأمة لتفتن بالأسباب فتظنها مؤدية - بذاتها - إلى النتائج بمعزل عن قدر الله، كما تصنع الجاهلية المعاصرة).

"ولم يكن في حس الأمة الأولى تعارض بين التسليم لقدر الله والعمل على تغيير الواقع السيء حين يكون .. إن كل شيء في هذا الوجود وفي حياة البشر، واقع بقضاء الله وقدره، لا جدال في ذلك، ولا شك فيه في نفوس المؤمنين.

ولكن الله لم يأمر الناس أن يستسلموا لقدر الله، بمعنى عدم العمل على تغيير الواقع السيء الذي هم فيه، إنما أمرهم بالتسليم أو الاستسلام لقدر الله بمعنى الرضا بما وقع بالفعل، على أنه قدر محتوم لم يكن بالإمكان تلافيه..."[١].

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب، مفهوم القضاء والقدر، مقتطفات من الصفحات (٢٦٢-٢٦٥).

«٦» الإيمان بالقدر قوة إيجابية في حياة المسلمين (١)

يزعم أصحاب المدرسة المادية أن الإنسان خالق لأفعاله، وأن الإيمان بالقدر يعطل فعالية الإنسان، لذلك اتبعوا القدرية النفاة.

بينما كان الإيمان بالقضاء والقدر قوة دافعة في حياة الأمة المسلمة، قوة إيجابية سطر المسلمون خلالها حضارة متوازنة بشجاعة وإقدام، ونشروا العدل والخير في العالم. **ومن آثار الإيمان بالقضاء والقدر:**

١- تعميق الإيمان:

فالمسلم يحس بتكامل أركان الإيمان عنده، لأن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان الستة، فتجد المسلم يشعر بطمأنينة القلب وراحة النفس، بعيدًا عن القلق في حياته، عندما يتعرض لمشاقها، فعند المصيبة يشعر المؤمن بأنها مقدرة فلا يجزع.

قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴿١١﴾ ﴾ [التغابن: ١١].

٢- الشجاعة والإقدام:

فالمؤمن يعلم أن أهل الأرض جميعًا لو اجتمعوا على أن ينفعوه،

(١) ينظر كتابنا: الحياة الدينية عند العرب/ ص ٢٥٧-٢٦٢.

لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، وإن اجتمعوا على أن يضروه، لن يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه، فلن يذل المخلوق ولن يخاف في الحق لومة لائم.

٣- مواجهة مشاق الحياة ومصائبها:

فالإيمان بأن كل شيء مقدر، يجعل المسلم يواجه المصائب بثبات ورباطة جأش، بعيداً عن الجزع والتشكي، لأن المؤمن يعلم أن الخير كله فيما قدره الله.

٤- السعي الدؤوب في عمارة الأرض:

المؤمن لن يتواكل ولن يعتمد على المخلوقين، وإنما ينحصر اعتماده على الله سبحانه وتعالى، فإذا أصيب بنكسة، فلن تقعده عن مواصلة العمل من جديد، ولن ينقطع عنده الأمل، مادام عمله في مرضاة الله في مجالات الحياة، وبذلك ترقى الأمة وتزدهر حضارتها، وتسمو فيها النفوس، وتحلو الحياة، رغم وعورة مسالكها.

• فإذا نظرنا إلى حضارة التيه والضياع، التي يسعى أصحاب النزعة المادية إلى تقليدها، وحمل المسلمين على اتباعها، فإننا نشاهد التبرم والضيق والضجر، رغم تقدم الوسائل المادية ورفاهية العيش، ذلك لأن فقدان الإيمان بالله عز وجل، وعدم الاطمئنان لما

يقدره الله سبحانه وتعالىٰ، سبب لهم كثيرًا من الأمراض النفسية والعقلية، وكثيرًا من حالات الانتحار والانهيار. . . والشواهد المعاصرة كثيرة، والعصرانيون المفتونون بحضارة الانحلال والضياع أعرف الناس بها، ولكنهم لا يعتبرون ولا يرعوون.

٥- القناعة والرضىٰ:

لأن المسلم يبتعد عن الحسد والغيرة، ولا يتطلع إلىٰ ما عند غيره من مفاتن الدنيا، وما دام مؤمنًا بأن الرزق مقدر، وأن ما عند الله خير وأبقىٰ، كما أن هذه العقيدة تبعد المسلم عن الكبر والبطر، لأنه يعلم أن ما به من نعمة فمن الله، ولو شاء لأذهب ما عنده.

٦- التوازن في الشخصية الإسلامية:

إن شعور الإنسان بذاته، ومقدرته على العمل والتصرف، ورؤيته لإنتاجه، قد يعرض هذا الإنسان إلىٰ الجحود إعجابًا بفاعليته، ويمثل هذا الانحراف إنسان الحضارة الغربية الحديثة وكل جاهلية في الدنيا.

إلا أن المسلم الذي يعتقد بالقضاء والقدر في صورته الصحيحة، يرىٰ أن هيمنة الله الشاملة علىٰ كل ما يجري في الكون وفي حياة الإنسان، ولا تلغي بنفس الوقت العمل واتخاذ الأسباب، فهذا المسلم يحس بالتوازن الرائع الجميل في نفسه، مما يعينه علىٰ القيام

بدور الخلافة الراشدة في الأرض، يعمل في الأرض وقلبه متطلع إلى السماء، وهذا هو الفارق الأساسي بين المسلم ونظيره من الجاهليين قديمًا وحديثًا[١].

• فعقيدة القضاء والقدر، كانت دفعة هائلة عند هذه الأمة، وقد صنعت بإيمانها العميق المعجزات، فكانت حضارة رائدة، عمت البشرية بالخير والعدل والنور.

ومن ثم فقد جاء طور على المسلمين المعاصرين، بدءوا ينسلخون من عقيدة القضاء والقدر، كما انسلخ سادتهم الأوروبيون من قبل، بحجة ترك العقلية الغيبية التي كانت سبب تأخرنا[٢].

• نحن بحاجة إلى التأكيد "على أن الإيمان بالقدر هدى، والاحتجاج به على الله ضلال وغيّ، فالقدر يؤمن به ولا يحتج به، فمن لم يؤمن بالقدر ضارع المجوس، ومن احتج به ضارع المشركين"[٣].

❁ ❁ ❁

---

(١) مفاهيم ينبغي أن تصحح، الأستاذ محمد قطب/ ص ٦٩-٧٧ بتصرف وإيجاز.

(٢) مفاهيم ينبغي أن تصحح / ص ٢٧٩-٢٨٢/ بإيجاز.

(٣) الفتاوى الكبرى لابن تيمية/ ج٨/ ص١١٤.





الفصل الخامس

القول بحتمية السنن في الأنفس والآفاق

١) السنن في مفهوم أهل السُّنَّة والجماعة.

٢) المفهوم البدعي للسنن عند أتباع المدرسة المادية.

٣) فتنة العصرانيين الماديين بعلوم الحضارة الغربية.



« ١ » السنن في مفهوم أهل السُّنة والجماعة

مصادر الأدلة عند المسلمين هي مصادر الشرع وأصول الدين، وهي قائمة في الكتاب والسُّنة والإجماع والقياس.

ولا يجوز الخروج عليها، ولا ترك شيء منها، أو إلغاء مصدر منها، أو إهمالها لأي مسلم[1].

• والسبيل إلى معرفة (سُّنة الله)، هو الرجوع إلى كتاب الله العظيم، وسُّنة نبيه الكريم، فما فيهما هو القول الفصل، والقانون العام الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر، فهذا البيان هو الحق المبين والقول الصدق: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلاً ﴿١٢٢﴾ ﴾ [النساء: ١٢٢].

وهو الإخبار الحق الصادق، وهذا القانون عام شامل لكل ما في العالم، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة[2].

• قال ابن تيمية - رحمه الله - "فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات" ولهذا قال بعضهم:

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي / ص ١٢١.

(٢) السنن الإلهية في الشريعة الإسلامية : د. عبد الكريم زيدان - مؤسسة الرسالة - بيروت / ١٤١٩هـ / ص١٥ وص ٢٢.

الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ومرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب"[١].

• ويذكر الدكتور عبد الكريم زيدان، في كتابه السنن الإلهية، أن البشر يخضعون لقوانين ثابتة - يسميها القرآن بالسنن - في تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة، ويتحدث عن سبع عشرة سُّنة من سنن الله.

كسُّنة الله في أمر الطغيان والطغاة، وسُّنة الله في بطر النعمة، وسنته في الذنوب والسيئات، وسُّنة الله في الإيمان والتقوى والعمل الصالح، وسنته في الترف والمترفين، وفي الظلم والظالمين، وسُّنة الله في الفتنة والابتلاء، وسنته في الأسباب والمسببات وهكذا...[٢]

• فالله سبحانه وتعالى جعل في خلقه سننًا، وأرشدنا إليها، وطلب منا التعرف عليها، والتعامل معها.

اقرأ هذه الآيات: ﴿**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا**

---

(١) الفتاوى لابن تيمية جـ ٨ ص ٧٠.

(٢) وهذه بعض موضوعات كتاب "السنن الإلهية" للدكتور عبد الكريم زيدان / تحدث الكاتب عنها مستدلاً بهدي الكتاب والسُّنة دون ضجيج ولا ادعاء.

كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣].

• وبالنظر في كتاب الله وسُنَّة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، نجد أن السنن ثلاثة أنواع:

أ- سنن خارقة للعادة ومألوف الناس: مثل الآيات والبراهين التي يجريها الله علىٰ أيدي الأنبياء عليهم السلام، والكرامات الصحيحة لأولياء الله من عباده المؤمنين.

ب- سنن جارية طبيعية: كسُنَّة الله في تعاقب الليل والنهار، والشمس والقمر، فهي تجري وفق ناموس محدد، قدره الله لها.

جـ- سنن جارية شرعية: تتعلق بأمر الله ونهيه ووعده ووعيده، مثل نصر الله لأوليائه، وإهانته لأعدائه، وابتلائه لبعض عباده المؤمنين.

وهذا النوع يدرك ويرىٰ متحققًا في الواقع من خلال النظر في التاريخ، وملاحظة مصائر الأمم وقيام الحضارات وسقوطها وأسباب ذلك[١].

---

(١) المدخل إلىٰ علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي، دار الوطن للنشر بالرياض/ ١٤٢٣هـ/ ص١٠-١١.

• قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأنعام: ٦].

• وفائدة معرفة السنن الشرعية هو التجاوب معها أمرًا ونهيًا، عملاً وامتناعًا، فإذا كانت السُّنة الربانية تطلب منا عملاً وتأمرنا بأمر، مثل سُّنة التمكين وسُّنة تحقيق النصر، وسُّنة رفع البلاء والمكروه، فلنقم بذلك الأمر حتىٰ نستجلب خير السُّنة الإلهية.

وإذا كانت تنهانا عن شيء وتطلب منا الإقلاع عنه، حتىٰ لا تحيق بنا السُّنة الربانية، فلنتجاوب مع ذلك ونتجاوز مواقع الخطأ التي قادت الجماعات البشرية السابقة إلىٰ الدمار والهلاك، والتي قص الله علينا خبرها، وبين سبب هلاكها، وأخذها في كتابه الكريم[١].

• ومن هذه السنن الربانية: سوء عاقبة المكذبين.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [النمل: ٦٩].

فالأمم السابقة: قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، وقوم شعيب، وفرعون وقومه.

---

(١) المدخل إلىٰ علم التاريخ: / ص ١٢، للدكتور محمد بن صامل السلمي.

كلهم أخذهم الله بعذاب الاستئصال في الحياة الدنيا، جزاء كفرهم بالله وتكذيبهم لرسله، وطغيانهم في الأرض[١].

• • وما جرى من تحقق هذه السُّنة في الماضي، سيجري مثله في الحاضر والمستقبل، لكل من أعرض عن ذكر الله وشرعه، إلا أن هذه الأمة مستثناه بجملتها من عذاب الاستئصال، والسُّنة العامة، استجابة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم **(أن لا يهلك أمته بسُّنة عامة)**[٢].

لأنها الأمة التي تحمل الرسالة الخاتمة، ولأنها لا تخلو من الطائفة المنصورة، القائمة بالحق إلى قيام الساعة، ولكنها في غير منجاة من المصائب والعقوبات والفتن، إذا هي قصرت في القيام برسالتها من الدعوة إلى دين الله، وتطبيقه في ذات نفسها، وجهاد أعداء الله من الكافرين والمنافقين[٣].

قال تعالى: ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾** ﴾ [البقرة: ١٥٥].

***

(١) المدخل إلى علم التاريخ للسلمي / ص ١٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث رقم (٢٨٩) من حديث ثوبان وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما.

(٣) المدخل إلى علم التاريخ للسلمي / ص١٤.

« ٢ » المفهوم البدعي للسنن عند أصحاب المدرسة المادية

عندما تناول الشيخ (جودت سعيد) مصادر الأدلة، تعامل معها من خلال نظريات علم الاجتماع الوضعي، وأخضعها للمنهج المادي، ولم يختلف عنهم إلا في تزيين أفكاره بالآيات والأحاديث، ليجعل لأفكاره قبولاً عند المسلمين.

• وقد فعل ذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

فجودت سعيد لا يخفي رأيه هنا بأن هذه الآية قد نقلت مصدر الأدلة من القرآن الكريم إلىٰ آيات الآفاق والأنفس فيقول: "هذه الآية تنقل أدلة موضوع الفكر الديني الذي تقرره آيات الآفاق والأنفس، وهذه النقلة البعيدة المدىٰ لم تكن البشرية مهيأة لها من قبل، بل لا تزال غير مهيأة لها حتىٰ الآن... وهذا ما جعل مصدر أدلة العلم والإيمان مختلفة في أذهان العالم المعاصر، فجعلوا الدين غير العلم، وأن مصدر العلم من الواقع، ومصدر الدين من الغيب، وهذه الآية تدمج الدين دمجًا كاملاً في العلم الواقعي في المحيط الإنساني، ليكون موضوع تأمل الناس"[١].

---

(١) اقرأ وربك الأكرم : جودت سعيد / ص ٢١٨.

• من هم الذين جعلوا العلم غير الدين؟! أليسوا هم سادته في أوروبا الذين ينقل عنهم هذه الآراء ؟ لقد كانت العلوم عند المسلمين منبثقة من الكتاب والسُّنة طوال عهود حضارتهم.

• "وهذه النقلة التي يقوم بها "جودت سعيد" تمثل استبدال أدلة الشرع بالدليل الحسي، بعد أن تقرر لديه تقديم الواقع المادي على النصوص... فتصبح آيات الله لديه قابلة للتأويل والتنازع، مع اعتقاده بالرجوع إلى الوجود الخارجي المادي عند الاختلاف.. وهذا مما يخرج الأدلة الشرعية عن وظيفتها الأساسية في هداية الناس وبيان الحق"[١].

• ويؤكد الشيخ جودت هذا التوجه الخطير، فيقرر أن الأدلة عن بدء الخلق ليس في الكتاب وإنما في السير في الأرض فيقول: "إن آية الآفاق والأنفس حددت مكان الدليل ومصدره، بأنه ليس الكتاب، فلا نطلب كيف بدأ الخلق من الكتاب، وإنما نطلبه من السير في الأرض والنظر، كما أمر بذلك الكتاب، فالحكم في الكتاب، والدليل في الواقع والأرض وآيات الآفاق والأنفس"[٢].

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل / ص ١٢٢.

(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٢١، جودت سعيد.

إنهـا لجرأة عـظيمـة بحق كـتاب الله، لم يتـجـرأ عليـها حـتى العلمـانيون والمـستـشرقـون، في تعطيل آيات القرآن وصـرف النظر والدليل إلى حفريات الملاحدة ونظرياتهم المتناقضة.

قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

• فالشيخ يخالف كتاب الله وسُنّة نبيه، وإجماع علماء المسلمين، بأن المرجع عند الاختلاف هو كـتاب الله وسُنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبناء على هذا التوجـه فآيات الله تحتاج إلى الشـهادة الدائمة والتـزكـية المـسـتـمرة مـن آيات الآفاق والأنفـس، من علم النفس والاجتـماع، ونظريات دارون وكانت، وفي هذا تحكم في كـتاب الله من مصدر آخر غير الوحي والأدلة الشرعية[(١)].

• ويزداد الشيـخ صراحة، ويكشف عن خـفايا انحـرافه، حـينما يقول: "وللمجادل أن يصادر آيات الكتاب، ولكنه لا يمكنه أن يصادر آيات الآفاق والأنفس، فمن هذا الجانب صار دليل الدين دليلاً عالميًا وليس دليلاً لطائفة معينة من الناس"[(٢)].

---

(١) النزعة المادية: عادل التل / ص ١٢٣.

(٢) كتاب اقرأ : جودت سعيد، ص ٢٢٢.

"يفهم من هذا أن الشيخ جودت يعطي الحق لأي إنسان أن يجادل في آيات الله، ويرفض معناها من الكتاب باعتبارها لا تصلح بمفردها، في تقديم البرهان على الحقيقة، كما يعتبر أن المعارف القديمة ظنية وتابعة للأهواء قبل أن تشهد لها العلوم المعاصرة"[(١)].

• "فحينما بدأ علم النفس والاجتماع يأخذ أدلته من الآفاق والأنفس صار علمًا.. وكذلك يكون شأن الدين حين يصير علمًا في ظل آيات الآفاق والأنفس"[(٢)].

وما أدري إلى أي مدى يذهب الكاتب في شطحاته وجرأته على كتاب الله "فلو لم تكن آيات الله كافية في إفادة العلم، لما جعل الرجوع إليها عند التنازع فرضًا على المسلمين، إن الله لم يطلب منا الانتظار حتى تظهر المكتشفات العلمية الحديثة، فنأخذ بها وندع من أجلها، آيات الله وسُنَّة نبيه"[(٣)].

• ويتضايق الشيخ جودت أشد المضايقة حينما يطالب بالعودة إلى كتاب الله، ويصر على استبدال النصوص الشرعية بالواقع المادي

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل / ص ١٢٤.

(٢) اقرأ وربك الأكرم ، (ص ٢٢٢-٢٢٣).

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ ص١٢٦.

الخارجي، أي علوم الطبيعة والمكتشفات الجديدة.

يظهر هذا من قوله: "كثيرًا ما يواجهني الشباب المتحرق إلى التعاون والتآلف وتوحيد الجهود الإسلامية - وحتى الإنسانية - بسؤال: ما السبيل إلى توحيد المسلمين أو العاملين للإسلام؟!".

• "أقول لهؤلاء: إن هذا المنهج، منهج آيات الآفاق والأنفس هو الذي سيحدد معنى الكتاب، ومعنى السُّنَّة، ومعنى فهم الناس لهما على مر التاريخ...

وقد ذكرت في أثناء ما أكتب إشارات ولمحات **إلى أهمية آيات الآفاق والأنفس، وإنهما نوع من الوحي** والأسلوب الذي يعلن به الله إرادته لخلقه... وهما طريقان لتحويل الدين إلى العلم والعالمية.. وهذا المنهج هو الطريق الذي ستتوحد به المذاهب الإسلامية، بل سيتوحد به العالم "ولتعلمن نبأه بعد حين"[(١)].

• قد لا يتعجب المسلم حين يسمع أن علمانيًا يطالب باستبعاد العمل بكتاب الله وعدم العودة إلى تطبيق الشريعة في الحياة، أما أن يصدر هذا ممن يتشدقون بالعمل والتجديد في حقل الدعوة الإسلامية،

---

(١) كتاب اقرأ لجودت سعيد: (ص ٢٢٤-٢٢٥).

فذلك أمر يدعو إلى مزيد من التأمل لهذه الظاهرة الغريبة ومتابعتها[١].

• إن اعتماد جودت سعيد على مدلول الآية "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم..." . وتفسيرها تفسيرًا منحرفًا **يخالف ما قرره علماء التفسير قديمًا وحديثًا**. انظر إلى آرائهم:

• **قال القرطبي - رحمه الله** - "سنريهم آياتنا في الآفاق، أي علامات وحدانيتنا وقدرتنا.

"في الآفاق": يعني خراب منازل الأمم الخالية.

"وفي أنفسهم": أي بالبلايا والأمراض.

• **وقال ابن كثير** - رحمه الله - : "أي سنظهر لهم دلالتنا وحججنا على كون القرآن حقًا منزلاً من عند الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدلائل خارجية: "الآفاق" من الفتوحات وظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان".

• **ولنا وقفة مع سيد قطب رحمه الله في ظلاله،** فكأنه يرد على مفتريات جودت سعيد وأمثاله حيث يقول: "إن الحقائق القرآنية حقائق نهائية قاطعة مطلقة، أما ما يصل إليه البحث الإنساني، فهو

---

(١) النزعة المادية : عادل التل / ص ١٣١.

حقائق غير نهائية ولا قاطعة، وهي مقيدة بحدود وتجارب، وظروف هذه التجارب وأدواتها... فمن الخطأ المنهجي أن نعلق الحقائق النهائية القرآنية بحقائق غير نهائية...".

"هذا بالقياس إلى "الحقائق العلمية"، والأمر أوضح بالقياس إلى النظريات والفروض: كل النظريات الفلكية، وكل النظريات الخاصة بنشأة المجتمعات وأطوارها، وكل النظريات الخاصة بنشأة الإنسان وأطواره والخاصة بنفس الإنسان وسلوكه... فهذه كلها ليست حقائق علمية، حتى بالقياس الإنساني، وإنما هي نظريات وفروض.. ومن ثم فهي قابلة دائمًا للتغيير والتعديل، والنقص والإضافة، بل قابلة لأن تنقلب رأسًا على عقب .. بتفسير جديد لمجموعة الملاحظات القديمة !!"(١).

• ويكمل رحمه الله القول بأن "كل محاولة لتعليق الإشارات القرآنية العامة، بما يصل إليه العلم من نظريات متجددة متغيرة- تحتوي أولاً على خطأ منهجي أساسي كما أنها تنطوي على معان ثلاثة كلها لا يليق بجلال القرآن الكريم.".

الأولى: هي الهزيمة الداخلية، التي تخيل لبعض الناس أن العلم هو المهيمن والقرآن تابع.. والعلم ما يزال في موضوعه ينقصه اليوم

---

(١) في ظلال القرآن : سيد قطب / جـ ٢/ ص ١٨٢.

ما أثبته بالأمس.. وكل ما يصل إليه غير نهائي ولا مطلق، لأنه مقيد بوسط الإنسان وعقله وأدواته.

والثانية: سوء فهم طبيعة القرآن ووظيفته، وهي أنه حقيقة نهائية مطلقة، تعالج بناء الإنسان بناء يتفق مع طبيعة هذا الوجود وناموسه الإلهي.

والثالثة: هي التأويل المستمر - مع التمحل والتكلف - لنصوص القرآن الكريم كي نحملها ونلهث بها وراء الفروض والنظريات التي لا تثبت ولا تستقر، وكل يوم يجد فيها جديد.

وكل ذلك لا يتفق وجلال القرآن، كما أنه يحتوي على خطأ منهجي كما أسلفنا.

• ولكن هذا لا يعني ألا ننتفع بما يكشفه العلم من نظريات - ومن حقائق - عن الكون والحياة والإنسان في فهم القرآن.. كلا إن هذا ليس هو الذي عنينا بذلك البيان، بل نظل نتدبر كل ما يكشفه العلم في الآفاق والأنفس من آيات الله.. ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[1].

• هذا هو فهم علماء المسلمين وكبار المفسرين الثقات، وليس فهم الماديين وأهل البدع والأهواء.

---

(١) في ظلال القرآن / جـ ١/ ص ١٨٢، بإيجاز يسير.

«٣» فتنة أتباع المدرسة المادية بعلوم الحضارة الغربية

هذا العلم الذي يقدمه جودت وأصحابه على النصوص اليقينية هو ميراث الصراع بين الكنيسة ورجال العلم في أوروبا، بينما لم يعرف المسلمون شيئًا من ذلك خلال تاريخهم الطويل، بل إن الإسلام شجع الحركة العلمية فكانت حضارته حضارة رائدة منضبطة بالخلق والدين.

أما العلم الذي يريده جودت فهو "العلم الذي تجنب البحث عن الغاية من الخلق، والنظر في الطبيعة بدلاً من النظر فيما وراء الطبيعة، أي في عالم الحس بدلاً من عالم الغيب"(١).

• إن فتنة الشيخ جودت بالعلوم الوافدة، وفهمه لها فهمًا لا يتناسب مع تراثنا، وفهمنا لمعطيات الحضارة، هو الذي جعله يقدم تلك العلوم على النصوص الشرعية. "فالعلاقة بين الإنسان والكون تقوم على مبدأ التسخير من خلال مبدأ التسخير، وإدراك حقيقة أساسية، هي أن الله هو الذي سخر هذا الكون للإنسان، فقدره وخلقه بعد أن لم يكن، كما تفرد الخالق بالتشريع ، فالله هو الذي ينظم هذه العلاقة بين الإنسان وهذا الكون، كما نظمها بين الإنسان والإنسان، يقول تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ**

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب/ ص٢٦٣.

بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [النحل: ١٢][(١)].

• إن إصرار جودت وزمرته، على إخضاع القرآن والسُّنة إلى العلوم الإنسانية الطبيعية (الأنفس والآفاق) فهمًا وسلوكًا هو نفسه مطلب العلمانيين، حيث يقولون: إن أحكام الدين تعارض العلم، وتعارض المصلحة والواقع، فهي إنما جاءت لفترة زمنية سابقة، أو أنهم يريدون صبغ هذا الدين بصبغة غربية، باعتبار منشأ هذه العلوم، فيخضعونها لأهوائهم ومصالحهم.

كيف يكون لله الخلق والأمر - حسبما أخبر في كتابه ؟ وأوامره خاضعة لرقابة خارجية من العلوم الإنسانية الحديثة، وهي في معظمها ظنية ومتعارضة؟ إن هذا الشيء عجاب ! .

• فالتغيير عند المسلمين يبدأ من النفوس حسب منهج الكتاب والسُّنة، وليس عل منهج العلوم المتمردة على خالق السماوات والأرض، فإذا كانت الأمة على خير واستقامة، وبذل وسعي جاد، في إقامة العدل والحضارة، مكن الله لها، واستمر تمكينه ما دامت محافظة على ذلك.

---

(١) المرجع السابق/ ص ٤٣٢ - ٤٣٥.

• أما إذا قصرت أو تولت عما ذُكِّـرت به وتركت وظيفتها من الدعوة إلى دين الله، وعمارة الأرض بشرع الله، فإنه يزول عنها التمكين. . .

فلا بد من بذل الجهد، وتغيير واقع الأمة من التخلف والضعف، بامتلاك أسباب التقدم، وحتى يبدأ التحول الاجتماعي والسياسي والثقافي نحو الحضارة المتكاملة، حضارة الإسلام الخالدة كما أقامها الأسلاف[١].

لا كما يريد إقامتها الأخلاف على منهج كانت وداروين وفرويد؟!.

❀ ❀ ❀

(١) المدخل إلى علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي / ص ١٩.



استبعاد الأدلة الشرعية

الفصل الأول: القول بانتهاء النبوة.

الفصل الثاني: تحريف النصوص الشرعية بالتعطيل والتأويل.

الفصل الثالث: مفهوم العقيدة عند أتباع المدرسة المادية الجديدة.



تمهيد:

يحاول جودت سعيد وأتباع المدرسة المادية، أن يستبعدوا الأخذ بالنصوص الشرعية، ليستقيم لهم الأمر في عرض تصوراتهم المنبثقة من آراء الفلاسفة والفرق المنحرفة في التاريخ الإسلامي.

فلجأوا إلى التأويل والتعطيل، محكمين العقول على المنقول، فقالوا بانتهاء النبوة، وانتهاء عصر الخوارق والمعجزات، وأصروا على النظر في الكون، والوقوف على أخبار الأولين، واكتشاف القوانين الطبيعية وظهور المخترعات الحديثة.

فهم يعتبرون أن السنن الكونية أو القوانين الطبيعية، وآيات الأنفس والآفاق هي البديل المناسب عن الوحي والنبوة.

• وفي هذا الباب سنوضح المقصود بختم النبوة وانتهائها عند هؤلاء الماديين، ونبين مفهوم النبوة عند أهل السُّنَّة والجماعة، وأن اتباع الوحي وآيات الكتاب وصحيح الأحاديث فرض على المسلمين اتباعها، وأن تعطيل أي منها ضلال وإشراك بالله.

• ونبين أسس التعامل مع النصوص الشرعية عند أهل السُّنَّة والجماعة، ودور العقل في الشريعة الإسلامية، ونعرض نماذج من التحريف والتأويل عند كل من الشيخ جودت سعيد، والدكتور خالص جلبي، ومقارنته مع أقوال علماء السلف الثقات، وما اتفق عليه جمهور العلماء من أهل السُّنَّة والجماعة... والله الموفق.



الفصل الأول

القول بانتهاء النبوة

١) تمهيد

مفهوم النبوة عند أهل السُّنة والجماعة.

٢) القول بانتهاء النبوة عند العصرانيين ذوي النزعة المادية.

٣) بدائل النبوة عندهم:

- السنن والواقع.
- التاريخ وأحداث الكون.

٤) حقيقة النبوة: بين تعاليم الإسلام وترهات الفلاسفة.



«١» تمهيد:

مفهوم النبوة عند أهل السُّنة والجماعة

هذه فرية تجرأ على القول بها أصحاب المدرسة المادية، وفي ذلك مصادمة لما جاء في الكتاب والسُّنَّة.

قال تعالى مبينًا مهمة النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٧].

وقد قام الرسول بهذه المهمة، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة. وبين عليه الصلاة والسلام لأمته استمرار الرسالة من خلال الكتاب والسُّنَّة، حتى يأتي أمر الله.

(ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيمًا حتى تقوم الساعة)[١].

• وإن الذي يتولى مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم في التبليغ والنصح بعده، هم المؤمنون، وقد بين رسول الهدى من يقوم بهذه المهمة: "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من

---

(١) رواه الإمام البخاري برقم (٧٣١٢).

خذلهم حتى يأتي أمر الله "[١].

• ومعنى ختم الرسالة هو انقطاع الوحي، والاعتماد على الكتاب والسُّنة، فإذا أصاب الأمة وهن أو ضعف، أو انحراف عن المنهج، جاء وعد الله الصادق في قول الرسول الأمين: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"[٢].

• هذا هو مفهوم أهل السُّنة والجماعة لختم النبوة، أما أصحاب الفكر المادي، فينظرون إلى هذا الأمر من خلال منهجهم المنحرف، ويعتبرون أن النبوة مرحلة زمنية، ويرون أن هنالك بدائل عن النبوة، تتمثل في اتباع السنن، سنن الأنفس والآفاق، وفي تطور التاريخ وأحداث الكون.

***

(١) صحيح مسلم: ٣/١٥٢٣، والبخاري حديث (٧٣١١).

(٢) رواه أبو داوود في سننه ، كتاب الملاحم، وهو صحيح، ينظر سلسلة الأحاديث الصحيحة: جـ ٢/ص (١٥) رقم الحديث (٥٩٩).

« ٢ » القول بانتهاء النبوة[١]

هو أمر مقرر لدى أصحاب النزعة المادية، إذ يستخدم كل من الشيخ جودت سعيد، والدكتور خالص جلبي عبارات واضحة للدلالة على هذا المفهوم، ويتستران بأقوال للدكتور محمد إقبال في كتابه "تجديد الفكر الديني" حول هذه الفكرة، فكرة ختم النبوة أو إلغائها[٢].

• يقول محمد إقبال: "إن النبوة في الإسلام، تبلغ كمالها الأخير في إدراك الحاجة إلى ختم النبوة نفسها، وهو أمر ينطوي على إدراكها العميق، لاستحالة بقاء الوجود معتمداً على مقود يقاد منه، وإن الإنسان كي يحصل على كمال معرفته لنفسه، ينبغي أن يترك في النهاية ليعتمد على وسائله هو، من حيث مناشدة القرآن للعقل، وإصراره على النظر في الكون، والوقوف على أخبار الأولين، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة، والقرآن استعمل "لفظ الوحي" ليبين أن الوحي صفة عامة من صفات الوجود، وإن كانت حقيقته وطبيعته تختلفان باختلاف مراحل التدرج والتطور في الوجود"[٣].

---

(١) ينظر النزعة المادية لعادل التل، ص ١٤٠-١٤٣، وكتب جودت سعيد وخالص جلبي.

(٢) تجديد الفكر الديني للدكتور محمد إقبال / ص ١٤٣-١٤٥، طبعة القاهرة.

(٣) كتاب اقرأ / ص ٢٣٠، وكتاب سيكولوجية العنف لخالص جلبي / ص ٤٨- ٤٩.

• ويحاول جودت سعيد إثبات ما يذهب إليه، فيأتي بحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه، عن أنس رضي الله عنه: "أن عمرو أبابكر (رضي الله عنهما) لما زارا أم أيمن بعد وفاة الرسول "بكت فقالا: " ما يبكيك؟! ما عند الله خير لرسول الله. فقالت: أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها".

• يقول (جـودت): إن هذا الحديث فـيه توجيـه لمعنى عـميق، ويمكن أن يرى الناظر، وإن كان باب السماء أغلق من جانب، إلا أن بابًا آخر، قد فـتحه القرآن، ليكون الرسول أكثـر تابعًا، هذا الباب هو باب الآفاق والأنفس ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ﴾ [فصلت: ٥٣][١].

• ويصر أصحاب هذا الاتجاه على فكرة انتهـاء النبوة ليستقيم لهم مذهبهم، في إحلال آيات الأنفس والآفاق محل النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنة.

أي جـعل المخـترعات العلمـية، وآثار الحـفـريات، ونتائج علم الاجتـماع، دلـيلاً لهـم لإلغـاء مـعـطيات الـنبـوة وهـدي الرســول صـلى الله عليه وسـلم.

• انظر إلى قـول الدكتـور خالص جلبي، وهو يعـرض كلام إقـبال

---

(١) كتاب اقرأ / ص ١٠٠.

بإعجاب شديد، في قوله: "ويبدع الفيلسوف محمد إقبال، عندما يعتبر أن فكرة "ختم النبوة"، تعني إلغاء الامتيازات، فإبطال الإسلام للرهبنة ووراثة الملك، ومناشدة القرآن للعقل والتجربة على الدوام، وإصراره على أن النظر في الكون والوقوف على أخبار الأولين، من مصاد المعرفة الإنسانية، كل ذلك صور مختلفة لفكرة انتهاء النبوة"(١).

• ويتساءل (جلبي): ما معنى ختم النبوة ؟!.

فيجيب: "إنها فكرة عملاقة تعني نهاية مرحلة توجيه الإنسان ليقوم بنفسه، فالنبوة تحولت هكذا من نموذج قديم إلى نموذج جديد، يعتمد زخم العقل والعلم، وآيات الله في الآفاق والأنفس، والكشف عن مصادر الطبيعة والتاريخ... مع هذه الفكرة ينتهي عصر "الخوارق" والتفوق والامتيازات، فلا نبي بعد ولا خوارق تدشن... والعلم هو الذي سيحتل الساحة من خلال الكشف عن القانون وتسخيره في كل مستوى"(٢).

---

(١) من مقال لجلبي في جريدة الشرق الأوسط، وفي جريدة الرياض، العدد (١١٠٣٥) في ١٠/٩/١٩٩٨م، فهو ينقل كلام. محمد إقبال في تجديد الفكر الديني في الإسلام/ ص ١٤٣-١٤٥.

(٢) جريدة الرياض ، العدد (١١٠٣٥) في ١٠/٩/١٩٩٨م.

• ويؤكد هذا المعنى، الشيخ جودت سعيد بقوله: "إن الانتقال من المعجزة إلى السنّة، هو معنى ختم النبوة... والمسلمون ما زالوا في عقلية ما قبل العلم، حين يذكرون المعجزات كنبع الماء وإكثار الطعام"[1].

ينكر جودت هنا هذه المعجزات التي جرت على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو جاءت بها الأحاديث الصحيحة، فهو ينكر كثيراً من أمور الغيب، شأنه في ذلك شأن المعتزلة من قبله.

• ولا يخفي الشيخ جودت رأيه في ضرورة انتهاء النبوة وتسليم مهمتها إلى مرحلة جديدة، مختلفة عما سبق في الوسائل والأهداف.

يقول: "ويمكن النظر إلى فكرة ختم النبوة من جانب آخر، على أنها فكرة، تعلن انتهاء الدورات الحضارية"[2].

• وهذه الفكرة مستمدة من نظرية "كانت" حول مراحل التاريخ، وهي تعني أن البشرية مرت في حالات ثلاث، المرحلة الدينية، والميتافيزيقية، والوضعية، وأن الفترة التي كان فيها الأنبياء، تعتبر عند "الفيلسوف كانت" وعلماء الاجتماع، مرحلة طفولية، وهاهو

---

(١) كتاب اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٧٢.

(٢) المرجع السابق لجودت سعيد / ص ٢٣١.

جودت سعيد يتستر بقول إقبال أيضًا فيقول: "فإذا نظرنا إلى الأمر من هذه الزاوية، وجدنا أن نبي الإسلام يبدو أنه يقوم بين العالم القديم والعالم الحديث، فهو من العالم القديم باعتبار مصدر رسالته، وهو من العالم الحديث باعتبار الروح التي انطوت عليها"[١].

• فالشيخ جودت يصنف النبوة في مرحلة العالم القديم الدينية، التي تشبه مرحلة الطفولة، ولذلك فهو يؤكد على أن النبوة لا بد أ ن تدرك هذه الحقيقة، وتسلم الأمور إلى مرحلة جديدة، من خلال موعد "العقل الاستدلالي" وهو نفس ما أشار إليه الدكتور خالص جلبي في أقواله السابقة.

• ويكرر جودت سعيد القول حول هذه الفكرة: "وفي طفولة البشرية، تتطور القوة الروحانية إلى ما أسميه "الوعي النبوي"، وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي والاختيار الشخصي، وذلك بتزويد الناس بأحكام وأساليب للعمل أعدت من قبل"[٢].

• وعمومًا يظهر لنا من النصوص السابقة ما يأتي[٣]:

أ- اعتبار النبوة مرحلة تاريخية مضت، ولا تصلح لبناء الحياة الحديثة.

---

(١) كتاب العمل قدرة وإرادة : جودت سعيد/ ص ١٤٧.

(٢) العمل قدرة وإرادة / ص ١٤٧.

(٣) ينظر : النزعة المادية في العالم الإسلامي،/ ص ١٤٣.

ب- لتوحيد المثل الأعلى نحتاج إلى نظرات جديدة، وهي غير متوفرة في النبوة، لأنها من العالم القديم، ومن هنا لا يعتبر مجتمع الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا السلف الصالح مثلاً أعلى نقتدي به.

ج- إلغاء النبوة يشمل إلغاء مصدر المعرفة، الذي تقوم عليه، مثل دلالة آيات الكتاب والسُّنة النبوية.

ولذلك يصرح جودت سعيد علنًا فيقول: "الذي نريد أن نفهمه من هذا أن دلالة الكتاب يمكن أن تلغى إلغاء تامًا وكأنها غير موجودة... وأن الذي سيعلمنا ليس القرآن، وإنما نفس حوادث الكون والتاريخ، فهي التي ستعلمنا"(١).

ويؤكد ذلك بقوله: "وللمجادل أن يصادر آيات الكتاب، ولكن لا يمكنه أن يصادر آيات الآفاق والأنفس"(٢).

• فمصدر العلم والتلقي عند جودت وزمرته: هو حوادث الكون والتاريخ، وفي مواضع أخرى يذكرون الواقع والسنن، ويستبعدون أن يكون الوحي مصدرًا مستقلاً عن مصادر العلم.. ولذلك يجعلون للنبوة بدائل هي: بدائل النبوة، وهي موضوع الفقرة القادمة.

***

(١) رسالة انظروا رقم (٤٠) / ص ٨ / جودت سعيد.
(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٢٢.

«٣» بدائل النبوة[١]

لم يكن أحد يتصور ما يرمي إليه الشيخ جودت سعيد، من استخدام مصطلح "ختم النبوة" أو توقفها هو:

الإلغاء، والدعوة إلى إحلال البدائل مكان النبوة، وخاصة في كتبه الأخيرة، انظر إلى جرأته على ربه وهو يقول: "لما بدأ الاهتمام بالواقع والتفاهم مع الله بواسطة سننه، توقفت النبوة"[٢].

فهو يحدد مرحلة زمنية لهذه البداية.. ويقصد عصر النهضة العلمية في أوروبا، واكتشاف القوانين الطبيعة، وظهور المخترعات الحديثة، وتطور وسائل الانتاج.

وهي إشارة إلى الانتقال من مرحلة إلى أخرى، ضمن مراحل التاريخ التي يؤمن بها جودت وزمرته، أي الانتقال من المرحلة الدينية "النبوة"، إلى المرحلة الفلسفية العقلية، ثم المرحلة الوضعية "المادية" وسوف تظهر هذه الحقائق خلال استعراضنا لهذه البدائل[٣].

---

(١) ينظر: النزعة المادية في العالم الإسلامي، الأستاذ عادل التل/ ص١٤٣-١٥٣.

(٢) رسالة انظروا، رقم (٤٠)، ص ٧.

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي، ص ١٤٣-١٤٤.

• **فالبديل الأول عندهم: هو السنن**[١] .

فهم يعتبرون أن السنن الكونية أو القوانين الطبيعية هي البديل المناسب عن مفهوم النبوة.

يقول جودت سعيد: "ولما أصر النبي الأخير !! على النظر في الكون والاعتبار بسنن الماضين، فإنه أراد بذلك أن يشير إلى هذه الأدلة، مع أن التعامل مع الله، يجب أن يتم وفق سننه التي لا تتغير مع أهوائنا"[٢] .

• ويسخر من المسلمين الذين لا يزالون يتمسكون بالنصوص الشرعية، ويعتبرونها المرجع والأساس فيقول: "إن آيات الكتاب قد تكف عن أدائها دور العلم في ظروف معينة" .

• ويقول خالص جلبي: "لنتذكر معركة صفين، حيث رفعت المصاحف على رؤوس الرماح، دليلاً على الرغبة في التحاكم إلى النصوص... فلم يحل التحاكم إلى النصوص المشكلة، إن لم يكن قد زادها تعقيداً"[٣] .

---

(١) ينظر حتمية السنن : الباب الأول، الفصل الخامس من هذا الكتاب.

(٢) رسالة انظروا (٤٠) ص ٧/ جودت سعيد.

(٣) سيكولوجية العنف: خالص جلبي / ص ٢٤.

• إذن هم يصرون على استبعاد النصوص الشرعية، لتحل محلها السنن الكونية والقوانين الطبيعية.

• والبديل الثاني: هو الواقع[١].

إن تقديم الواقع يعني تقديم المادة: "إن صخرة ما، هي أدل على نفسها من كل كلام يقال عنها، حتى لو كان كلام الله"[٢].

ويقول الطبيب خالص جلبي مؤكداً نفس المعنى: "لقد اعتبر القرآن التاريخ مصدراً للمعرفة، تماماً مثل الطبيعة... فهذه الحقول الأولية هي كلمات الله الأساسية، والنسخة الأصلية من كلمات الله التي لا تقبل التزوير والتحريف والتفسير اللاعقلاني، فصخرة أو جبل أو شجرة أو نهر، هرم فرعوني أم سور الصين، نقش مسماري أم هيكل عظمي، أدل على نفسه بنفسه من أي نص كتب عنه، مهما كان مصدره"[٣].

• وهذا كلام خطير في تأليه الطبيعة أو الكون والواقع، فكيف تكون الصخرة المخلوقة أولى من كلام الله، الذي خلقها، وكيف يكون الهرم والجماد أولى من كلام الخالق ؟!

---

(١) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي، / ص ١٤٥-١٤٦.

(٢) رسالة انظروا (رقم ٤٠)، ص ٨ / جودت سعيد.

(٣) جريدة الرياض، العدد (١٠٤٤٧)، تاريخ ٣٠/ ١/ ١٩٩٧م.

"وما قدروا الله حق قدره".

ويؤكد جودت سعيد على أن الوجود الخارجي هو الحقيقة الثابتة فيقول: "الوجود الخارجي هو الحقيقة الثابتة، التي نرجع إليها عند الاختلاف، والصور الذهنية قابلة للزيادة والنقصان"(١).

• ويقول أيضًا: "لا بد أن يصير البحث مع الحقائق الخارجية فوق الكتب والأشخاص، وأن تكون الكتب والأشخاص عونًا على التعاون مع الحقائق الخارجية لا عقبة دونها"(٢).

ويقول كذلك: "وباختصار يجب أن ندعم الإيمان الغيبي بالله والكتاب، بآيات الآفاق والأنفس"(٣).

• ويقول الطبيب خالص جلبي: "الواقع أكبر من النصوص، لأنه يشكل المصدر، الذي يراه البشر جميعًا، لأن الواقع هو النص مجسدًا، في حين أن النصوص تتعلق بالخلفية الثقافية التي يحملها البشر، والتي بموجبها يفهمون النصوص ويتعاملون معها، ويختلفون، بل ويفتك بعضهم ببعض من أجل الخلافات في وجهات النظر، وهم

---

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ١١١ لجودت سعيد.

(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٥٥ لجودت سعيد.

(٣) التوازن الاجتماعي، جودت سعيد / ص ٤٨.

يواجهون النصوص "[١].

***

• • إن هذه النزعة تمثل اتجاهًا خطيرًا في تعطيل نصوص الشرع، ومن ثم تأليه مظاهر الطبيعة والكون والواقع الخارجي، وهو اتجاه ساد أوروبا خلال الصراع بين تعاليم الكنيسة، والنظريات العلمية الجديدة في العصور الوسطى.

"ذلك أن أوروبا هي وريثة الوثنية اليونانية والرومانية، ولم تستطع خلال احتكاكها الطويل بالإسلام في الأندلس وصقلية مثلاً، أن تخرج من وثنيتها، وتتعرف على منهج النبوات، بسبب رسوخ الوثنية في عقول أبنائها، وبسبب العداوة الرهيبة التي عمقتها الكنيسة ضد الإسلام، عن طريق الكذب والافتراء وتشويه الحقائق.

وفي هذا المناخ الوثني المادي الحاقد، انتقل منهج العلوم التجريبية عن المسلمين إلى أوروبا، وكان لا بد لهذا المنهج أن يدفع ضريبة هذا المناخ الفاسد، إضافة إلى الحرب الشرسة التي اشتعلت بين الكنيسة ورواد البحث التجريبي، وبدلاً من أن يتحرر العقل الغربي من سيطرة الوثنية المادية، قام بتثبيت هذه الوثنية في أطر جديدة، وتحت

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي / ص ٤٢.

قيادة آلهة جديدة ، منها تأليه العقل وتأليه المادة، المتمثل بالواقع الخارجي، وعبادة مظاهر الطبيعة، وأحداث الكون"(١).

• كما أن أوروبا أخذت رسالة السيد المسيح عليه السلام، بعد أن تم تحريفها على أيدي ورثة التراث الوثني الفلسفي "الإغريقي الروماني".

وقد أصبحت الرموز والأسرار الوثنية جزءاً من ديانة النصارى، وظهر الانحراف عن خط النبوات، الذي بشر به المسيح عليه السلام، ومنها عقيدة التثليث، التي تقول: بآلهة ثلاثة: "الأب والابن وروح القدس"(٢).

• **البديل الثالث: التاريخ**

يهتم أصحاب النزعة المادية بالتاريخ العام: تاريخ البشرية وعصورها القديمة المتعلقة بنشوء الحياة على الأرض، رغم ما يحيط بهذا المصدر من شبهات.

يقول الشيخ جودت سعيد: "إن الإسلام يعتبر التاريخ مصدر المعرفة "العلم"، وأقول: إن سبب انقطاع الوحي - ختم النبوة -

---

(١) مجلة المجتمع : العدد (١٥١٧) ، في ٧/٩/٢٠٠٢م من مقال للدكتور، محمد رشاد خليل، الرئيس السابق للجمعية الإسلامية الأمريكية- تكساس.

(٢) مجلة المجتمع/ نفس العدد السابق والكاتب.

بأن التاريخ صار مصدراً للمعرفة"[١].

• ويؤكد الطبيب (خالص جلبي) هذا المعنى عندما يقول: "لا يوجد مثل القرآن الكريم... ولا توجد أمة لم تستفد من كل هذه الثروة العقلية، كما فعل متأخرو المسلمين، في استعصاء عقلي عنيد، غير مفهوم وغير مبرر ولا عقلاني.. حرّكها من خانة دول المقدمة العظمى إلى خانة دول التخلف والاتباع، في لغز يحتاج فك طلاسمه إلى بحث تاريخي عقلاني موسع لاكتشاف بدايات الخلل، والتاريخ يتحرك وفق قوانين نوعية، وهو مصدر للمعرفة، وفيها محطات كبرى عقلية تأسيسية للمعرفة..."[٢].

والحقيقة أن أصحاب هذا الاتجاه يشكلون لغزاً عقلياً محيراً، غير مفهوم وغير مبرر ولا عقلاني، لغزاً شعوبياً انهزامياً هدّاماً.

• هذا وإن البحوث حول تاريخ الأرض ونشأة الحياة، لم تصمد نتائجها أمام النقد العلمي، وما هي إلا فرضيات خاضعة لمنهج الفلسفة

---

(١) ندوة في التلفاز السوري، اشترك فيها: د. محمد سعيد رمضان البوطي مع الشيخ جودت سعيد، نقلاً عن كتاب الأستاذ عادل التل، النزعة المادية / ص ١٤٨.

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٤٤٧) في ١٩٩٧/١/٣٠م.

الخيالي، حيث قسموا الأرض إلى عصور برونزية وحجرية، وقسموا تاريخ الإنسان إلى مراحل: "مرحلة بشرية ومرحلية إنسانية، وجعلوا البشرية في حالة من التوحش، ثم في حالة من العلم... وقالوا: بمراحل تاريخ الإنسانية، مرحلة الصيد والرعي فالزراعة، وحالات الإقطاع وعهد الصناعة، وهذا هو تقسيم الماركسيين، الذي لا يختلف عن تقسيم "أوغست كانت"، الذي تحدثنا عنه فيما سبق أكثر من مرة[1].

• ونكرر القول: بأن الدعوة إلى عدم الرجوع إلى النصوص الشرعية عند الاختلاف، يمثل انحرافًا عن منهج الإسلام الحنيف، ورفضًا لهذه النصوص.

قال تعالى مبينًا حكم هؤلاء: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾**﴾ [النساء: ٦٥].

***

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص١٤٨-١٤٩/. وينظر: الباب الأول من هذا الكتاب الفصلان الثاني والثالث.

البديل الرابع: أحداث الكون[١]

ويقصد بها آيات الأنفس والآفاق، أي القوانين الطبيعية والمكتشفات العلمية، ونتائج البحوث النفسية والاجتماعية وغيرها من العلوم المعاصرة، ويكاد أصحاب هذا التيار لا يملون من تكرار هذا المفهوم والدعوة إلى إلغاء دلالة الكتاب، والسير في الأرض لينظر الناس كيف بدأ الخلق !!.

• فكتاب الله هو الحكم عند المسلمين، وليس غيره، وهو الأساس، وكل ما عداه باطل.

انظر إلى قول سيد قطب - رحمه الله - وهو يوضح هذه القضية ويجليها بأتم بيان، يقول: "ومن ثم لم يكن بد، أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه المختلفون، وحكم عدل يرجع إليه المختصمون ... حيث يضع الله هذا الكتاب قاعدة للبشرية، ثم تمضي الحياة، فإما اتفقت مع هذه القاعدة، وظلت قائمة عليها، فهذا هو الحق، وإما خرجت عنها، وقامت على قواعد أخرى، فهذا هو الباطل، ولو ارتضاه الناس جميعًا"[٢].

---

(١) النزعة المادية / ص ١٥٠- ١٥٢، وينظر: الباب الأول من هذا الكتاب (فصل حتمية السنن والأنفس والآفاق).

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب، جـ ١/ ص ٢١٦/ باختصار.

•• إن الله يأمر نبيه أن يتمسك بالوحي، الذي أنزله عليه، ويصبر على ذلك إلا أن (جودت وإقبال وجلبي) يقترحون أن نتخلى عن هذا كله، ونلغي تاريخ النبوة وتعاليمها.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (١٠٩)﴾ [يونس: ١٠٩].

وقال أيضًا: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣)﴾ [الزخرف: ٤٣].

***

« ٤ » حقيقة النبوة بين تعاليم الإسلام وترهات الفلاسفة

قد لا نحتاج في تعريف النبوة وبيان حقيقتها أكثر مما ذكرنا، ذلك أن الإيمان بالرسل، هو أحد أركان الإيمان التي لا يتم إسلام المرء بدونها.

"فالإيمان بالله وملائكته وكتبه المنزلة، ورسله جميعًا واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره" هي أركان الإيمان الستة، يعرفها الأطفال عند المسلمين.

إلا أن أتباع المدرسة العصرانية من الماديين، يرون أن النبوة تأتي في مرحلة طفولة البشرية، من خلال تقسيم الحياة البشرية إلى ثلاث مراحل: "الطفولة والمراهقة والرشد".

فالنبوة عندهم تمثل الحالة البدائية في سلم تطور مراحل التاريخ، ويطلق عليها علماء الاجتماع الغربيون "المرحلة الدينية" لظهور الأنبياء فيها"[١].

• انظروا إلى كلام جودت الذي ينقله عن الدكتور محمد إقبال: "وفي طفولة البشرية، تتطور القوة الروحية، إلى ما أسميه "الوعي

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ١٥٣.

النبوي" وهو وسيلة للاقتصاد في التفكير الفردي، والاختيار الشخصي، وتزويد الناس بأحكام واختيارات جاهزة، وأساليب للعمل، أعدت من قبل"[١].

• ويقول أيضًا متسترًا - كعادته - بكلام محمد إقبال، ومتحدثًا عن مفهوم الوحي وختم النبوة: " وفي الحق إن الطريقة التي استعمل بها القرآن لفظ الوحي، تبين أنه يعتبر الوحي صفة عامة من صفات الوجود، وإن كانت حقيقته وطبيعته تختلفان باختلاف مراحل التدرج والتطور في الوجود.

• فالنبات الذي يزكو طليقًا في الفضاء، والحيوان الذي ينشئ له تطوره عضوًا جديدًا ليمكنه من التكيف مع بيئة جديدة، والإنسان المستلهم للنور من أعماق الوجود، كل أولئك أحوال من الوحي، تختلف طبيعتها وفقًا لحاجات مستقبل الوحي، أو لحاجات نوعه الذي ينتمي إليه"[٢].

***

(١) العمل قدرة وإرادة : جودت سعيد / ص ١٤٧.
(٢) العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد / ص ١٤٦.

• إن وصف النبوة بأنها قوة روحية، وأن هذه القوة الروحية تتطور إلى الوعي النبوي، إنما يمثل تصوراً للنبوة يتناقض مع كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع المسلمين في إثبات الوحي، وأن الله تعالى يوحي كتبه إلى أنبيائه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١].

وإن هذه الفكرة ليست غريبة، لأنها معروفة في تاريخ الفرق الضالة، ولدى الفلاسفة القدماء.

• • يقول ابن تيمية - رحمه الله - "والمتفلسفة الذين أثبتوا على وجه يوافق أصولهم الفاسدة - ابن سينا وأمثاله - لم يقرروا أن الأنبياء يعلمون بخبر يأتيهم عن الله سبحانه وتعالى، لا بخبر ملك ولا غيره.

بل زعموا أنهم يعلمونه بقوة عقلية لكونهم أكمل من غيرهم في قوة الحدس، ويسمون ذلك " القوة القدسية"، فحصروا علوم الأنبياء في ذلك، وكان حقيقة قولهم، أن الأنبياء من جنس غيرهم، وأنهم لم يعلموا شيئًا بالخبر، ولهذا صار هؤلاء لا يستفيدون بخبر الأنبياء"[١].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : جـ ١/ ص ١٧٩.

ويقـول أيضًا: "إن ابن سـينا من المـلاحدة الذين يتـبعـون آراء أرسطو"[١].

• ومقـارنة هذه النصوص بكلام إقبـال وجودت تظهر توافـقًا في الآراء وتطابقًا في المنهج.

فالشيخ جـودت سعيد، يصف بعض الفلاسفـة بأنهم أنبياء أو في مـقام الأنبـياء، يقـول: "إن الفلاسـفـة هم من الآمرين بالقـسط من الناس" "وإنني أعتبر سقراط في مصاف الأنبياء، نوح وسقراط ينهلان من منهل واحد"؟!

والذي يقرأ سيرة سقراط ويقرأ موقـفه أيضًا، أظن بأنه سيشعر أن سقراط من الذين لم يقصص علينا من أخبار الأنبياء، أو الذين سلكوا سلوك الأنبياء، لماّ قَبِلَ الموت ورفض العنف"[٢].

• فجـودت سعيد يبـدي هذا الإعجاب بسـقراط وكذلك بتلمـيذه أفلاطون، وهما يتبنيـان منهج الفلسفة العقلية "المبيتـافيزيقية"، ولم

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية : جـ ١/ ص ١٧٩.

(٢) مجلة دراسـات اشتراكـية في مقـابلة مع جودت سعـيد العدد الأخـير / ١٩٩٢م، نقلاً عـن النزعة الماديـة لعادل التل/ ص ١٥٥ (وقـد قال هذا الكلام في ندوة السويداء أيضًا).

يكن سقراط مسلمًا، بل كان يؤمن بالآلهة على طريقة الفلاسفة، وتصورهم عن الإله يختلف كليًا عن العقيدة الإسلامية.

• ويتابع خالص جلبي شيخه بالإشادة بسقراط وفلسفته.

يقول: "لقد أعدمت أثنيا "سقراط"، فاستقبل الموت بكل شجاعة، أعدموا ألمع دماغ في المجتمع، لقد أعدمته أثينا في أكبر حماقة تاريخية، فهو يرى أن الأفكار الجيدة تقوى بالموت في سبيلها"[(١)].

ويقول أيضًا: "كان الفيلسوف اليوناني "سقراط" الذي دفع حياته ثمنًا لأفكاره، تبعه شاب فصار مؤرخًا وشارحًا لأفكاره هو "أفلاطون".

كان سقراط فلتة عقلية مدهشة، نبتت أفكاره بعد موته في تيار عقلاني إنساني، لم يتوقف عن التأثير حتى اليوم، فقد قام بالتغيير الاجتماعي، التغيير الذي لا يبدأ إلا من الأفكار، ومن الأفراد المبدعين..."[(٢)].

•• دعوة الرسل رحمة للبشرية.

مهما حاول أصحاب التيار العقلاني المادي الإشادة بملاحدة

---

(١) مجلة المعرفة: العدد (١٩)، الشهر العاشر/ ١٤١٧هـ.

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٨٦٠)، مارس / ١٩٩٨م.

الفلاسفة فإنه "لا سبيل إلى السعادة والفلاح، لا في الدنيا ولا في الآخرة، إلاّ على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصيل إلاّ من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم.. وما جاءوا به فهو الميزان الذي على أقوالهم وأخلاقهم وأعمالهم، توزن الأخلاق والأعمال والأقوال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال"[١].

❁ ❁ ❁

(١) زاد المعاد لابن القيم/ جـ ١/ ص ١٥، دار الفكر/ ١٣٩٢هـ.

الفصل الثاني

تعطيل النصوص الشرعية بالتحريف والتأويل

١) أسس التعامل مع النصوص الشرعية عند أهل السُّنة والجماعة.

٢) دور العقل في الشريعة الإسلامية.

٣) نماذج من التحريف والتأويل عند الشيخ جودت سعيد في:

- مفهوم العلم والقراءة.
- مفهوم الجهاد والقتال.
- ومفهوم الغاية من الخلق.

٤) نماذج من تحريفات الدكتور خالص جلبي:

- في الآيات القرآنية.
- والأحاديث النبوية.
- والمعاني الشرعية.

« ١ » أسس التعامل مع النصوص الشرعية عند أهل السُّنة والجماعة

• القاعدة الأساسية التي يقوم عليها منهج التفكير الإسلامي، هي الانطلاق من النصوص الشرعية، المتمثلة في القرآن والسُّنة، وتكون القيمة الكبرى في هذا المنهج لهذه النصوص، وتقدم على مصادر العلم الأخرى أيًا كانت.

بينما يقوم أصحاب الفكر المادي بإقحام مصادر العلم المادي المحسوس لتكون هي مصادرهم في التشريع، وهذا هو مكمن الداء والخطر.

• فالأصل في مجال العقيدة، أن يكون إثبات النصوص كما جاءت دون تأويل ولا تعطيل أو تشبيه أو تفويض، كما فهمها الصحابة الذين عايشوا التنزيل، وتلقوها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما تلقاها خيار التابعين عن الصحابة وفهموها حق الفهم، وكل من سار على هذا المنهج، من حيث الإيمان بهذه النصوص، وقبولها والانقياد لأحكامها، فهو على الجادة إن شاء الله[١].

• **ويقصد بالتعطيل**: أي تعطيل تلك النصوص الشرعية، أو إلغاء دلالاتها، أو اعتبارها غير صالحة للعمل أو الاعتقاد.

---

(١) ينظر النزعة المادية في العالم الإسلامي : عادل التل/ س ١٧.

وقد عرف أهل التعطيل في تاريخ الإسلام **بالجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان** الذي أنكر صفات الباري سبحانه والتي وصف بها نفسه في كتابه، أو التي وصفها به نبيه صلى الله عليه وسلم.

فقد نفى الجهم بن صفوان الصفات عن الباري مثل، صفات الكلام والسمع والبصر، والمعاصرون وإن لم يتبعوا أسلوب القدماء في التعطيل، إلا أنهم يلتقون معهم في نهاية الأمر، وهو تعطيل النصوص، وإلغاء العمل بها، كما صرح بذلك جودت سعيد مرارًا، من ذلك قوله:

"الذي أريد أن نفهمه من هذا أن دلالة الكتاب يمكن أن تلغى إلغاءً تامًا، وكأنها غير موجودة، والذي سينبه المسلمين إلى هذا، ما جاء في الكتاب من الاهتمام بالتاريخ وأحوال البشر، وحوادث التاريخ، أي أن الذي سيعلمنا ليس القرآن، وإنما نفس حوادث الكون والتاريخ هي التي ستعلمنا"[١].

• ومن ذلك قوله: "إننا لا نعرف حتى الآن معنىً لآيات الأنفس والآفاق، ولا نعرف أنها هي التي ستدل على صحة آيات الكتاب، فهل قادة الفكر في العالم الإسلامي يعتمدون آيات الآفاق والأنفس

---

(١) رسالة انظروا رقم (٤٠) ص٨، جودت سعيد.

في بيان صدق آيات الكتاب؟! .. ولهذا يجب أن نعرف مبلغ جهلنا، وأن لا نخفي هذا عن الجيل الذي يأتي بعدنا، ليعلم أن واقعنا هو نتيجة لعلمنا"[١].

• يزعم جودت سعيد وأصحاب النظرة المادية، أن الله لا يتعامل مع البشر إلا من خلال القوانين والسنن، وفي هذا إلغاء لصفة الكلام وغيرها، رغم أن هذه الصفات ثابتة في النصوص الشرعية، بما لا يدع مجالاً للشكوك التي يثيرها القدرية قديمًا وحديثًا[٢].

• ويتهم الشيخ جودت علماء المسلمين بالجهل والتخلف لأنهم لم يعتمدوا قوانين الطبيعة، ونظريات علم الاجتماع وعلم النفس، كما يفهمها "كانت وديكارت وفرويد وداروين".

• • **وقد ظهر مذهب التأويل والتحريف في تاريخنا المعاصر عند أتباع المدرسة الإصلاحية الفلسفية**: (مدرسة جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده).

فقد سارت على منهج تأويل النصوص من خلال معطيات العقل كما ظهرت هذه النزعة عند أتباع المدرسة العصرانية المادية، حيث

---

(١) العمل قدرة وإرادة : جودت سعيد ، ص ١١٩.
(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ١٩.

قامت تؤول النصوص من خلال المادة ومظاهر الطبيعة، وعلى رأس هؤلاء جودت سعيد، وخالص جلبي.

• فالنصوص عند الطبيب (خالص جلبي) لا تحل المشكلات..

انظر إلى قوله: "إن النصوص لم تحل مشكلة في يوم من الأيام، وإن القرآن بذاته تم توظيفه لحياكة أكبر خدعة سياسية في التاريخ، فرفع على رؤوس الرماح في كلمة حق يراد بها باطل، وإن الذي حكم تاريخيًا كان الغدر والسيف"(١).

• فهذا تطاول شديد على أصحاب رسول الله من جهة، وتنكر وتعطيل لأحكام كتاب الله، واستغلال لأحداث الفتن على طريقة المستشرقين من اليهود والنصارى.

• وانظر إلى قول جلبي حينما يتحدث عن معركة صفين: "إن التحاكم القديم إلى النصوص لم يحل المشكلة إن لم يكن قد زادها تعقيدًا"(٢).

• فكيف تكون نصوص الكتاب لا تحل المشاكل، والله قد أمرنا بالرجوع إليها عند الاختلاف؟ قال سبحانه: ﴿**فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ**

---

(١) مقال لخالص جلبي في الشرق الأوسط صفحة الرأي.

(٢) سيكولوجية العنف: خالص جلبي / ص٤٢.

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

• فالدكتور خالص جلبي، يرى أن مشكلة النصوص من المشكلات القديمة، التي تعيق حركة الإنسان العقلية، يظهر ذلك في قوله: "في حركة النقد الذاتي على مستوى الفكر، تطالعنا في أول الطريق مشكلة النصوص، أعني بالنص: الآية من القرآن، أو الحديث.

فهذه المشكلة قديمة قدم النص، ويجب أن تكون حركة الإنسان العقلية دومًا صاعدة"(١) !!

• فهل هناك تمرد على النصوص الشرعية أعتى من هذا التمرد ؟!

وهل هنالك من مصادمة لهدي الشرع كهذه المصادمة، خروجًا على نصوص الكتاب والسُّنَّة؟!.

قال عمر رضي الله عنه: «ما أخاف على هذه الأمة من مؤمن ينهاه إيمانه، ولا من فاسق بيّن فسقه، ولكني أخاف عليها رجلاً قد قرأ القرآن حتى أزلقه بلسانه، ثم تأوله على غير تأويله»(٢).

---

(١) في النقد الذاتي: خالص جلبي/ مؤسسة الرسالة / بيروت / ١٤٠٥.
(٢) جامع بيان العلم وفضله: ابن عبد البر، ج٢/ ص ١٩٤، توزيع دار الباز بمكة المكرمة/ ١٣٩٨هـ.

• يقول ابن تيـمية - رحمه الله - : "جـماع الفرقـان بين الحق والباطل، والهدي والضلال" أن يجعل الله ما بعث به رسله، وأنزل به كتـبه هو الحق، وما سواه من كـلام سائر الناس، يعرض عليـه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل. . . "[١].

***

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية: جـ ١٣/ ص ٣٥-٣٦.

« ٢ » دور العقل في الشريعة الإسلامية

العقل هو مناط التكليف، وله دوره في فهم النصوص الشرعية، وينحصر دوره في التلقي عن الرسالة والرسول، وليس للعقل أن يكون حاكمًا على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان، والقبول والرفض، بعد أن يتأكد من صحة صدوره عن الله... ومتى ثبت النص كان هو الحكم، وكان على العقل البشري أن يقبله، ويطيعه، وينفذه، سواء كان مدلوله مألوفًا له أو غريبًا عليه... فالمنهج الصحيح، أن يتلقى العقل النصوص الصحيحة، ويكون منها مقرراته فهي أصح من مقرراته الذاتية[١].

وضمن حدود هذه النصوص يستطيع العقل أن يبدع إبداعًا عظيمًا إيمانيًا منضبطًا.

فالنصوص أصل قائم بذاته، لا يحتاج إلى غيره، ولا يفتقر إلى سواه، ولا يكون كلام العلماء أصلاً قائمًا بذاته، بل يفتقر إلى نصوص الشرع لاعتباره واعتماده.

• قال الإمام الشاطبي - رحمه الله - : "وفي تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعًا

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب/ جـ ٢ / ٨٠٦ بإيجاز.

ضلال، وأن الحجة القاطعة، والحاكم الأعلى هو الشرع لا غير"[(١)].

• وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : "وليس لأحد أن يحتج بقول أحد في مسائل النزاع، وإنما الحجة: النص والإجماع، ودليل مستنبط من ذلك، تقرر مقدماته بالأدلة الشرعية، لا بأقوال بعض العلماء، فإن أقوال العلماء يحتج لها بالأدلة الشرعية، ولا يحتج بها على الأدلة الشرعية"[(٢)].

• ومن المعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لا ينطق عن الهوى، وأحاديثه حق، والنصوص القرآنية صحيحه وصادقة بذاتها لا بشهادة من خارجها عليها، والمؤمن بها لا يجوز أن تدركه الهزيمة أمام علم البشر، فيستشهد به على صدقها وصحتها"[(٣)].

• فليس من الإسلام أن يجادل أحد في كتاب الله، كائنًا من كان، وخاصة إذا كان دليله فاسدًا حائرًا .

ففي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان،**

---

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي: جـ ٢/ ٣٥٥.
(٢) مجموع الفتاوى جـ ٦٢/ ص ٢٠٢-٢٠٣.
(٣) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب، ص ١٦٥، الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية/ عام / ١٣٩٨هـ.

يجادل بالقرآن)[١].

• وقال عباد بن عياد الخواص الشامي: "اتقوا الله فإنكم في زمان رق فيه الورع، وحمل العلم مفسدوه، فأحبوا ان يعرفوا بحمله، فنطقوا فيه بالهوىٰ لما أدخلوا فيه من الخطأ ، وحرفوا الكلم عما تركوا من الحق، إلىٰ ما عملوا به من باطل، فكيف يهتدي المسترشد إذا كان الدليل حائراً"[٢].

***

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١/ ص ٢٢، ٤٤) رقم (١٤٣، و٣١٠) والبيهقي في شعب الإيمان رقم (١٦٤١) وقد صححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٣٩).

(٢) سنن الدارمي (١/ ٨٠٥) وحلية الأولياء لأبي نعيم: "٨/ ٢٨٣" وعباد الخواص: ثقة عابد من فضلاء الشام.

«٣» نماذج من التأويل والتحريف عند الشيخ جودت سعيد

قد عرفنا في الفصول السابقة منهج الشيخ جودت في تحريف معاني الآيات، إذ كان ينتقي منها ما يشاء ويبتر ما يشاء، مع مخالفته لأصول التفسير عند علماء المسلمين المعتمدين في هذا الجانب كالقرطبي وابن كثير وابن جرير الطبري، فهم أئمة هذا الميدان.

• من ذلك آية الأنفس والآفاق، وآية السير في الأرض لمعرفة كيف بدأ الخلق، والآيات التي تتحدث عن مشيئة الله سبحانه وتعالى[١].

• وفيما يأتي نماذج أخرى من هذا المنهج الفاسد، فهو يعتمد على معان غامضة لمفهوم العلم والقراءة والجهاد وتحريفات بينة لمفهوم الغاية من الخلق، كل ذلك بتعطيل متعمد لمعاني الآيات، أو تأويلها وتحريفها[٢].

• **فالعلم عند الشيخ جودت سعيد**: له مفهومه الخاص، رغم أنه يعترف بعدم استطاعته تقديم تعريف واضح للعلم[٣].

---

(١) انظر : الباب الأول من هذا الكتاب.

(٢) ينظر: التفسير المادي للقرآن، من كتاب النزعة المادية لعادل التل (ص ٢٢٣-٢٣٩).

(٣) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد، ص ١٧.

لكن المهم لديه أن يقرر رفضه لمفهوم العلم عند المسلمين قديمًا وحديثًا. يقول: "فتصور المسلمين للعلم وخاصة عند المعاصرين، ليس كالتصور الذي أفهمه من القرآن"(١).

ففهمه للعلم فريد من نوعه، تحدى به علوم الأوائل والأواخر، لماذا؟! . لأنه يريد من ذلك أن يجعل العلم الحسي حكمًا وشاهدًا على آيات الله "سيصبح الدين علمًا، ويغدو عالميًا، حين تشهد له آيات الأنفس والآفاق، التي لها حق المعرفة، وسيكون ذلك سببًا لدخول الناس في دين الله أفواجًا".

• وقد وضع الشيخ جودت لهذا العلم شروطًا حية، وجعل له سلطانًا على دين الله فقال: "كما بسط العلم سلطانه على الفلك والكيمياء والطب، فسوف يبسط سلطانه أيضًا على الدين، ويكون ذلك في صالح الدين الحق"(٢).

• فكتابات الشيخ جودت (وخاصة الأخيرة) في كتابه "اقرأ وربك الأكرم"، و "رسائل انظروا"، لا يوجد فيها أي اعتراف بأن القرآن مصدر مستقل للعلم والمعرفة، ويستبعد كذلك السُّنة النبوية، وإن كان

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ١٨. جودت سعيد.

(٢) السابق / ص ١٩.

يستشهد بهما أحيانًا، لإقناع المسلمين بمنهجه المادي ليس إلا.

فهو يكرر القول: "والحكم عند النزاع هو العلم وليس غيره"[(١)].

ويقول دائمًا: "وحين علق الله أدلة الدين بآيات الآفاق والأنفس، فإن ذلك يدل على بلوغ البشرية درجة النضج في تلك المرحلة، لأن أدلة الدين لم تعد غيبًا"[(٢)].

• وبذلك فإن محاولته دمج العلم في الدين، أو دمج المنهج المادي بالمنهج الإسلامي، واستخدام المنهج التجريبي في أمور الغيب، وتعميم هذا المنهج، يعتبر هذا كله انحرافًا كبيرًا عن منهج الإسلام، وقد قاده هذا المنهج ليقول: "إن الإنسان ليتصاغر أمام من هو أقرأ منه". "أجل إن من يقرأ أكثر ينل أكثر، إنه قانون الله: "من يعمل سوءًا يجز به"[(٣)].

• ففي قوله: "إن الإنسان يتصاغر أمام من هو أقرأ منه" مغالطة كبيرة، وابتعاد عن الموضوعية، فليست القضية من هو أقرأ ؟! ولا عدد الكتب التي تمت قراءتها... فربما تكون تلك القراءة فيما لا

---

(١) العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد، ص ٥٧.

(٢) المرجع السابق/ ص ٢١٤-٢١٥.

(٣) كتاب اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ص ٢٧.

يجدي نفعًا ولا يفيد علمًا".

"وهنالك فرق كبير بين الذين يعلمون ويؤمنون بالله، وبين الذين لا يعلمون، وهم يكفرون بالله ورسالاته.

إلا أن جودت سعيد، يجعل الذين يعلمون هم القارئون، والذين لا يعلمون هم الذين لا يقرأون، وجعل هذا سنة الله، أليس هذا بهتانًا عظيمًا ؟!"[١].

• • ومن أجل ذلك فهو يشيد بالجاحظ وابن المقفع، لكثرة قراءاتهما، رغم منهجهما الفاسد، فهو يجعل وظيفة القرآن إحالة المخاطبين إما إلى الماضي أو إلى المستقبل، كما أنه يجعل هذه الوظيفة للإنجيل أيضًا، وفي هذا دليل أنه لا يعتبر القرآن والسُّنة النبوية، هما مصدر العلم[٢].

***

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) المرجع السابق / ص ٢٣٠.

القراءة:

يضخم جودت (وصحبه) أثر القراءة حسب المفهوم المادي الذي يخدم منهجه. فيقول: "وبالقراءة يرقى الإنسان الدرجات العلا، وتنال الرقي والعلو والارتفاع، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "اقرأ وارق"، أي على قدر القراءة تنال الدرجات العلا.

فالاستعمال التقليدي للحديث الشريف يقصره على القرآن الكريم وعلى الرقي في اليوم الآخر فقط... ولكن يمكن أن يعمم الموضوع فيشمل قراءة القرآن وغيره، لأن القرآن يأمرنا بالسير في الأرض والنظر كيف بدأ الخلق... وليس الرقي للقارئ في الآخرة فقط، بل إن آيات الآفاق والأنفس تدل على أن القارئ هو الذي يرقى ويرتفع في الدنيا أيضًا"(١).

• لقد اقتطع الشيخ جودت - كعادته - جزءًا من حديث نبوي طويل: "اقرأ وارق" فقط، بينما الحديث ورد في كتب السنن، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة، اقرأ واصعد،

---

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ٣٣.

فيقرأ ويصعد لكل آية درجة، حتى يقرأ آخر شيء معه"[١].

• وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يقال لصاحب القرآن، اقرأ وارق ورتل، كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها"[٢].

• إلا أن الشيخ جودت جعل الرقي والصعود على قراءة القرآن ليس في الآخرة فقط، وإنما جعل ذلك في الحياة الدنيا، كما أنه توسع في مفهوم القراءة، لتشمل القرآن وغير القرآن، مما يشعر أنه يجعل الذين يقرؤون غير القرآن في منزلة من يقرأ القرآن، وهو الرقي، وهذا انحراف خطير وتحريف عجيب، إذا لا يمكن لأي مسلم أن يقدم على مثل هذا التعطيل للأحاديث النبوية، ثم يدعي أنه يقوم بهذا العمل وهو حسن النية [٣]!!.

• ولا يمل الشيخ من تكرار التصريح في كتابه "اقرأ" والقول: "القارءون في العالم تاريخيًا وجغرافيًا هم الأكرمون" وجعل ذلك

---

(١) صحيح الجامع الصغير للألباني: جـ ٢ حديث (٨١٢١).
(٢) سنن أبي داوود (١٤٦٤)، والإمام أحمد والحاكم وانظر: صحيح الجامع الصغير، جـ ٢/ حديث ٨١٢٢.
(٣) انظر النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٢٣٠-٢٣١.

يشمل اليـونان والأمم الوثنية الأخـرىٰ حين يقول: "إن اليـونان كانوا أكثر الناس قـراءة وكتابة أيام حضـارتهم، وهم الذين نالوا كرم الرب وكرامته بين العالم، فقد سيطروا علىٰ أكبر رقعة في العالم".

• لقـد مدح الشـيخ جودت أمم اليـونان وأثنىٰ علىٰ حضـارتهم، وأظهر انبهاره بالفتوحات التي قام بها الاسكندر، تلميذ أرسطو، ودعاه بالمعلم الأول.. وآراء أرسطو هذه التي فرقـت بين المسلمين، وبث بينهم المنهج الفلسـفي، وما يزال هذا المنهج يعـمل في هدم الإسلام وتفريق أهله، وهل كان جودت نفسه إلا من بقايا هذا المنهج[١]؟!.

• قال تعالىٰ عن الذين حصلوا علىٰ العلم الكثير والإنتاج الكبير: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

• كما أن الشيخ يرىٰ اليابان وأوروبا مثلاً يحتذىٰ، فهم أكثر الناس قراءة فـي العصر الـحديث، ولذلك فـهم يتمـتعون بـخيرات العـالم وينالون الكرم والكرامة، إنهم قراء هذا العصر، وأكثرهم صلة بالقراءة وما يتصل بها"[٢].

ثم يقول: "وإن مجرد إلقـاء نظرة علىٰ تاريخ العلماء في العالم،

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٢٣٢ بتصرف يسير.
(٢) اقرأ وربك الأكرم : جودت سعيد / ص ٢٦.

يبين لك أن القراءة الدائمة والتهام الكتب... دأب العلماء، انظر مثلاً "كتاب كليلة ودمنة"، وما وضع في مقدمته من الجهود التي بذلت في تحصيل هذا الكتاب"[١].

فالشيخ جودت يمجد ابن المقفع والجاحظ، رغم زندقة الأول وكون الثاني من أئمة البدع، فقد كان قدريًا.

قال ابن حزم عنه: "كان أحد المجان الضلال، غلب عليه الهزل"[٢].

• ثم يقول: "وإن كان لي من نصيحة أثيرة أقدمها للشباب، فهي أن يتطلعوا إلى مصادر للعلم غير المصادر التي كنا نستقي منها، لأن المصادر التي أخذنا منها العلم، لم تعطنا إلا ما يشاهدون من نتائجه المرئية الملموسة"[٣].

• فالشيخ جودت لم يفرق بين ما هو علم نافع وما هو ضار وباطل، لأنه يبتعد في ذلك عن المعايير والضوابط الشرعية، فهو يتخلص من المصادر الأصلية في تاريخنا وتراثنا، وينصح الشباب بالاستهانة بمصادرنا واتباع سبيل الضالين!.

---

(١) المرجع السابق/ ص٢٩.
(٢) سنفصل الحديث عن هؤلاء في الباب الخامس من هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى -، فصل تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة.
(٣) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٩.

مفهوم القتال

مفهوم القتال والجهاد، مفهوم غريب عند أصحاب هذه المدرسة، فهم يلتفون حول آيات الجهاد في سبيل الله، وحول الأحاديث الواردة فيه، من أجل تعطيل هذا المفهوم، بحجة الدعوة إلى مذهب "اللاعنف" "والسلم الموهوم"(١).

• فالشيخ جودت سعيد يهتم بهذا الموضوع منذ ثلاثين سنة، حينما أصدر كتابه الأول: "مذهب ابن آدم الأول"(٢).

يقول جودت سعيد: "إن الله تعالى يقول: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ... وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنفال: ٦٦].

فجودت يتعامل في التميز بين المؤمنين والكفار من خلال المواجهة والصبر على القتال، تعاملاً منحرفًا بعيدًا عن مفهوم أهل السُّنة والجماعة.

فهو يعتبر هنا أن الخصوصية في الغلبة، ليست محصورة في معركة القتال، فمعارك القتال كثيرة، معركة بناء المجتمع مثلاً تحتاج

---

(١)، (٢) سنفصل الحديث في هذا الموضوع في الباب الرابع من هذا الكتاب، ونأخذ هنا بعض النماذج الموجزة فقط عن مفهوم القتال والجهاد لديهم.

إلى التوازن نفسه، ولكن المعيار المناسب للتوازن عنده هو فقه الكافرين، حيث يقول: "ومعركة التعامل مع سنن الله على أساس الوعي أمر يشمل الكافرين والمؤمنين، وأن الفقه لسنن الله يعطي النتائج حتى للكافرين".

ولهذا قال تعالى: ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أعقبه بقوله: ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥].

"فهذا يدل على تدخل فقه الكافرين أيضًا، كمًا وكيفًا، ولا سيما الفقه لسنن الحياة الدنيا"(١).

وهذا انحراف في الفهم شديد، فالشيخ يرى أن الأعداد المذكورة في القرآن تخضع لمعيار فقه الكافرين، واختلافهم عن الكافرين الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا تعطيل لمفهوم النص الشرعي الواضح في دلالته وثبوت معناه من حيث العدد.

ويتضح انحراف فهم الشيخ وسقم ما ذهب إليه من خلال أقوال المفسرين الثقات.

---

(١) ينظر كتاب: حتى يغيروا ما بأنفسهم، في مواطن متفرقة.

• يقول ابن كثير - رحمه الله - في تفسير الآية: "يحرض تعالى نبيه والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء، ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم، أي كافيهم وناصرهم، ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم، وترادفت أمدادهم، ولو قل عدد المؤمنين"(١).

• وقال القرطبي - رحمه الله - في تفسير الفقه الذي عليه المؤمنون وغاب عن الكافرين: "إنكم تفقهون ما تقاتلون عليه، وهو الثواب، وهم لا يعلمون ما يقاتلون عليه"(٢).

• • لقد اغتر الشيخ جودت بما عند دول الغرب من تقدم في الوسائل والمعدات والأسلحة، فقلب معنى الآية، إلى مفهوم مادي، يعطل فيه آيات القرآن عن العمل، ويتجاهل المعارك التي جرت بين المسلمين والكافرين "بدر والخندق واليرموك والقادسية، التي تشهد بأن النصر من عند الله، وليس بكثرة العدد والعتاد."(٣).

• وقد كتب الشيخ جودت سعيد كتابه: "مذهب ابن آدم الأول" يشرح فيه آراءه عن القتال، وفيه تعطيل واضح لمفهوم الجهاد عند

---

(١) تفسير ابن كثير: جـ ٢/٥٠٨، طبعة دار الكتب العلمية.

(٢) تفسير القرطبي: جـ٨ ص ٤٥.

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل/ ص٢٣٦.

أهل السُّنة والجماعة.

كما كتب تلميذه الطبيب خالص جلبي عدداً من الكتب والمقالات يبشر فيها بالروح الانهزامية، ويدعو إلى نزعة استسلامية خانعة(١).

***

(١) انظر تفصيلاً لهذا الموضوع : الباب الرابع من هذا الكتاب.

الغاية من الخلق.

العلاقة بين الإنسان وربه، هي علاقة تقوم على حقيقة عبودية الإنسان لخالقه، وفيها تظهر حقيقة الألوهية.

قال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

• ويتساءل الشيخ جودت عن الغاية من الخلق، ثم يجيب قائلاً: "قد يتفاوت الناس في إدراك الحكم والأهداف"، فهو يتهرب من الإجابة الصريحة المفهومة من الآية السابقة.

وقد أجمع المفسرون على أن الغاية من الخلق هي العبادة بأوسع معانيها.

• **يقول سيد قطب - رحمه الله**[1] - : "إن هذا النص الصغير يحتوي حقيقة ضخمة هائلة، من أضخم الحقائق الكونية التي لا تستقيم حياة البشر في الأرض بدون إدراكها واستيفائها ... فهناك غاية معينة لوجود الإنس والجن، هي العبادة لله، أو هي العبودية لله.. فتستقيم حياة العبد كلها على أساس هذا الاعتبار... ومعنى

---

(١) في ظلال القرآن: جـ ٦/ ٣٣٨٦/ بإيجاز.

العبادة هنا أوسع وأشمل من مجرد الشعائر... وأن حقيقة العبادة تتمثل في أمرين رئيسيين:

الأول: هو استقرار معنى العبودية لله في النفس، أي استقرار الشعور على أن هناك عبدًا وربًا، عبدًا يَعبد وربًا يُعبد، وأن ليس وراء ذلك شيء...

الثاني: هو التوجه إلى الله بكل حركة في الضمير، وكل حركة في الجوارح، وكل حركة في الحياة، التوجه بالعبادة إلى الله خالصة، والتجرد من كل شعور آخر، وبهذا يتحقق معنى العبادة". (انتهى).

• قال تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ۝٥﴾ [البينة: ٥].

•• ولكن الشيخ جودت سعيد، قصر معنى العبادة على أمر واحد هو: معرفة السنن وكشفها، أي كشف قوانين الحياة، سواء في الأقوام، أو في الطبيعة... ولم يشر من قريب أو بعيد إلى الغاية من الخلق، كما ظهر هذا المعنى في القرآن الكريم بأحسن صورة، وأوضح عبارة.

ولن يطول بنا الاستغراب، لأن الكاتب يستخدم الأسلوب الوضعي "المادي" منهجًا له في تفسير القرآن والأحداث، والغاية من

الخلق عنده، هي كشف السنن "الآيات الربانية" ويـصبح هذا منهجًا عامًا لديه، يتناول الأقوام جميـعًا، الأقوام المؤمنة، والأقوام الكافرة، فيغيب التـمييز وتختلط الأمور، وتنحصـر الغاية من الخلق في إعمار الأرض والاستفـادة من خيراتها، وتصـبح وظيفة الإنسان حـينئذ هي تأمين المطالب المادية التي يحتاجهـا في حياته، وتصبح حياة الإنسان متشابهة مع حياة الحيوان !!.

قال تعـالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ** ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١٢].

• فالذي يميز الإنسان عن الحيوان هو الغايات العالية، والأهداف السامية، التي يسعى الإنسان لتحقيقها في مجال العبودية لله على هذه الأرض"[١].

قال تعـالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ** ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد: ٣٦].

***

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: الأستاذ عادل التل/ ص ٢٣٩.

« ٤ » نماذج من تحريفات الدكتور خالص جلبي[(١)]

دأب الدكتور خالص جلبي، شأنه شأن شيخه الشيخ جودت سعيد على أن يبتر الآيات لكريمة، فيأخذ منها ما يوافق رأيه، ويطرح جانبًا بقية الآية، دون أن يورد قول المفسرين أو بعضهم، ومن يرجع إلى كتبه ومقالاته يجد من ذلك الشيء الكثير.

• ونورد فيما يأتي نماذج من تحريفاته، في الآيات والأحاديث أو في المعاني الشرعية.

ففي الآيات الكريمة:

حاول الدكتور خالص أن يتعسف القول في آيات الجهاد خاصة، ليستقيم له رأيه ورأي مدرسته، في تأويل معانيها أو تعطيلها، دون وجه مشروع.

• فهو يقول في آية: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾: إن الأديان السماوية أنزلت من أجل أن يؤمن بها الناس... ولم يرسل الأنبياء كي يصادروا آراء الناس ويفرضوا عليهم القوة المسلحة[(٢)].

---

(١) ينظر: انحرافات خالص جلبي، إعداد سليمان بن صالح الخراشي، شبكة الإنترنت، موقع السلفيين، ويقع في (٥٤ صفحة).

(٢) ملحق الرسالة في جريدة المدينة، من مداخلة الأستاذ: رجاء جمال/ في ٢٤/ رمضان / ١٤٢٣هـ.

• والجهاد لم يشرع لنشر الإسلام، بل لحماية الرأي الآخر، ولتطبيق مبدأ "لا إكراه في الدين" أي دين أو مذهب أو عقيدة، تركًا أو اعتناقًا، والجهاد ومنه القتال المسلح، يمكن فهمه كدعوة "لحلف عالمي" يرفع الظلم عن المضطهدين في الأرض، أينما كانوا، وحتى يكون الدين لله دون إكراه.

فالجهاد لم يشرع - برأي الدكتور - لإزالة الكفر، بل لدفع الظلم، أي ظلم حتى عن المشركين ضد المسلمين، والجهاد لا يكون إلا لحماية المخالف[١].

• ومن هذا القبيل يعتبر الدكتور (خالص جلبي) أن قتال أمريكا للرئيس (سلوبودان) رئيس صربيا، هو نوع من الجهاد، وكذلك قتال أمريكا في العراق، لو أرادت تخليص الشعب من الظلم، فهو نوع من الجهاد أيضًا[٢].

• والجهاد لم يشرع (برأي الدكتور) (لتكون كلمة الله هي العليا) كما جاء في الحديث الصحيح: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي/ ص١٤-١٦.
(٢) محلق الرسالة في جريدة المدينة (المكاشفات)، الحلقة الثانية في ٣/٩/١٤٢٣هـ.

فهو في سبيل الله "[١].

• • **ويفسر الفتنة في قوله تعالى**: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة". بأنها الإكراه، وإنما هي الشرك[٢].

• • ومن تحريفاته، تفسيره للآية: "فلا اقتحم العقبة" حينما يقول: "يجب أن نعترف بأن الحوار الفعال النشط يحتاج دون شك إلى أرضية فكرية خصبة، وطاقة نفسية وتحرر فكري، وانكسار قيد التقليد، ولكنه مع هذا يبقى مفتاح دخول وتجاوز (العقبة) : "فلا اقتحم العقبة"[٣].

• والعقبة فسرتها الآيات التي بعدها "وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيمًا ذا مقربة، أو مسكينًا ذا متربة"[٤].

***

(١) مختصر صحيح مسلم، رقم (١٠٨٨) ، وصحيح الجامع الصغير رقم (٦٤١٧).

(٢) انظر ، زاد المسير، جـ ٣/ ٣٥٧.

(٣) سيكولوجية العنف / ص ٩٨.

(٤) ينظر ، انحرافات خالص جلبي، إعداد الشيخ سليمان الخراشي / ص ٣٥.

• ومن تحريفاته أيضًا قوله: " بقدر نمو الوعي والتراكم المعرفي والسمو الأخلاقي ، تتراجع مؤسسة العنف وتضمر، حتى يتخلص الجنس البشري من العنف كلية: "حتى تضع الحرب أوزارها"(١).

• فهذه الآية: لا يدل معناها - كما يزعم جلبي - على "نهاية الحرب والجهاد من العالم"، بل معناها يشهد له ما قبلها، قال تعالى: "فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب، حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق، فإما منًا بعد، وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها".

قال ابن كثير - رحمه الله - "حتى إذا أثخنتموهم"، أي أهلكتموهم قتلاً "فشدوا الوثاق" أي وثاق الأسرى الذين تأسرونهم، ثم أنتم بعد انقضاء الحرب وانفصال المعركة مخيرون في أمرهم، إن شئتم مننتم عليهم، فأطلقتم أسراهم مجانًا، وإن شئتم فاديتموهم بمال تأخذونه منهم، وتشاطرونهم عليه"(٢).

• قال ابن عباس رضي الله عنهما: "حتى تضع الحرب أوزارها" أي حتى لا يبقى أحد من المشركين، وقال قتادة "حتى لا يكون شرك"(٣).

---

(١) سيكولوجية العنف: د. خالص جلبي / ص ١٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: جـ ٤/ ص ١٧٦، طبعة مكتبة العلوم والحكم.
(٣) تفسير الطبري: جـ ١٣/ ص ٤٢.

فأين كلام السلف من فهم الدكتور السقيم المتكلف ؟!.

• ومن تحريفاته التي لا تكاد تنتهي قوله: "ربما لا يوجد كتاب كالقرآن استخدم مصطلح "ظلم النفس" ، لأن وضع اليد على هذه البؤرة الحساسة، يقود إلى حل مشكلة الإنسان والتخلص من علاقات القوة، والعودة إلى العلاقات الإنسانية، عندما يعتاد الإنسان أن يلغي آلية الآخرين ﴿بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤، ١٥] [١].

•• وجاء في تفسير هذه الآية: "أن الإنسان شهيد على نفسه بما عمل، وسوف يشهد عليه سمعه وبصره وجوارحه يوم القيامة ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ أي ولو جاءوا، واعتذروا بباطل، فلن يقبل منه" [٢].

فليس في الآية ما يذهب إليه الدكتور من عدم لوم الآخرين، مهما خالفوا الحق، وجانبوا الصراط المستقيم.

***

(١) سيكولوجية العنف: د. خالص جلبي / ص ١٨١-١٨٢.
(٢) تفسير ابن كثير: جـ ٤/ ص ٤٩٩.

•• ومن تحريفه للسُّنة النبوية:

قوله في الحديث الشريف: "إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار"[١] يقول:

"ظن بعض الناس أن هذا الحديث يخص المسلمين باعتبار الحديث، وذلك محاولة لفهم عنصري مغلق[٢]. فهو يرى أن هذا الحديث عام لكل الناس، فلو التقى مسلم وكافر بسيفيهما فالاثنان في النار، وإن كان الكافر حربيًا ؟!! وهذا لم يقل به أحد من المسلمين.

وقد جاء في فتح الباري "١٣/ ٣٤" ، "وقد حمل العلماء الوعيد المذكور في الحديث على من قاتل - أي من المسلمين - بغير تأويل سائغ، بل بمجرد طلب الملك.

• ويقول الدكتور خالص أيضًا: "وفي الحديث معنى انقلابي خفي وعميق، إذ يسوي تمامًا بين الطرفين، وبسبب بسيط "لأنه كان حريصًا على قتل صاحبه".

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣١) ومسلم برقم (٢٨٨٨).
(٢) سيكولوجية العنف/ ص ١٧٢.

وهذا فهم رائع مدهش لجوهر النزاعات البشرية وآلياتها النفسية العميقة.

والصحابة رضي الله عنهم، لم يفهموا المعنىٰ الخفي والعميق خلف دلالة كلمات الحديث، عند ما سألوا: هذا القاتل، فما بال المقتول؟[(١)].

الصحابة لم يفهموا المعنىٰ الخفي والعميق لهذا الحديث، بل فهمه المفكر الإسلامي العظيم وحده، بعد أربعة عشر قرنًا ؟!!.

***

تحريفه للمعاني الشرعية:

لقد حاول الدكتور خالص جاهدًا في تحويل العبادات إلىٰ تفسير بدعي منحرف، خالف فيه الأوائل والأواخر.

فهو يحاول تضخيم فكرة السلم، حتىٰ لم يعد يرىٰ سواها، فقد "**جعل الحج تظاهرة لإيقاف تقديم القرابين البشرية وتدشين السلام العالمي**"[(٢)].

---

(١) سيكولوجية العنف/ ص ١٩٨، وجريدة الرياض، العدد (١٠٥٩٤) ، في ٢٦/٦/١٩٩٧م.

(٢) سيكولوجية العنف : ص ٢١٠، وص ٢٢٧.

وقد جير الركن الخامس مــن أركان الإسلام، في سبيل دعم هذه الفكرة البـاطلة، زاعمًـا أن الحج إنما فـرض لإيقاف الـحرب ؟!! . متغافلاً عن الذي فرض الحج لعبادته، قد فرض الجهاد أيضًا لعبادته، وهذا هو التلبيس حقًا"[١] .

• ويزداد الأمر وضوحًا عندما يقول: "وكانــت التضحية بالحيوان ترميزًا لإحياء ذكرىٰ الإعـلان الإبراهيمي قبل أربعة آلاف سنة بالتوقف عن تقـديم القرابين البـشرية، وتوديـع عقليـة العالم القـديم في حل المشاكل بالعنف . . . " .

"فكأن إبراهيم الخليل - عليه السلام - يريد تعـميم هذه التجربة علىٰ ظهر الأرض في كل الأوقـات، لتحـويل الأرض كلها إلىٰ أرض حرام، يحــرم فيها ســفك الدماء وتقديم القــرابين البشرية، وتتــحول الأشهر كلها إلىٰ أشهر حرام"[٢] .

• يتجـاهل المفكر الإسلامي - كمـا ينعته أصـحابه - أن إبراهيم عليه السلام رسول متبع لتـعاليم السماء، وقد هم بذبح ابنه قربىٰ إلىٰ الله عندما رأىٰ في المــنام أنه يذبحه، (ورؤيا الأنبيـاء حق) ولم يفكر

---

(١) انحرافات خالص جلبي: سليمان الخراشي/ ص ٣٨-٣٩.

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٥٣١) في ١٧/ ٢/ ١٤١٧هـ.

قط بابتداع جلبي وأصحابه، عندما يريدون تحـويل العبادات إلىٰ معان جـاهلية، يحكـمون فـيهـا العـقول، ويأتون بـشيء جاهلي جـديد، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

• **أما الصوم** فله تأويل آخر: يقول: "نحن نصوم كل سنة لمدة شهر كامل، ولكننا في الغالب لا نطرح علىٰ أنفسنا السؤال: لماذا نصوم؟! وما معنىٰ الصوم ؟! بل ما هو نظام الصـوم أصلاً في تاريخ الجنس البشري، وكيف ولد وتطور، وأخذ شكل نظام مؤسسي "معقلن مشرعن" في ثلاثة أسئلة تمسك بمفاتيح هذا النظام السنوي".

"كـان الصـيـام إحـدىٰ أدوات التـحريـر الكبـرىٰ في الهند أيام (غاندي)، وأهم ما في التحرير "تحـرير النفس" من كراهية الإنجليز قبل رحيلهم، لأن العنف شـجرة خبيثة، جذورها الكـراهية، وثمرتها الخوف في علاقة جدلية . . . "[1].

• الصوم يا حضـرة الدكتور ركن من أركان الإسـلام، فرضه الله علىٰ عباده المؤمنين، ولا يحتـاج إلىٰ كل هذه التفسيرات، وليس من شريعة الإسلام أن يحرر النفوس من كراهية المستعمرين الغزاة، وإنما

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٧٩٠) ، مقال لجلبي بعنوان: الصيام كتدريب علىٰ ممارسة العنف.

لخدمة عظيمة لهم على طريقة خدمات الميرزا غلام أحمد، والسير أحمد خان، لسادتهما الإنجليز.

• إن للعبادة: عندهم معنى مائع رجراج، وليس للآخرة عندهم حضور كما ينبغي، يظهر ذلك عندما سئل الدكتور خالص جلبي: "لماذا الآخرة غير حاضرة في مشروعك أجاب بتعالٍ: "أستطيع أن أرثي لكم فقط، لأن المسلمين مشكلتهم دنيوية أرضية واقعية، وأنت تبحث في "الميتافيزيقيا"، مثل مريض السل الذي تريد معالجته هذه الأيام بالدعاء، وهي كارثة عقلية، لا حل لها في الوقت الحاضر، ما لم يحصل نقلة نوعية في التفكير، وهذه لن تحصل بدون صدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي، **والمسلمون شبعوا من الحديث عن الآخرة**"[١].

• وحينما يريد الدكتور خالص تفسير أهمية العلم في الإسلام يأتي بمفهوم عجيب إذ يقول: الألمان يعبدون العمل، إذا أردت أن تعذب ألمانيًا فاجعله يتوقف عن العمل، فالله سبحانه وتعالى يقول: "فنعم أجر العاملين" ويقول: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ**

---

(١) ملحق الرسالة في جريدة المدينة في مقابلة مع الدكتور خالص جلبي في ثلاث حلقات، ٢٤/ رمضان / ١٤٢٣هـ.

وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥][(١)].

• فهل هذه الآيات تدل على مراد الطبيب الكريم ؟! وهل مرت عليه الآيات التالية: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧)﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧] فمن الناس من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠)﴾ [البقرة: ٢٠٠]. فهل تأمل الدكتور خالص هذه الآيات وفهم معناها ؟! يظهر أنه مهتم بأمر الدنيا فقط ؟![(٢)].

• وعمومًا فإن منهج خالص جلبي، فيه تشويش كبير وتعالم شديد، وإعراض بشكل كلي أو جزئي عن أقوال أهل العلم وأهل اللغة، والمعايير الأصولية لفهم النصوص، والمقاييس العلمية للنظر فيها، وهو يأخذ النصوص الشرعية معزولة عن نظائرها، أو مبتورة عن سياقها[(٣)].

❁ ❁ ❁

---

(١) ينظر المقابلة (مكاشفات) الحلقة الأولى ٢٨/ ٨/ ١٤٢٣هـ.

(٢) ملحق الرسالة في ٢٤/ ٩/ ١٤٢٣هـ، د. سعيد بن ناصر الغامدي.

(٣) السابق / في ١٦/ ١٠/ ١٤٢٣هـ، هاني المرشد.



الفصل الثالث

مفهوم العقيدة

عند أتباع المدرسة العصرانية المادية

١) مفهوم الإيمان والتوحيد عندهم.

٢) من قضايا الإيمان عندهم: معرفة كيف بدأ الخلق.

٣) مفهوم الكفر والردة عند أصحاب هذه المدرسة.

- إنكارهم حد الردة.
- حكم المرتد شرعًا.



• تحدثنا في الفصول السابقة عن الجذور العقدية لأتباع هذه المدرسة، ولاحظنا أن الشيخ جودت سعيد، تناول أمور العقيدة في ثنايا كتبه، فجاءت متناثرة لم تكتب في بحث مستقل، وتابعه تلميذه الدكتور خالص جلبي في منهجه.

ومن أهم الأمور العقدية التي تعرضوا لها:[١]

- مفهوم الإيمان والتوحيد.
- ومعرفة كيف بدأ الخلق.
- ومفهوم الكفر والردة.

***

(١) ينظر في هذا الموضوع: النزعة المادية في العالم الإسلامي (ص ١٥٩-١٧٠).

«١» مفهوم الإيمان والتوحيد عند أتباع المدرسة المادية

الإيمان عندهم يعود إلى آراء بعض الفرق المنحرفة، كالمعتزلة والقدرية، وقد تأثروا بالمفهوم الحسي عند أصحاب المدرسة الوضعية المادية.

يقول جودت سعيد: "الإيمان ليس مجرد إيمان، وإنما هو توحيد، أي جعل الإنسان مرتبطًا بالحقائق الخارجية وتحريره من عالم الأشخاص"(١).

• وينطلق الشيخ جودت من مفهوم حسي للغيب حيث يقول: " وهكذا يصبح الغيب علمًا، عندما تكون طريقة إيماننا بالقيم السماوية كإيماننا بأي شيء محسوس"(٢).

ثم يجعل سلطانًا على دين الله حيث يقول: "كما بسط العلم سلطانه على الفلك والكيمياء والطب، فسوف يبسط سلطانه أيضًا على الدين"(٣).

• ومما لا شك فيه عند المسلمين، أن العقيدة في الإسلام، لا

(١) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد/ ص ١١٧.
(٢) المرجع السابق / ص ١١٦.
(٣) اقرأ وربك الأكرم / ص ١٢٠.

تؤخذ إلا من مصدر واحد، هو طريق الوحي، طريق النبوة.

وكما قرن الشيخ جودت مفهوم التوحيد بالوقائع الخارجية المادية، كذلك أخضع مفهوم التوحيد إلى مرحلة تطورية تاريخية، حين قال: "فالتوحيد في مبدئه ومنتهاه إنما هو إيقاظ ملكة العلم، والخروج من الوقوف عند الأصنام والأوثان، وعبادة التقليد"[١].

• ثم يعرف الإيمان بعد ذلك بقوله: "يصبح العلم في نهاية الأمر هو الإيمان، والإيمان هو العلم، والشرك هو الجهل، والجهل هو الشرك، كما أن العلم والإيمان فريضتان، فإن الجهل والشرك ذنبان لا يغفران، وعقابهما حتمي"[٢].

• هذه التعريفات تعتبر غريبة على العقيدة الإسلامية وليس صعبًا إيجاد المصادر المستمدة منها، فإن سجل فرق الكلام المنحرفة حافل بمثل هذه الآراء.

فمثلاً الجهم بن صفوان، وهو من القدرية الجبرية، ومن غلاة المرجئة يقول: "الإيمان هو المعرفة والكفر هو الجهل"[٣].

---

(١) المرجع السابق / ص ١١٧.

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٣) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ١٥٩-١٦٠.

• وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم معنى الإيمان بما لا يدع مجالاً للجدل، وذلك في حديث جبريل المشهور حين قال: (فأخبرني **عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت)**[1].

• هذا هو اعتقاد المسلمين في مسألة الإيمان قديمًا وحديثًا، قبل ازدهار العلوم وانتشارها، ولا تتغير هذه المسألة على مر الزمن، يؤمن بها العالم والأمي، إلا أن الشيخ جودت وكل من تأثر بالمنهج المادي، لم يعد عندهم للغيب أي اعتبار.

• فقد انتصر الشيخ جودت لمذهب القدرية والمعتزلة في مفهوم الاعتقاد، وأهمل المنهج الصحيح، المتمثل بمنهج أهل السُّنة، ويظهر ذلك في قوله: "من أسباب جعل سلوك البشر خارج العلم وخارج التسخير وخارج السنن أمران.

الأول: فهم العقيدة الدينية فهمًا خاطئًا، وهو أن الله يفعل ما يشاء: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان: ٣٠] فمشيئة الله لا تسلب البشر قدرتهم على التغيير وصنع مصائرهم... وإن مصائرهم بيدهم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الرعد: ١١].

---

(١) البخاري: باب الإيمان، حديث (٥٠)، ومسلم باب الإيمان (جـ ١/ ص١).

الثـاني: جـعل السلوك البـشـري خـارج نطاق العلم أو التنبؤوالتسخير، ويرجع ذلك إلى التاريخ المظلم والإلف الطويل، الذي عاشه الناس وهم لا يرون بصيصًا من الأمل في السيطرة على سلوك الإنسان وإدراك السنن فيه ... ولا يصدقون دخول العلم مجال الفلك والكيمياء والطبيعة"(١).

• يفهم مما سبق أن جودت سعيد ينتصر لمذهب المعتزلة القدرية الذين يرون أن للإنسان المشيئة التامة، دون ربطها وإخضاعها لمشيئة الله، وهذه النظرة في الاعتقاد تحمل الشيخ جودت على القول: "إذا كان عالم الأشخاص يقدم لنا العلم والتوحيد، فإن العلم والتوحيد لابد أن تجري فيهما عمليات التصحيح والضبط بشكل مستمر"(٢).

• ويتباكى جودت سعيد على العلم المظلوم في العالم الإسلامي فيقول: "هذا العلم المظلوم، الذي لم يعد له مقام في العالم الإسلامي، هو روح فقدناه، وحقيقة غبنا عنها، وما لم يرجع هذا العلم إلى المسلمين، بكل ما منحه الله من قوة وسلطان، فلن يقدر

(١) اقرأ وربك الأكرم، ص ٨٧-٨٨ بإيجاز، وينظر: النزعة المادية / عادل التل / ص ١٦٣-١٦٤.
(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٠٤.

المسلمون أن يستفيدوا من الكتاب والسُّنَّة، وسيظلون يتدحرجون تحت أقدام اللاعبين، مهما ظنوا أنهم أهل القرآن وعلم الحقيقة واليقين. . . "[(١)].

• ويتجاهل الشيخ جودت وصحبه كيف أن الإسلام يحث على العلم، ويتغافل عما قدمه المسلمون للإنسانية من علوم مختلفة، ساعدت أوروبا والعالم على النهوض من غفلتهم وتخلفهم، أيام كانوا غارقين في أوحال التخلف والجهل والظلام.

• وعمومًا **فإن أمر العقيدة ثابت، وغير قابل للتطوير والتعديل. يقول سيد قطب** - رحمه الله - محددًا **القاعدة الأصلية لتصور العقيدة**: "إن كل ما يتعلق بالحقيقة الإلهية - وهي قاعدة التصور الإسلامي - ثابت الحقيقة وثابت المفهوم أيضًا ، وغير قابل للتغيير ولا للتطوير.

حقيقة وجود الله، وسرمديته ووحدانيته وقدرته وهيمنته "إلى آخر صفات الله سبحانه وتعالى" وحقيقة أن الكون كله من خلق الله وإبداعه، وحقيقة العبودية لله، وحقيقة أن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. . شرط لصحة الأعمال

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم : جودت سعيد / ص ١٨١ .

وقبولها، وإلا فهي باطلة من الأساس، غير قابلة للتصحيح، مردودة غير محتسبة وغير مقبولة..

وحقيقة أن الدين عند الله الإسلام ، وأن الله لا يقبل من الناس دينًا سواه، وأن الإسلام معناه إفراد الله - سبحانه - بالألوهية وكل خصائصها، والاستسلام لمشيئته والرضى بالتحاكم إلى أمره ومنهجه وشريعته..

هذه وأمثالها من المقومات والقيم، كلها ثابتة وغير قابلة للتغيير ولا للتطور ... ثابتة لتتحرك ظواهر الحياة وأشكال الأوضاع في إطارها، وتظل مشدودة إليها..."[١].

• فالعقيدة الإسلامية وحدة متماسكة البناء، مترابطة الجذور كالبناء المرصوص، فمن هدم أصلاً من أصولها، فكأنما هدم البناء كله، ومن يقم بهذا فهو خارج عن دائرة الإسلام، وهذا إجماع منصوص عليه عند عامة المسلمين[٢].

***

(١) خصائص التصور الإسلامي : سيد قطب . (فصل الثبات).

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص١٦٦.

«٢» معرفة كيف بدأ الخلق

ما يزال الشيخ جودت يكرر موقفه من موضوع بداية الخلق، وبداية الإيمان، فهو يرى: "أن معرفة كيف بدأ الخلق، ينبه الإنسان إلى أن الخلق قد ينمو ويزداد ويتحسن... وقد يقود التأمل في بدء الخلق إلى التفكير في مصير الخلق"(١).

• ويطالعنا الدكتور خالص جلبي، بأن المسلمين غير قادرين على فهم نظرية دارون، ويعتبر أن بينهم وبين العلم بها سُنّة ضوئية، وهم ليسوا في مستوى مناقشة نظرية دارون(٢).

• ويعدد الشيخ جودت بعض الأمور التي تخضع للبحث، فيقول: "ينبغي أن يذكر في مقدمة كل موضوع كيف بدأ خلقه، حتى ما يتعلق بطريقة الإيمان بالله: كيف بدأ الإنسان يدرك معنى الألوهية، إذن كل موضوع له بدء خلق بالنسبة لدخوله إلى إدراك الإنسان، وبمقتضى ما تطلبه الآية، ينبغي أن نعيد النظر في كل ما نراه من حيث بدأ خلقه"(٣).

---

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢١٢.

(٢) ملحق الرسالة في جريدة المدينة، في ١٠/٩/١٤٢٣هـ.

(٣) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢١٠.

•• فإعادة النظر والبحث في أمور الاعتقاد، تقررها النصوص الشرعية فقط، وما عدا ذلك يعتبر خروجًا على هذه النصوص وتعطيلاً لمضمونها، وإن الخطر لا يكمن بمجرد إعادة النظر في هذه القضايا فحسب، وإنما في تغيير مكان الدليل، ومكان هذا العلم!![1].

• ثم يقول جودت سعيد: "إن آية - قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق - تنقل موضوع بحث معرفة كيف بدأ الخلق من آيات الكتاب إلى آيات الأنفس والآفاق والسير في الأرض"[2].

فما الحاجة الملحة لإعادة النظر بالمعارف التي يتضمنها كتاب الله أو سُنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ؟!.

إن بداية خلق الإنسان مقررة في القرآن الكريم، فمن من المسلمين لا يعرف كيف خلق الله آدم عليه السلام ؟.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: ٧].

• فهل نترك القرآن والسُّنَّة ونبحث وراء الذين ساروا في الأرض،

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ١٦٦-١٦٧.

(٢) اقرأ وربك الأكرم / ص ٢١٥.

وقاموا بالحفريات، ثم قالوا بنظرية النشوء والارتقاء"[١].

وهي ما تزال نظرية، وقد انتقدها كثير من العلماء والمفكرين.

• وعندما يطلب الشيخ جودت إعادة النظر في كيفية بدء الإنسان لإدراك معنى الألوهية... ماذا يريد من ذلك؟! فإيمان الإنسان الأول بالله سبحانه، قد قرره القرآن الكريم، وآدم عليه السلام كان نبيًا، وكان موحدًا خالصًا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

ولا يرفض هذا المفهوم إلا علماء الاجتماع الماديون، لأنهم يرفضون تلقي العقيدة من مصدر الوحي.

***

(١) ينظر تفصيلاً لهذا الموضوع: الباب الأول من هذا الكتاب.

«٣» مفهوم الكفر والردة
عند العصرانيين أصحاب النزعة المادية

يحاول أصحاب هذه النزعة وضع مسألة الكفر والإيمان من خلال مفهوم الغرب عن الدين، وفصل أمور الدين عن قضايا الحكم وأمور الحياة، فهم ينكرون حد الردة باسم الحرية غير المنضبطة بضوابط الشرع.

إنكارهم حد الردة: يقول جودت سعيد في ندوة ثقافية "الكفر ليس ذنبًا دنيويًا، والكفر ذنب أخروي، فالله يحاسب الكافر عليه، والكافر له حق أن يعيش، والملحد له حق أن يعيش محترمًا، وإن استطاع الملحد أن يقنع الناس بإلحاده فلا حرج عليه، لكنه لا يفرض رأيه بالقوة، ويجب أن نزيل التنابز بالكفر".

ثم يقول الشيخ مبينًا حق الإنسان بالإلحاد: "لكل إنسان الحق في أن يكفر" وأنت لك الحق أن تكفر، الكفر ليس عيبًا دنيويًا، العيب الدنيوي أن تظلم الناس، ولا تعطي الحق للكافر أن يعيش بالعدل"[1].

---

(١) ندوة في المركز الثقافي بحمص في شريط مسجل، بالاشتراك مع نعيم اليافي ومحمود العكام.

• وعلى نفس الخط يسير الدكتور خالص جلبي فيقول: "الخطأ يحق له أن يعيش، ولا يقتل الإنسان من أجل آرائه مهما كانت"[(١)].

ويقول معترضًا على حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم بقتل المرتد: "في المجتمع الإسلامي، مجتمع اللا إكراه، لا يقتل الإنسان من أجل آرائه أيًا كانت الأفكار، سواء تركًا أو اعتناقًا".

. . . إلى أن قال: "وهذا يفندّ الاتجاه العام للمفهوم السائد بقتل المرتد، لأن المرتد هو الذي يعتنق مبدأ ثم يتركه، فكيف تسمح الحرية الفكرية لاعتناق مبدأ ثم تحبسه فيه".

فلا حرية فكرية مع هذا الحجر، وهذه المقولة - أي قتل المرتد - تدشين العصبية الفكرية باتجاه واحد . . ."[(٢)].

• ويؤكد خالص رأيه هذا في أكثر من موضع، فهو يقول: "العقل محاصر بأسوار من النقل"، ويقول: "لا هرطقة للمختلف" أي لا تكفير لمن يأتي بأقوال مخالفة للدين.

فإذا كان لا يستباح دم الإنسان من أجل رأيه - كما يعبر عن ذلك جلبي - فلا فرق إذن بين كفر وإسلام، ولا بين إيمان ونفاق ، ولا

---

(١) سيكولوجية العنف : خالص جلبي/ ص ١٤٨.
(٢) سيكولوجية العنف: خالص جلبي/ ص ١٢٦-١٢٧.

فرق بين صدّيق وزنديق.

أنأخذ قوله: "لا هرطقة للمختلف" أم نأخذ بقول الله تعالى: "ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب، قل أبا لله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا، قد كفرتم بعد إيمانكم".

أنأخذ قول جلبي "لا يستباح دم الإنسان من أجل رأيه" أم نأخذ قول أعلم البشر وأرأف الخلق، وأعلمهم بالله، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم القائل: **(من بدل دينه فاقتلوه)**[١].

• ويستمرئ الطبيب خالص جلبي السخرية بحد الردة في الإسلام، باسم الهوس بالحرية الفكرية فيقول: " لنتصور سيارة تملك إمكانية المشي للأمام فقط، بدون إمكانية الرجوع للخلف، إن هذا يمنع المناورة، بل سيجعل حركة السيارة قريبة من المستحيل"[٢].

ويقول أيضًا: "المجتمع الإسلامي، هو المكان الوحيد المسموح فيه بممارسة كل الأفكار، والتقاء كل الثقافات بالتعايش والتعبير"[٣].

---

(١) ملحق الرسالة: د. سعيد بن ناصر الغامدي، في ١٤٢٣/٩/١٧هـ والحديث صحيح: رواه البخاري وأحمد وأهل السنن، انظر: اختصار علوم الحديث لابن كثير، لأحمد محمد شاكر/ ص ٢٥.

(٢) سيكولوجية العنف: د. خالص جلبي / ص ١٢٧.

(٣) المرجع السابق / ص ٢٣٤.

• ومما سبق من أقـوال الجلبي يعني: "أن الإسلام يقبل أن يعلن الكافر كفره، والمبتدع بدعته، دونما حساب أو عقاب !!

وهذا لا يقول به مسلم يفقه دينه[١].

• وقد حذر الرسول صلى الله عليـه وسلم من الاختلاف في دين الله، ومن البـدع، وأمر بقـتـال مشـركي العـرب، وبقـتل المـرتدين ومدعي النبوة، وبقـتال الخـوارج، فأي حـرية فكرية يزعـمها وينادي بها هذا الدكتور الفيلسوف ؟![٢].

***

(١) انحرافات خالص جلبي: إعداد سليمان الخراشي، شبكة الإنترنت/ ص ٣٩.
(٢) المرجع السابق / ص ٤٠.

حكم المرتد شرعًا:

حكم المرتد ليس من المفاهيم السائدة والخاضعة لآراء البشر، بل هو حكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن العلمانيين وأهل الأهواء لا يهتمون بالدليل، ولو كان في صريح الكتاب والسُّنة.

• فقد جاء في الحديث النبوي: **(من بدل دينه فاقتلوه)**[١].

وهو حديث صحيح، والحديث الصحيح يفيد العلم القطعي، سواء أكان في أحد الصحيحين أم في غيرهما.

• ومن الأحاديث الصحيحة في قتل المرتد قوله صلى الله عليه وسلم: **(لا يحل دم امريء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)**[٢].

• • فقتل المرتد بعد استتابته، وإقامة الحجة عليه حكم شرعي، مجمع عليه بين علماء الإسلام، كما نص عليه ابن قدامه بقوله: "وأوجب أهل العلم على وجوب قتل المرتدين"[٣].

---

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن مسعود وغيره.

(٣) المغني لابن قدامه : جـ ١٢/ ٢٦٤.

وحكى عليه الاتفـاق ابن رشد في بداية المجتـهد (ص ٩٥٤) ، وابن حزم في المحلى (ج١١/ ١٩٥) وغيرهم.

والشـريعة حكيـمة في هذا الحكم، لأن ترك المـرتد على ردته، دون عـقاب صـارم، يفتح باب التـشكيك في الإسـلام وصدقـه عند ضعاف النفوس وعوام الناس[١].

• • وقتل المرتد كان يطبق في حـياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقُتل المـرتدون في حروب الردة الشـهيـرة في خلافة أبي بكـر الصديق رضي الله عنه، "وقـد نفـذ الإمـام علي رضي الله عنه حكم القـتل في مرتدين على ملأ من الصحابة، ولم يعترض عليه أحد منهم"[٢].

• ومن الأحاديث الصحـيحة في قتل المرتـد قوله صلى الله عليه وسلم، من حديث أبي موسى الأشعري، حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليًـا على اليمن، ثم أتبعـه (بمعاذ بن جـبل) ، فلما قدم عليه قال: انزل وألقى إليه وسـادة، وإذا رجـل عنده مـوثق قال: ما هـذا؟! قال: هذا كان يهـوديًا فأسلم، ثم راجع دينه فتهـود، قال:

---

(١) من مقال: حـد الردة والروح الانهزامية: د. مصطـفى مخدوم في ملحق الرسالة بجريدة المدينة، تاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٤٢٣هـ.

(٢) مجلة المجتمع: العدد (١٥٢٧) في ١١/ رمضان / ١٤٢٣هـ.

لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله، فقال: اجلس نعم، قال: لا أجلس حتى يقتل، قضاء الله ورسوله ثلاث مرات، فأمر به فقتل".

وهذا حكم بيّن كان قد طبق في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

• والقرآن الكريم يرد على الذين ينكرون حد الردة، بحجة عدم الإكراه. قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧].

ألا يعتبر هؤلاء العصرانيون بهذا التهديد والوعيد، أم أن روح الانهزام، وتبعية الغرب تدفعهم إلى إنكار ثوابت الشريعة، في القرآن والسُّنة وأقوال الفقهاء الثقات ؟!!

فهم يتبعون تأويل الناعقين الجاحدين في تاريخ هذه الأمة أمثال: الشيخ علي عبد الرازق، الذي يرثي للمرتدين، أن مسهم الظلم وجحيم الظلام يقول: "كم نشعر بظلمة التاريخ وظلمه، كلما حاولنا أن نبحث جيداً فيما رواه لنا التاريخ عن أولئك الذين خرجوا على أبي بكر فلقبوا بالمرتدين، وعن حروبهم تلك التي لقبوها حروب الردة"[1].

---

(١) الإسلام وأصول الحكم، الشيخ علي عبد الرازق/ ص ١٧٨، طبعة أولى / ١٩٧٢م.

ومن هؤلاء العلمانيين العاقين لدين الله: الدكتور محمد شحرور، يقول في محاضرة له في دمشق: "لا يجوز قتل المرتد، وحديث من بدل دينه فاقتلوه لا يمكن أن يقوله النبي صلى الله عليه وسلم"[(١)].

***

(١) مجلة المجتمع العدد (١٥٢٧) في ١١/ رمضان/ ١٤٢٢هـ.

الباب الثالث

الفتنة بالحضارة الغربية

الفصل الأول: الهزيمة النفسية عند دعاة المدرسة العصرانية (المادية).

الفصل الثاني: تمجيد الفلاسفة والمفكرين الغربيين.

الفصل الثالث: الدعوة إلىٰ تطبيق مفاهيم الغرب في حياة المسلمين عن طريق:

١- إقامة الدولة العالمية.

٢- تطبيق الديمقراطية بمفهومها الغربي العلماني.

٣- تحرير المرأة علىٰ الطريقة العلمانية.



الفصل الأول

الهزيمة النفسية والإشادة بالحضارة المادية

١) الانبهار بالحضارة المادية.

٢) نماذج من هذا الانبهار والتمجيد بتلك الحضارة.

٣) النظرة الشعوبية لأحوال العالمين العربي والإسلامي.

٤) موقفنا من الحضارة الغربية.



« ١ » الانبهار بالحضارة الغربية

انبهر العلمانيون والعصرانيون بحضارة الغرب المادية، وما فيها من تقدم علمي وترف مادي، وانساقوا وراء شهواتهم، فصاروا يحاكون الغرب في عاداته وتقاليده، وخاصة أولئك الذين فتحوا قلوبهم وعقولهم وبيوتهم لثقافات الغرب وعاداته وفساده ومجونه.

فقد وافق ذلك خواء في العلم الشرعي، وضعفًا في التربية الإيمانية، فقويت موالاة الكفار والتشبه بهم، ضعفت البراءة منهم.

وممّن كرس هذه الهزيمة في بلدان المسلمين، قوم من بني جلدتنا، يدعون الاستنارة والتقدم، قد وقعوا في حمأة التقليد، وأهملوا إعمال العقول، فيما يضر وينفع، وزعموا أنهم دعاة تقدم وحضارة[1].

• وقد صور المودودي - رحمه الله - مرض الذل والاستسلام المخزي للفكر الوافد والغازي الدخيل، في كتابه (الحجاب) ، تحت عنوان "العبودية الفكرية" فقال: "لقد حاول بعض المسلمين تشكيل

(١) كتاب فاستقم كما أمرت: الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل ص(٨٤-٨٥) ، دار طيبة بالرياض، عام / ١٤٢٣هـ.

المجتمع المسلم على الصيغة الغربية وقبلوا الإلحاد والمادية والدهرية في نشوء التجدد، بدون حيطة ولا شعور بالعواقب، وعدوا من لوازم التنوير الفكري، إيمان المرء بكل ما بلغه الغرب من فكرة ناضجة أو فجة، والإفاضة فيه في مجالسهم . . " .

"وقد بلغت المهانة والانهزام الشنيع مبلغًا خطيرًا، حتى قلدوا هازمهم بقبول إلحاده وماديته، وهم يخجلون من تاريخهم ودينهم وتشريعهم الإلهي، وكتاب ربهم، وسُنَّة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فراحوا يوغلون في استرضاء سادتهم الغزاة في التأويل و التبديل، موافقة لهم فيما يبتغون، وتسليمًا لهم فيما يحبون . . . "(١) .

• انظر إلى الدكتور خالص جلبي وهو يدافع عن حضارة الغرب، فيأتي بمغالطات عجيبة حينما يقول: "حضارة الغرب اليوم ليست مادية فقط كما ندعي . . . ونحن لسنا في حضارة روحية تحلق في السماء !! .

فهذا تصور مغلوط . . نحن بالأصح اليوم، خارج إطار الحضارة، قد ودعناها منذ قرون، ويرى البعض أن الأمة في حالة سرطان مدنف، لا فائدة ترجى من أي علاج فيها، بما فيها مقالاتنا التحليلية

---

(١) كتاب الحجاب: أبو الأعلى المودودي/ ص ٣٩ .

التي نكتبها !!.

فكل حضارة تقوم على مجموعة من القيم، والحضارة الغربية (اليوم) لا تخرج أو تشذ عن هذا القانون"[(١)].

• فالدكتور خالص جلبي، يزعم أن حضارة الغرب ليست مادية فقط، بل هي روحية أيضًا، ونحن - المسلمين - لا نملك حضارة روحية.

• قارن هذا القول المفتون بفتات الغربيين، بما قاله الأستاذ محمد قطب - حفظه الله : "المسلم إذا عرف دينه وعرف تاريخه سينظر إلى الحضارة الغربية نظرة الأجيال الأولى (من المسلمين)، للحضارة الجاهلية التي كانت تحيط بهم، ففيها أشياء نافعة يستفيد منها (المرء) من أجل ترسيخ قدمه في الأرض، وفيها مفاسد ومهاو وموبقات، فيأخذ النافع الذي يستفيد منه، ويطوعه لعقائده ولقيمه، ولمبادئه ومفاهيمه، وينظر باستعلاء المؤمن إلى المفاسد والمهاوي والموبقات، فيبتعد عنها، ويحاذر أن يقع فيها... فيكتب له الفلاح في الدنيا والآخرة"[(٢)].

قارن أخي القاريء بين نظرة الكاتب المسلم المعتز بدينه، ونظرة

---

(١) سيكولوجية العنف : خالص جلبي / ص ٢٤٢.
(٢) المستشرقون والإسلام: الأستاذ محمد قطب / ٣٠٥-٣٠٦.

المعجب بالغرب، الظان بدينه وحضارته ظن السوء.

• لقد تعود هؤلاء المتغربون أن يشتموا آباءهم وأجدادهم بل وسلفهم الصالح، من أجل تقدم مادي مزعوم وقضايا زائفة، ينطبق عليهم ما كتبه أحد الأدباء في قوله: "فأضلوا أنفسهم فإذا هم أجساد تنبض بقلوب الغرب، وتفكر بعقوله، وإذا هم مستسلمون لكل ما تطلع به أوروبا، وإذا هم أذلاء مقلدون يحقرون أنفسهم وآباءهم وميراث حضارتهم وتاريخهم، إلا أن تعظم أوروبا أبًا من آبائهم، فيقتدوا بها... لقد أصبحوا وكأنهم أوان شرقية تملؤها أوروبا بما تشاء من حلو ومر، وجيد ورديء، فزايلتهم العزة والحمية والغيرة التي تدفعهم إلى المعالي والسمو عن مواطن الدنايا"[١].

« ٢ » نماذج من الانبهار والتمجيد بالحضارة الغربية

لقد تميزت كتابات الدكتور خالص جلبي بتمجيد حضارة الغرب تمجيدًا مبالغًا فيه، وخاصة ألمانيا التي عاش فيها سنوات وهو يكمل دراسته للطب.

هو لا يمل من الإشادة بقيم المجتمع الألماني وعاداته، بل

---

(١) كتاب المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية: الشيخ عبد الله شبانة نقلاً عن صحيفة : السياسة الأسبوعية.

وحدائق ألمانيا ومكتباتها وفلاسفتها، حتى ظننا أن الذي يتحدث عن ذلك المجتمع الغربي، ما هو إلا مستشرق متعصب ضد تراثنا، ولكنه يتكلم بلغتنا.

• "فهو معجب بالأفكار والنظريات، بل والفرضيات الغربية إلى حد الهيام".

نلاحظ اعتداده بها ونقله لها بيقينيه مطلقة، واعتماده على صحف ومجلات إخبارية، مما أدى إلى افتقار طرحه للقضايا، إلى العمق والموضوعية، فقد جمع بين العشق لما يكتب الغربيون، والانتحال له بهذا الزخم الهائل من المعلومات، وهي عبارة عن تداعيات فكرية، مربطة الأوصال بأخشاب نخرة[١].

• يقول جلبي في مقال له: "هناك العديد من القيم الإيجابية، رأيناها في المجتمع الغربي، وفي المجتمع الألماني خاصة، الذي يعتبر من قمم المجتمعات في العالم.

فألمانيا هي صيدلية العالم، وأرض الفلاسفة، ومكان الموسيقيين المبدعين لكنها في الوقت نفسه، أرض: الهولوكست ؟! ومستنقع

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة : د. سعيد بن ناصر الغامدي، في ١٤٢٣/٩/١٧هـ.

العنصرية، ومزبلة كبيرة لكل الإباحية الجنسية . . . ثم يقول: "ما يهمني من الألمان واستفدت منهم هو: أخلاقيات العمل، فالإنسان الألماني أو الغربي عمومًا ، قد يخمر في الليل ويعربد جنسيًا، لكنه في صباح اليوم التالي لا يتأخر عن العمل، لأن العمل عنده مقدس"[١].

• فألمانيا صيدلية العالم وأرض الفلاسفة. . بل ارض الفجور ومزبلة الإباحيات الجنسية ومستنقع العنصرية. . . ألخ ، هذه المتناقضات، ورغم ذلك كله فالجلبي معجب بتلك الحضارة حتى النخاع، ثم يزعم أنه مفكر إسلامي يريد التجديد في المجتمعات المتخلفة - كما يزعم-.

ويتناسى الدكتور أن: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد : ١٢].

• وفي مقال آخر له بعنوان: "تجربتي الخاصة في ألمانيا، يقول: "في ألمانيا الغربية تعرفنا، ليس فقط على تقنيات متقدمة في الطب، بل نظام معين في الحياة، وأخلاقيات عمل، وسلوك يومي تجاه الأحداث والأشخاص.

فكما أتقنا التداخل الجراحي، والأناقة في العمل، ومعنى الوقت

---

(١) جريدة الشرق الأوسط ، العدد (٧٨٨٩) في ٤/ ٧/ ٢٠٠٠م.

ودقة الإنجاز، ونظافة المكان... واستفدنا ميدانيًا من روح الديمقراطية، والنقاش الحر، والتعبير عن الرأي"[١].

• لقد بلغ حبه للشعب الألماني درجة أعمته عن كل نقائصهم نجد ذلك في الهزيمة النفسية والتبعية المهينة حينما يقول: "الشعب الألماني قد لا يحظى بالحب، وليس الحب بضاعة سائدة بينهم، ولكن لا يمكن لإنسان عاش بين أظهرهم حينًا من الدهر، ويحترم نفسه، إلا أن يحترم هذا الشعب الدؤوب، المحب للعمل، العاشق للتفصيلات، النشيط الذي يتقن عمله بأناقة، دون أن يطلب منه هذا الأداء، فالأناقة الألمانية تمشي في عروقه وتختلط بدمه، فالأرض الألمانية هي مسطح خرافي ضخم من إسقاط عقل الفيلسوف العملاق "هيجل" على الأرض"[٢].

• ويتناسى الدكتور في هذا المجال حث الإسلام أتباعه على إتقان العمل والإخلاص فيه، إلى درجة أن الساعة لو حانت آخر الزمان، وفي يد المسلم (فسيلة) فليغرسها ابتغاء للأجر، وانصياعًا للأوامر السماوية، فأين هذا من ذاك؟! إلا أن التبعية لحضارة مادية هابطة، والدعوة

---

(١) جريدة الرياض: العدد ١٠٧٧٦) في ٢٥/ ١٢/ ١٩٩٧م.

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٧٢٧) في ٦/ ١١/ ١٩٩٧م.

لتقليدها: حلوها ومرها، سيطرت على فكره ، فكتب المقالات في كل اتجاه، حتى بلغت في جريدة الرياض وحدها (٢٣٥) مقالة، ناهيك عن الشرق الأوسط وجريدة الحياة وصحف أخرى، فقلما يمر مقال إلا والإشادة رائده، والنيل من بني جلدته غايته.

• • وهذا نموذج آخر لمقال بعنوان: "الحضارة لونها أخضر". كتب يقول: "أجمل ما رأيت حقًا، ليس الخضرة فقط، التي لا تنتهي، بل الخضرة المنظمة... رأيت ألمانيا وتنظيمها، وكأنه عقل "هيجلي" بارد، قد تمدد على مسطح الأرض الخضراء بشكل منظم مدهش، فالأرض الألمانية في الواقع، هي دماغ هيجل من الاخضرار البهيج.

وأروع ما في الزهور والحدائق، احترام الأطفال لهذه الزينة البهيجة (المقدسة ؟!) فالأطفال لا يقطعون ولا يخربون بسبب ملاحقة تربوية من الأم، منذ السنوات الخمس الأولى.

ولا ينسى أن يشتم المجتمعات الشرقية في هذا السياق فيقول: "فالمجتمع الثرثار، الذي لا ينتبه إلى وقع أقدام الوقت الهارب. لم يدخل فضاء الحضارة بعد، والمجتمع الذي لا يحترم الخضرة والشجرة والزهرة، لم يشم رحيق الحضارة بعد". "إن تجربتي في ألمانيا الغربية جديرة بالتسجيل، فهناك حزمة من الأخلاقيات التي

تمنح القوة والتفوق لهذا المجتمع، فلم يتفوق ويرتفع من فراغ"[١].

• لقد أشرب (جلبي) حب هيجل الماركسي، فراح يشيد بكل شيء من أجله، أما خضرة حدائق ألمانيا فقد تغلغل حبها الرومانسي في دمه، فهو يريد أن ينقل إلى المسلمين فلسفة الحضارة لا مظاهرها، وإلا أين هو من وصف الشيخ على الطنطاوي لدمشق وحدائقها، والغوطة ومفاتنها، لقد جعلها لوحات من الجمال الفتان، بحرقة المواطن، وإخلاص المؤمن لديار المسلمين - رحمه الله-.

• ولن يكف الدكتور خالص عن الإشادة والانبهار بما شاهد في ألمانيا وأوروبا، انظر إلى ذكرياته وهو يغادر بيروت قائلاً:

"وفي بيروت وأنا نزيل الفندق في ليلة مغادرتي للشرق باتجاه الغرب، كان علي أن أغادر المنطقة مع آخر الذكريات المزعجة، فلم أعرف طعم النوم لسببين:

الأول: قرقعة "القباقيب" والثاني: صوت المذياع بأعلى صوت على الأغاني "صباح وأم كلثوم" وبالطبع أنا لست ضد الغناء إلا في هذا الوقت - وقت الراحة والنوم -.

---

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٩١٦) في ١٤/ ٥/ ١٩٩٨م.

أما في "نورمبرغ" المحطة الأولى في ألمانيا، فأخذت الانطباع الأول، ولم أنسه بقية العمر، كانت ظاهرة السكون المريح للأعصاب، وخشعت الأصوات فلا تسمع إلا همسًا . "كأن الرجل في جنات النعيم !!" .

كان شكل المطار أنيقًا نظيفًا وهادئًا، يشرف عليه عمال، تقرأ في وجوههم الكرامة قبل النظافة، عرفت أنني فارقت حضارة "الضجة والوسخ والفوضى" .

واستقبلت حضارة "النظافة والهدوء والتنظيم" منذ اللحظة الأولى بين بيروت ونورمبرغ، مكان ولادة الحزب النازي. . . أنا لم أكن زائرًا حتى أكتب: "أمريكا التي رأيت" ؟! بل عاينت القوم، ونحن نؤدي الشهادة في محكمة التاريخ وبأمانة، وبعد هذا هل نريد أن نفهم الأخلاق والقيم السرطانية في مجتمعنا ؟!"[١].

• نلاحظ في المقال السابق.

- انسلاخًا وشتمًا وتقريعًا للمجتمع الذي غادره هذا المفتون بحضارة التيه والضياع.

- وتعريضًا بصاحب كتاب "أمريكا التي رأيت" لأنه لا يريد أن

---

(١) الشرق الأوسط : العدد (٧٨٩٦) في ١١/ ٧/ ٢٠٠٠م.

يسبقه أحد لفضل الإشادة والتبعية فصاحب كتاب "أمريكا التي رأيت" تعالى على حضارة التيه والأوحال، وصورها بنفسية المؤمن المعتز بدينه، فلم يذل ولم يفقد توازنه منبهرًا كالدكتور المفتون[١] !!.

• لقد نصب الدكتور خالص من نفسه محاميًا عنيفًا ، يدافع عن حضارة أسياده مجانًا، يقول:

"خدعة كبيرة أن نزعم لأنفسنا أننا نملك مفاتيح الهدوء الروحي، في ظل حضارة روحية أمام غرب مفلس روحيًا متماسك ماديًا... فالغرب يفرز حضارة، تفرز أشياءها وأفكارها، ترتكز على خلفية أخلاقية، وهذا ليس دفاعًا عن الغرب، فهو ليس في قفص الاتهام ولا ضعيفًا، حتى أنصب نفسي للدفاع عنه، ففي سيطرته العالمية غناء عن كل هذا، وأعظم قوة فيه، هي قوة النقد الذاتي التي يقوم بها أبناؤه بالذات"[٢].

وهذا دفاع خاسر، لأنه يخالف واقع الحال، وشهادات المنصفين

---

(١) أمريكا التي رأيت: أحد كتب سيد قطب رحمه الله، كان في بعثة علمية إلى أمريكا، فصور ما شاهد هناك من قيم القوم وترهاتهم.
(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٧٢٠) في ٣٠/ أكتوبر/ ١٩٩٨م.

من أهل الغرب نفسه.

• ويتبرع الطبيب خالص أيضًا للدفاع عن العنف والمجازر داخل مدارس أمريكا فيقول:

"عندما توجه الطفلان بالأسلحة إلى المدرسة الابتدائية في ولاية "أركانساس" الأمريكية، ذهب ضحية المجزرة: مدرس وأربعة من التلاميذ قتلى مع أحد عشر جريحًا..".

"فقصة مجزرة المدرسة الأمريكية، يجب أن لا تحرض فينا منعكس "البحث عن العورات"، فمن كان بيته من زجاج، عليه ألا يضرب الآخرين بالحجارة، بل يجب علينا أن نتأمل مظاهر الصحة والقوة عندهم، نلقح بها مجتمعاتنا العاجزة"[1].

• يا لها من فتنة بحضارة الغاب والضياع، فأين الموضوعية، أين العقلانية المزعومة، حتى تبرر للوحشية والمجازر لتصبح مظاهر صحة وقوة، أيها المفكر الإسلامي العظيم؟! هل تريد أن نلقح بها مجتمعاتنا، التي نعمت بتلقيح أفكارك التقدمية بإفرازات تلك الحضارة".

• • يقول أحد الكتاب في مداخلة له على الدكتور خالص في

---

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٨٧٤) في ٢/ ٤/ ١٩٩٨م.

جريدة المدينة: "هذا الدكتور المعتنق لأفكار غربية ألمانية، متشبع الآن بالأمريكية، وهو المسالم إلى حد الخذلان، المؤمن بالعلم إلى حد النكران لعلم الغيب في الإيمان، المخضع الكون للنظريات العلمية التي تتبدل، والتي يقال عنها: إنها صحيحة قابلة للخطأ، وأقول: إنها خطأ يحتمل شيئًا من الصحة، والأدلة على ذلك كثيرة. . . ".

"هذا وإن القاريء يستشف أن البيئة المتناقضة، التي تربى فيها خالص، أفرزت فكره هذا، كما صرح هو بذلك في مكاشفاته"(١).

***

• وللشيخ جودت سعيد إشادات بحضارة اليونان وعلومهم وفلاسفتهم، نذكر من ذلك قوله: "اليونان هم الذين نالوا كرم الرب وكرامته بين العالم" بسبب أنهم كانوا أكثر الناس قراءة وكتابة أيام حضارتهم(٢).

• أي كرامة من الرب حلت بهذه الأمم، وأبرز صفاتهم: الانحراف

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، الأستاذ/ أسامة الحازمي، عضو هيئة التدريس في الكلية التقنية في جدة من مداخلة له على المكاشفات مع الدكتور خالص جلبي، في ١٤٢٣/٩/٢٤هـ.

(٢) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ص ٢٥.

والانحلال، والضلال والإلحاد ناهيك عن البغي والطغيان. . .

أليس غريبًا من الشيخ جودت أن يكون مسحوراً بما وصل أهل الجاهليات القديمة والحديثة، وهو يدعو إلى التغيير ؟!!.

أيخدع بتفوق الغربيين في العلوم والمخترعات، وهو يعلم أن سُنَّة الله سوف تدركهم وتحطمهم، كما حطمت الأمم من قبلهم ؟! أمم اليونان والرومان والفراعنة وغيرهم ؟! [١].

• فهؤلاء يستدرجون، ولن تنفعهم كثرة القراءة ولا زيادة البحوث، وسيل الاكتشافات، مالم يتمسكوا بشرع الله الذي أنزله لصالح البشر، ولسعادتهم في الدنيا والآخرة.

قال عليه الصلاة والسلام: **(إن الله عز وجل يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته)**[٢].

***

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ ص ٢٣٢.

(٢) رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظ مسلم ، انظر صحيح مسلم (١٩٩٧/٤) ، رقم الحديث (٢٥٨٣).

«٣» الشعوبية الجديدة والنظرة السوداوية :
لأحول العالمين العربي والإسلامي

يكاد لا يخلو بحث أو كتاب لجودت أو خالص، من توجيه النقد لعامة المسلمين وخاصتهم، والاستهزاء بهم وبتراثهم، يقومون بذلك رغم مدح أهل الكفر وتكريمهم.

من ذلك قول الشيخ جودت سعيد: "إننا نحن المسلمين مصابون بعمى ألوان فكري، لا ندرك بسببه كثيرًا من الأفكار" ثم استشهد بالآية الكريمة: ﴿**فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾﴾ [الحج: ٤٦].

ثم قال: "وهذا ما يصدم المسلم الذي رسخ في فكره أن عمى القلوب خاص بالكافر، وكأن المسلم يملك مناعة لمجرد انتسابه للإسلام، وهذه السذاجة نفسها من أبرز مظاهر عمى القلوب"[١].

حقًا إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والمعلوم أن المقصود بذلك هم الكفرة الذين طمس الله على قلوبهم فهم لا يعقلون.

---

(١) كتاب العمل قدرة وإرادة لجودت سعيد، ص ٢٤٨.

• ويستمر أتباع هذه النزعة الشعوبية، في نغمة التعالم والتعالي، انظر إلى قول جودت سعيد: "والسبب في بطء نمو دراسات -. تغيير ما بالنفس والمجتمع - هو أنه تكشف بعد قيمة الدراسة في الوسط الإسلامي، الذي ظل وقتاً طويلاً يرى أن: "السيف أصدق أنباء من الكتب" ولم يكن اتجاهه إلى أن "الرأي قبل شجاعة الشجعان"(١).

• وقوله: "فنحن عالة مستكبرون لا نظن أن أحدًا يملك شيئًا من الحق له قيمة، ونحن عندنا الحق كله، ومع ذلك لا نستطيع أن نخفي ذلتنا وهواننا، وهذا الهوان الفاضح هو الزاد الوحيد الآن لنجعل المسلم ينتبه!!"(٢).

• وقوله: "إن مرض المسلمين ليس في عدم وجود المخططات، بل في جمود - العقل والفكر"(٣).

• • إنه لأمر غريب حقًا، أن ينبري هؤلاء إلى تراث أمتهم (وهو ناصع مشرّف)، بالشتم والتقريع والازدراء، فلمصلحة من تكال هذه التهم للمسلمين قديمًا وحديثًا ؟!.

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم / ص ٢٧. جودت سعيد.
(٢) المرجع السابق/ ص ١٧٥.
(٣) المرجع السابق/ ص ٢١٠.

• ويبلغ التجريح غـايته عندما يقول: "وهناك تخـوف من إعمال الفكر، والهجـمات التي تشن على من يريد أن يتبـصر، وذلك سلاح له فعالية في مجتمع كسيح . . . ".

• ما أدري لمـا هذا التطاول، وما السنن التي يريد الشـيخ الوقور اتباعها ؟! سنن الأنفس والآفاق على تفـسيرات كانت وداروين وفرويد ونظرياتهم ؟!.

• • وينبري الدكتور خالص جلبي لهجوم شرس ضد ثوابت الأمة المسلمة، ويعدد ما شاء له خيـاله من أمراض اجتماعية، ومن أبرزها زعمه: "تقديس الآباء وتأليه القوة، واحتقار العلوم، مع إجازة الغدر، والظن بأن النص يغني عن الواقع، ورفض المـسلمين للديمقـراطية، والاهتمام بفضائل الجهاد، دون معرفة شروطه"[١].

• • ولا يمل الدكـتـور جلبي من الهـجوم وتعـداد أوبئـة العنف والغمز واللمز بالمسلمين

يقول الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي متحدثًا عن الدكتور جلبي: "إذا كـان د. خالص يناقش أوبئـة العنف فـعليه أن يكف عن أوبئـة

---

(١) جريدة الشرق الأوسط من صفحة الرأي.

الكلام العنيف والسخرية المتهكمة والهمـز واللمز بالمسلمين، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً، والإعجاب المفرط بالغرب وعقائده.

وطريقته هذه هي لقـاح جيد لعنف مضاد، من أناس سيـرون فيه شخـصًا يتهكم بدينـهم، ويسخر من مناهجـهم، العقليـة، والنقلية، ويدين تاريخـهم ويحاكم علـماءهم، ويسـتهـزئ بأصولهم، يهـمش نصـوص الوحي، ويدنس اجتـهادات مـفكريهم، ويقدس فـرضيـات مخالفـيهم، ويؤكد بشكل صريح بأنه "لا بد من صـدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي"[(١)].

• هذه التبـعية العجـيبة، والهجـوم العنيف، ومتابعة أعـداء الإسلام في خـصومـتـهم للمسلمـين، ينطبق عـليهـا قول رسـول الله صلى الله عليـه وسلـم: "**لتتبعن سنن من كان قبلكم، حـذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه". قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى قال: فمن ؟!**)[(٢)].

***

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، في ١٧/ ٩/ ١٤٢٣هـ.

(٢) أخرجه الشيخان، واللفظ لمسلم.

« ٤ » موقفنا من الحضارة الغربية

ينبغي للمسلم أن يأخذ القضايا الإيجابية من أي حضارة، والحكمة ضالة المؤمن يأخذ بها أنى وجدها.

نأخذ المخترعات الحديثة، والقضايا التكنولوجية، والإدارية البحتة، بشرط ألا يمس ذلك عقيدتنا وثوابت تراثنا الأصيل.

• وقد سئل الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله - عن هذا الأمر، فأجاب وأحسن الإجابة، فقال:

"علينا ابتداء أن نحدد موقفنا من هذه الحضارة، يجب أن نردها إلى عناصرها الأساسية، وسنجد فيها العنصر العقدي، فلا حاجة لنا به، سواء كان صريحًا أو مغطى. . .

فنتركه كله، إذ لا يمكن أن يجتمع في قلب عقيدتان.

وما يتصل بالعقل والعلم التجريبي نأخذه بشرط ألا تنسينا الصنعة حكمة الصانع. . .

فليست قوانين أرخميدس ونيوتن، ولا قوانين لا ڤوازييه سوى كشف لما أذن الله بكشفه، من سننه الكونية، فلم يوجدوا مفقودًا، ولكنهم اكتشفوا موجودًا.

ثم يأتي عنصر العادات والاجتماع، فما كان منها متصلاً بصدق المعاملة والوفاء بالوعد، وتنظيم المدن وما إلى ذلك، أخذنا به، لا تقليداً، بل عملاً بأوامر ديننا الذي يلزمنا بكل أسباب الخير.

وعلينا خلال ذلك، أن نحصن أبناءنا ضد مغريات تلك الحضارة بالخلق والدين، نحصنهم باللقاح الواقي ضد أي مرض، لأننا لا نستطيع منع الجرائد والكتب وأمواج الإذاعة من اختراق جدران بيوتنا، فلابد أن نسكب في نفوسهم المناعة منذ الصغر"[(١)].

•• وعلينا أن نذكر الأجيال الناشئة بروائع حضارتنا الإسلامية وبأسس الحضارة الغربية بوجهها الشائه، لأن الحضارة الغربية الحديثة هي خلاصة الجاهليات القديمة، فهي تعود إلى الحضارة اليونانية الوثنية بأساطيرها وفلسفتها، وتقديس العقل على حساب الروح.

وتعود إلى الحضارة الرومانية، التي تقدس الرفاه المادي والقوة العسكرية والسياسية، وفرض الهيمنة على بقية الدول والشعوب.

وتعود إلى الدين النصراني المحرف الذي دخل أوروبا على يد "شاؤل اليهودي" ، الذي عرف باسم القديس بولس[(٢)].

---

(١) علماء ومفكرون عرفتهم : الشيخ محمد المجذوب، جـ ٣/ ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) ينظر المدخل إلى علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي، (ص١٢٧-١٣٠) ، دار الوطن للنشر بالرياض/ ١٤٢٣هـ.

•• يقول دابرا الأمريكي: "فإذا كانت النصرانية انتصرت في ساحة القتال، إلا أنها قد خسرت في معترك الأديان، فاختلط دينها بالوثنية الرومانية واليونانية"(١).

• والحضارة الغربية، استفادت إلى حد كبير في نهضتها العلمية، من المنهج التجريبي الإسلامي أثناء صلاتهم بالمسلمين، عن طريق الحروب الصليبية، وعن طريق الأندلس، يقول بريفولت في كتابه: (بناء الإنسانية): "لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية "يقصد الإسلامية". على العلم الحديث ... وبالرغم من أنه ليس هنالك ناحية من نواحي الازدهار الأوروبي، إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة(٢).

وهي أوضح ما تكون في العلوم الطبيعية وروح البحث العلمي".

• ويقول الباحث المسلم (الدكتور محمد أسد):

"لسنا نبالغ إذا قلنا: عن العصر العلمي الحديث، الذي نعيش فيه لم يدشن في مدن أوروبا النصرانية، ولكنه دشّن في المراكز

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لأبي الحسن الندوي/ ص ١١٦.
(٢) جاهلية القرن العشرين: الأستاذ محمد قطب ، ص ٣٤، الطبعة الاولى / ١٣٨٤هـ.

الإسلامية: دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة."[1].

•• إلا أن تعصب أوروبا، كان سببًا في رفضها الفرصة المتاحة، لتهتدي إلى دين الله ومنهجه، فأخذت المنهج العلمي مفصولاً عن الهدي الإلهي، وكرهت الدين بغضًا في الكنيسة التي حاربت العلم.

ولهذا قامت النهضة الأوروبية على أساس غير ديني، وعادت إلى أصولها التاريخية القديمة في الوثنيتين اليونانية والرومانية"[2].

• • هذه هي حقائق حضارة الغرب، إلا أن العصرانيين والعلمانيين يتجاهلون تاريخ أمتهم، ويحملون عليه حملة شعوبية شعواء، ويستمرون في طعنها من الخلف، فماذا يجدون من سمات تلك الحضارة ؟!.

• فهنالك الانحطاط الأخلاقي المتمثل في الإباحية الجنسية وأمراض الجنس الفتاكة، ودور اللهو الماجنة، وكذلك انتشار ظاهرة الاغتصاب والتحرش الجنسي بالأطفال، حتى أصبحت بلادهم كأنها ماخور عفن كريه.

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق: د. محمد أسد ، ترجمة عمر فروخ ص ٣٤.
(٢) جاهلية القرن العشرين : الأستاذ محمد قطب، ص ٣٤، وص ٣٧.

• أما التقدم العلمي، فهو إرث إنساني عام، إلا أنه قد تحول على أيديهم إلى مخاطر وانحرافات تحدق بالعالم ويتهدد الإنسانية بالشرور والدمار، حتى بات عقلاؤهم يشتكون ويتوقعون للعالم الانقراض والزوال(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) ينظر : المدخل إلى علم التاريخ، د. محمد بن صامل السلمي فصل (سمات حضارة الغرب) ، ص ٤٧-٤٨ . بإيجاز.



الفصل الثاني

تمجيد الفلاسفة والمفكرين الغربيين

١) منهج النبوات لا منهج الفلاسفة.

٢) نماذج من الإشادة والتبعية لمناهج الفلاسفة والمفكرين الغربيين (عند جودت سعيد وخالص جلبي).

٣) مخاطر الأخذ بمناهج الفلاسفة وموقف الشرع من الدراسات الفلسفية.



المبحث الأول

منهج النبوات لا منهج الفلاسفة

لقد فتن أتباع المدرسة العصرانية المادية بالمنهج الفلسفي، فأخذوا منه كل ما هب ودب، ولم يفرقوا بين الصواب والانحراف، وحثوا المسلمين ليأخذوا هذا المنهج وراحوا يكيلون لهم التهم بالجمود والتخلف، إذا لم يسيروا وراءهم في هذا الطريق المظلم.

فقد ضخموا دور العقل والفكر، على حساب النص الشرعي وحاربوا كل موروث من تراث الأمة الأصيل.

يقول الدكتور خالص جلبي: "إن مشكلة المسلم المعاصر ليست في تعليمه دينه من جديد، بل في إعطائه المفهوم الفكري المعاصر، كي يقوم بالتكيف مع العصر ويصبح محترمًا ؟!".

"هذا الفرق بين يوميات الإنسان المسلم وضميره، بين المثل الأعلى والواقع، أدى إلى أمراض من نوع جديد، من أبرز هذه الأمراض، الانعزال والشعور بالمنبوذية، ... ورفض العالم الواقع إلى درجة كراهيته ولفظة الجاهلية: هي إحدى إفرازات هذا الاتجاه[1].

(١) النقد الذاتي: خالص جلبي / ص ٢٣٦.

• فـالدكتـور خالص يرىٰ أن كـافة الـمشـاكل لا تحل إلا بالفكر وحده، يقول: إننـا سنحدد المرحلة الجديدة ، التي يمكن بواسـطتها أن نصـعد بالشـاب إلىٰ عتبـة جديدة بدون فـرض وصاية عليـه، أو محاولة ارتهان عقله . . . بل هي محاولة دفع حركته إلىٰ الأمام بالفكر دومًا ، الفكر المرتبط بحلقة جدلية مع العمل"(١) .

"وتناقض أخر في مـفهوم الفلسفـة، فالتاريخ رأىٰ في الفـلاسفة والمـفكرين أنهم البناة النظريون للحـضارة الإنسـانية، إنهم مـفجـرو الثورات، إنهم منشئو الحركات إنهم مغيرو مجرىٰ التاريخ . . .

فمن جوانب المأساة في العمل الإسلامي هو:

تقليل أهمية الفكر وتصور أن الفكر سفـسطة، أو مضيعة للوقت، أو ترف عقلي علىٰ ما يسميه البعض . . .

وهذا ينعكس علىٰ أسلوب بحث القضايا"(٢) .

• • ويشيد جودت سـعيد بالفلاسفة من المـلاحدة، خالطًا بين أسلوب النبـوات وأسلوب الملاحدة بـشكل غريب، يقـول: "إن فكرة التوحـيد هي خروج من الآبـائية وعبـادة الآباء، وهذه أرضيـة نبتت فـيها كـل الإنجازات

---

(١) النقد الذاتي: د. خالص جلبي/ ص ٢٤٢.

(٢) السابق/ ص ٧٤.

البشـرية، حتى التي كانت مـعارضة للدين، إنهـا لم تكن معارضـة لجوهر الدين، وإنما كانت معارضة بكل وضوح لفكرة الآبائية"(١).

فالشيخ جودت سعيـد، يدعو إلى الثورة على كل موروث، حتى أن اتباع السلف الصالح، يدخل عنده في هذا المفهوم.

• ويحلو للشـيخ دائمًا أن يشيـد بأساطين الكفـر والإلحاد لأنهم يؤثرون في الإنسان، ويخرجون على التقاليد الموروثة، انظر إلى قوله وهو ينقل عن المـؤرخ "توينبي" في كتـابه "تاريخ البشـرية" قوله: "في فترة لا تتجاوز خمسة أجيال فقط، ظهر خمسة من كبار الحكماء في العالم الـقديم: "زرادشت، بوذا، كونفـوشيـوس، فيثـاغورس" "واشعيا الثاني أحد أنبياء بني إسرائيل" ثم يقول:

"ولا يزالون حتى اليوم يؤثرون في الإنسانية مباشرة، أكثر من أي كائن بشري حي".

ثم يعلق الشـيخ جـودت على كـلام توينبي قـائلاً: "هذه الرؤية التاريخية، لتطور العقيدة والسلوك، تتميز بإبراز أمرين هامين.

الأول: تلمس الهدي خارج المجتمع، بـمعنى الخروج عن التعبد للمجتمع والاستنامة إلى تقاليد الآباء.

---

(١) كتاب اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد/ ص ١٨٩.

والثاني: يعني أن الموت ليس نهاية الحياة[(١)].

• لماذا يبحث الشيخ الجليل في تراث الحكماء عن هذين الأمرين، وهما موجودان في الإسلام، ولكن على منهج يختلف في دوافعه وخاتمته عن منهج الفلاسفة الذين لا يؤمنون بالله العلي العظيم.

وماذا يريد من تمجيد زرادشت وبوذاوكونفوشيوس، والمسلمون يعانون من مظالم أتباعهم في الصين والهند، ومن انحرافات أفكارهم الإباحية والشيوعية ؟!.

ماذا تعني هذه الإشادة المستمرة بشخصيات تاريخية ملحدة، زرادشت - سقراط وغاندي وغيرهم وغيرهم ؟!.

ثم يدعو حثيثًا للخروج على الآبائية، ولو كانت ممثلة بسلفنا الصالح!![(٢)].

• • إن هؤلاء الماديين يتخذون منهج الفلاسفة قاعدة عندهم بينما نرى أن طريق الأنبياء في الاستدلال، هو طريق المؤمنين الذين طهروا قلوبهم مما سوى الله، ثم ملأوها بذكر الله إيمانًا منهم وصديقًا بدعوة

---

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ١٩٧.

(٢) سيأتي تفصيل موقف أتباع هذه المدرسة من الصحابة والسلف الصالح (رضي الله عنهم) في الباب الخامس إن شاء الله.

الرسل، الذين يدعون إلىٰ عبادة الله أولاً بالقلب واللسان ومن ثم فمن العلم تتشعب أنواع العلوم، ومن عبادته وقصده تتشعب وجوه المقاصد الصالحة، والقلب بعبادته والاستعانه به معتصم مستمسك، قد اعتصم بالدليل الهادئ والبرهان الوثيق، فلا يزال إما في زيادة العلم والإيمان، وإما في السلامة عن الجهل والكفران[1].

• • **أما منهج الفلاسفة ومن تبعهم من المتكلمين،** فإنهم ابتدءوا بنفوسهم، فجعلوها الأصل الذي يفرعون عليه والأساس الذي يبنون عليه، فتكلموا في كيفية إدراك العلم، وقالوا: إنه يكون بالحس تارة وبالعقل تارة، وبهما معًا تارة أخرىٰ، ثم رتبوا علىٰ ذلك أن جعلوا العلوم الحسية والبدهية هي الأصل في العلم، وقالوا لا يحصل علم إلا بها... هذا وإن الطرق الفلسفية فسادها كثير من جهة الوسائل والمقاصد...

فكل رئيس من رؤساء الفلاسفة والمتكلمين، له طريقة في الاستدلال، تخالف طريقة الرئيس الآخر، بحيث يقدح كل من أتباع أحدهما في طريقة الآخر، ويعتقد كل منهما أن الله لا يعرف إلا

---

(١) مقال في مجلة المجتمع، عدد (١٥١٦) في ٣/٨/٢٠٠٢م، للدكتور محمد رشاد خليل: الرئيس السابق للجمعية الإسلامية الأمريكية/ تكساس.

بطريقته، مع أن جمهور أهل الملة بل عامة السلف يخالفون فيها[١].

• وقد ثبت بتجربة الخائضين وشهادات المحققين، أنه لا طريق إلى العلم الصحيح، غير طريق النبوات الذي جاء على أتم طريق وأوفاه في القرآن الكريم والسُّنة النبوية، وهو الطريق الذي لزمه السلف، فعصمهم من الزلل، وفتح لهم أبواب العلم، ومهد لهم طريق الحضارة، وليس هناك مخرج من التيه الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية اليوم إلا بالعودة إلى منهج النبوات، وسلوك طريق السلف.

عن سفيان الثوري - رضي الله عنه - قال: "بلغني عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - أنه كتب إلى بعض عماله: "أوصيك بتقوى الله عز وجل، واتباع سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وترك ما أحدث المحدثون بعده، بما قد كفوا مؤونته، واعلم أن من سن السنن، قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل، فإن السابقين الماضين عن علم توقفوا، وببصرنا قد كفُّوا"[٢].

---

(١) السابق/ مجلة المجتمع / محمد رشاد خليل، وينظر: الفتاوى لابن تيمية : جـ ٢/ ص١-٢٣.

(٢) مجلة المجتمع : د. محمد رشاد خليل/ العدد (١٥١٦) في ٣١/٨/٢٠٠٢م.

•• وإذن فليس هناك غير طريقة الأنبياء وطريقة أهل الإيمان، التي مَنْ سلكها اهتدىٰ وعرف ونجا، ومن سلك غيرها ضل وجهل وهلك.

من أجل ذلك رأينا كثيرًا من الذين خاضوا في الفلسفة وعلم الكلام، حتىٰ بلغوا فيه مبلغ الإمامة، ندموا علىٰ ذلك ندمًا شديدًا، ولكن بعد أن ألفّوا فيه ما أفسد علىٰ من جاء بعدهم عقائدهم، كالإمام الغزالي وأبي المعالي الجويني والفخر الرازي[(١)].

•• فأساطين الفلسفة، الذين بلغوا في الذكاء والنظر الغاية، لم يصلوا إلىٰ معقول صريح واحد يناقض الوحي، بل وصلوا إلىٰ الحيرة والشك، أو الاختلاف والارتياب، فكيف بمن سواهم ممن لم يبلغ ذكاؤه ذكاءهم ومعرفته معرفتهم"[(٢)].

•• وقد عبر الشهرستاني "صاحب كتاب الملل والنحل" عن الحسرة التي يحس بها من ضيع عمره مع هذه المناهج الفاسدة بقوله:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائر ... علىٰ ذقن أو قارعًا سن نادم

---

(١) السابق / نفس العدد والتاريخ.

(٢) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: جـ ١/ ١٣٤، ١٣٥/ . لابن تيمية رحمه الله دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ.

•• وعبر عن هذه الحسرة، فخر الدين الرازي صاحب التصانيف الكثيرة، مع سبقه في باب المعقول، وفرط ذكائه ، أخذ يشكو من حيرته وعجزه فقال شعراً.

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىً ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

• وقال: "تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن" ثم قال: "ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[١].

وغيره كثير ممن رجع وندم، من هؤلاء الإمام الغزالي، عندما ترك كتب الفلسفة والكلام في التصوف ورجع إلى كتب السُّنة والحديث[٢].

•• ومن هؤلاء: أبو الحسن الأشعري، عندما تاب من مذهب الاعتزال وطرائق المتكلمين ورجع إلى عقيدة السلف.

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية : لابن أبي العز الحنفي (ص٢٠٨-٢٠٩)، المكتب الإسلامي / بيروت / ١٤٠٨هـ وسير أعلام النبلاء : جـ ٢١/ ص٥٠١/ بيروت - دار الرسالة.

(٢) انظر كتابه تهافت الفلاسفة، وتهافت التهافت.

وقـد بين ذلك في كتابه: "الإبانة في أصـول الديانة، وهـو آخـر كـتبه[١].

•• ولعل الشيخ جـودت سعيد، والطبيب خـالص جلبي، يتوبان عما يقترفان من نشر مذاهب الفلاسفة والمعتزلة، وأن يعودا إلى منهج السلف وأهل السُّنة والجماعة، ويتبرآن مما كتـبا في كتبهما وفي كثير من الصحف والمجلات، والله غفور رحيم.

***

(١) ينظر: المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي / ص ٤١.

المبحث الثاني

نماذج من الإشادة والتبعية لمناهج الفلاسفة عند جودت سعيد وخالص جلبي

لقد فتن هؤلاء بمنهج الفلاسفة، فنسوا ذواتهم، وتابعوا الفلاسفة حذو القذة بالقذة.

فاعتبروا سقراط "أعظم فلتة عقلية أنتجها مجتمع أثينا فقد قام بالتغيير الاجتماعي، التغيير الذي لا يبدأ إلا من الأفكار، ومن الأفراد المبدعين "الانفجاريين" مثل اليورانيوم المشع..." .

"سقراط الذي دفع حياته ثمنًا لأفكاره، تبعه شاب أخذ اسمه في التاريخ بجانب سقراط، مؤرخًا وشارحًا لأفكاره هو: أفلاطون" .

"كان سقراط فلتة عقلية مدهشة، نبتت أفكاره بعد موته في تيار عقلاني إنساني، لم يتوقف عن التأثير حتى وأنا أكتب عنه بعد مرور "٤٠٠" سنة على موته"(١) .

• لم كل هذا الولاء والإعجاب، وفلاسفة الإغريق هؤلاء لم

---

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٨٦٠) في آذار / ١٩٩٨م من مقال للدكتور خالص جلبي.

يستطيعوا الخروج من المناخ الوثني وأساطيره، وكان لفكرهم تأثير سيئ على انتشار علم الكلام عند المسلمين.

•• وتزداد الفتنة بالفكر الفلسفي وأهله، أمثال: باسكال وسبينوزا وديكارت...

فباسكال: فيلسوف فرنسي، يطرح رؤيته للإنسان، وحل المشكلة الإنسانية، ويرى خالص جلبي: أن لباسكال كتب أجمل ما في النثر الفرنسي، في سلسلة من الكلمات المتألقة مثل إضاءة النجوم، قد ذاقت الاستنارة الداخلية"[١].

•• ويستمر الدكتور خالص في تمجيد باسكال تمجيداً رومانسياً غير متزن عندما يقول: "فإذا قرأ الإنسان في برامج الكمبيوتر اليوم كلمة "باسكال"، عليه أن يتذكر ذلك العبقري الذي عاش في منتصف القرن السابع عشر للميلاد، وأنجز ما أنجز وعمره (٣٩) سنة، وكانت أفكار كتابه الخواطر مثل لمعان البرق الحارق الخارق، تضيء الوجود في لحظة واحدة"[٢].

---

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٣٤٩) في ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٦م.

(٢) جريدة ا لرياض: العدد (١٠٣٥٦) في ٣١/ ١٠/ ١٩٩٦م.

• ثم يبدي إعجابه وحزنه على فلاسفة عليلين:

فموت سبينوزا المبكر عن (٢٤ عامًا) ، بالسل الرئوي ترك خلفه أربعة كتب، ما زالت تهز الفكر الإنساني حتى هذه اللحظة.

وسبينوزا فيلسوف يهودي هولندي، قرر الدكتور خالص أن يسير على هديه بقوله: "إنني مع بناتي الخمس قررت أن أجنبهن مصير التخصص في نفق العلوم التطبيقية، والتوجه إلى دراسة العلوم الإنسانية، تحت قانون "سبينوزا" الفكر أولاً، ومعها إتقان مهنة يعيش منها المرء، فمعنى الحياة بحياة الفكر"[1].

• وقد جاء في كتاب "حكومة العالم الخفية" القول:

"واليد الخفية تساعد كل يهودي أو عميل، ممن يعملون ضد تعاليم المسيح في أمريكا مثل العقلانيين الذين أسس مدرستهم الفكرية، اليهودي "سبينوزا" ، ويعتبر فضحهم من الأمور الخطيرة[2].

• ومن الفلاسفة العليلين الذين يتباكى عليهم الدكتور جلبي "نيتشه" الذي أصيب بمرض الإفرنجي الذي استلب دماغه، ويذكر

(١) السابق، العدد (١٠٩٤٤) في ١٧/ ٢/ ١٤١٩هـ.

(٢) حكومة العالم الخفية، شيريب، سبير يدوفيتش، ترجمة مأمون سعيد، تحرير وتقديم: أحمد راتب عرموش/ ص ٤٥، دار النفائس/ عام / ١٩٩٠م.

شلل "ستيفن هوكينغ" الفيزيائي البريطاني حتى بقي دماغًا فقط، لكنه أثار ضجة كبيرة في الأوساط العلمية[١].

• وهكذا يستمر الدكتور في وصف آلامه وأحزانه على رموز الإلحاد من المرضى والزناة والمنحرفين، بينما لا يترك مناسبة وإلا ويهاجم فيها رموز الفكر الإسلامي من العلماء والأئمة والقيادات الجهادية في تاريخنا.

انظر إلى قوله التالي الذي يفيض بالهجوم الشرس والشعوبية الحاقدة: "المواطن العربي اليوم محاصر في مثلث من المحرمات، بين الدين والسياسة والجنس، كل ضلع فيه يمثل حاجزًا شاهقًا لا يستطيع أفضل حصان عربي رشيق، أن يقفز فوقه إلا بالقفز إلى الإعدام".

فأمام حائط الدين يطل مفهوم الردة، وأمام جدار السياسة يبرز مصطلح الخيانة، وعند حافة الجنس تشع كل ألوان الحرام والعيب، فالعقل مصادر ومؤمم وملغى حتى إشعار آخر".

ثم يدعو إلى ثورة عقلية: "لا بد من تدريب عقولنا على النقاش والجدل، وذلك يفتح طرقًا عصبية رائدة، فالعقل النقدي حي والعقل النقلي ميت".

---

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٣٤٩) في ٢٤/ ١٠/ ١٩٩٦م.

فالدكتور خالص يدعو إلى الحرية المطلقة التي تؤدي إلى فوضى الدين والسياسة والجنس، انظر إلى قوله:

"ولم يكن للعلم أن يتطور لولا نزع غطاء السرية عنه". ومناقشة أي شيء علنًا، دون الخوف من الاتهام بالزندقة[١].

• **وها هو الشيخ جودت سعيد**: يشيد برموز فلاسفة اليهود والنصارى، ممن أفسدوا المجتمعات الإنسانية بأفكارهم، وعلى رأسهم فرويد:

يقول جودت: "ومالم يتقدم أهل الرأي والخبرة عند المسلمين لإزالة شبهة التعارض بين أي علم حق وبين الإيمان، فإن الهوة تبقى بعيدة بين المسلمين، وبين الاستفادة الكاملة من هذه العلوم.

ومن العوارض الخاصة بالنسبة لهذا العلم، ما اقترن به في بدئه من اسم "فرويد" والمدرسة التي حاولت أن تفسر علم النفس حول دافع غريزة الجنس، وكذا فجاجة الكتب وأسلوب تناولهم، إما بشكل لا صلة له بالدين والإيمان، أو بشكل يفهم منه أنه يعارض أحكام الدين والإيمان.

---

(١) جريدة الشرق الأوسط: من مقال للدكتور جلبي، تحت عنوان (فلسفة التفكير والتعبير) عدد (٧٧٢٨) في ٢٥/ ١/ ٢٠٠٠م.

وبهذا يظل الموضوع فاقداً الصلة التي يخرج هذا العلم النافع من غابة التوحش التي حشر فيها".

"إن هذا العلم لا يزال في توحشه، ولم يستأنس بعد عند المسلمين، حتى يسخروه لتغيير ما بأنفسهم"[١].

هل يريد الشيخ الجليل من المسلمين أن يتركوا الحياء والعفة جانبًا، ويطبقوا ما يريده فرويد، داعية الجنس الهابط؟ أهذا هو التغيير الذي يريده الداعية المسلم ؟!!.

•• وهاهو الدكتور خالص جلبي، لا يدع الفرصة تفوته ليشيد بعبقرية دارون وفرويد: وهما من اليهود الذين أفسدوا أوروبا أولاً، وباقي العالم ثانيًا، فقد كتب مقالاً بعنوان: "صناعة العبقرية" قال فيه: "ينقل إلينا العلم من إنجازات للعباقرة فيضًا ملفتًا للنظر في تجلية واضحة، عن أثر الجهد وكم الإنجاز، حتى تتجلى العبقرية وتلتمع تحت ضوء الشمس، فقد أنجز دارون (١٩ مقالة)، أما في مجال علم النفس، فقد وضع فرويد (٢٣٠) بحثًا[٢].

ثم يقول: "فرويد صاحب مدرسة التحليل النفسي ... لديه لحظات وميض العبقرية وانقداح أفكار الاكتشافات.

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد / ص ١١٤.

(٢) جريدة الرياض، العدد (١٠٦٠١) في ٢٨/ ٢/ ١٤١٨هـ.

وانهمار سيل المعرفة على نحو مفاجئ مفزع حتى لصاحبه"[١].

• **أخي الكريم**: دعنا نتوقف قليلاً نتأمل الفساد الذي نشره فرويد في العالم، **فمن هو فرويد هذا؟**. وما هي عبقريته عند أتباع العصرانية المادية؟.

• "فرويد يهودي نمساوي، تتلخص نظريته في أن الطاقة الجنسية هي الطاقة العظمى في الكائن البشري، وهي المسيطرة على طاقاته كلها، فالطفل يولد بطاقة جنسية، فيرضع ثدي أمه بلذة جنسية، ويتبول ويتبرز بلذة جنسية، ثم ينمو الصبي فيحس تلقاء أمه بشهوة جنسية، كما تحس الصبية بالشهوة الجنسية تلقاء والدها.

ثم يقول فرويد عن الأخلاق في كتابه "الذات والذات السفلى": "إنها كوابت تكبت المنطلق الطبيعي للطاقة الجنسية"[٢].

• "فاليهود يريدون أن يشكلوا المجتمع على أساس أن يكون مجتمعًا بلا دين ولا أخلاق... ويجيء عالمهم النفساني الكبير ليمسخ الدين والأخلاق بطريقة "علمية".

---

(١) جريدة الرياض: العدد (١٠٩٧٩) في ١٦/ يوليو/ ١٩٩٨م.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ: محمد قطب/ ص ١٠٨، وص ١٠٩/ بإيجاز.

فالدين نابع من الجنس، من كبت الشهوة الجنسية، التي يحسها الطفل الذكر نحو أمه"[١]. على حد تعبير فرويد.

•• "يريد اليهود أن يحطموا الأخلاق وينشؤوا مجتمعًا منحلاً يسهل فيه تسخير الأمم (لشعب الله المختار)، فأي معول أشد تحطيمًا للأخلاق من دعوة العالم النفساني الكبير للأولاد والبنات أن ينطلقوا لتلبية نداء الجنس، أنى شاءوا بلا حواجز ولا قيود ؟!.

فمن دعواه: أن أي قيد على الإطلاق يوضع في طريق الطاقة الجنسية، يورث الكبت، ويكون العقد النفسية والاضطرابات العصبية"[٢].

***

أخي الكريم: هذه النماذج اخترتها من مقالات كثيرة للدكتور خالص جلبي، نشرها في جريدة الرياض وقد زادت عن المائتين، أما جريدة الاقتصادية، فله فيها عمود يومي تحت عنوان: "يوم بيوم" وما يزال مستمرًا فيه حتى اليوم.

وقد تابعت هذا العمود لمدة ستة أشهر[٣].

---

(١) السابق/ ص ١١١، وص ١١٣، بتصرف وإيجاز.

(٢) المرجع السابق/ نفس الصفحات.

(٣) من شاء فليرجع إلى جريدة الاقتصادية الصادرة في لندن ما بين ١٣/ محرم / ١٤٢١هـ، حتى ٢٤/ شعبان / ١٤٢١هـ.

فما وجدت فيه جديداً عما كان يكتبه في جريدة الرياض وغيرها، فهو عمومًا يكتب مفتونًا بحضارة الغرب بسلبياتها وإيجابياتها وكانت معظم يومياته في الاقتصادية، تتحدث عن حياة القوم ومنتزهاتهم ومكتباتهم، فكأن الرجل يكتب لغير أبناء جلدته.

فهو يتحدث بلا ملل عن ديكارت وتوينبي وباسكال ونيوتن، وغالبًا تأتي كتاباته وفيها التكرار في الأفكار والأساليب، وهو يكثر من الحديث عن صحف القوم ومجلاتهم، في ألمانيا خاصة ، (مجلة دير شبيجل) الألمانية الصادقة المصدقة عنده، والألمان وما أدراك ما الألمان؟ ! فقد رفع الله ذكرهم في العالمين، فإذا قالوا فعلوا"[١].

ولا ينسى الدكتور المتيم بألمانيا وما فيها، أن يتحدث عن المقاهي والمكتبات في ألمانيا الغربية، وعن مدنها، ومرضاها، وعن أعمال الفلاسفة: "كانت وباسكال ودارون ، الذي كتب عن أصل الأنواع، فترك زلزالاً عقليًا خلفه[٢].

***

(١) الاقتصادية : في ١٧/ أكتوبر / عام ٢٠٠٠م.

(٢) السابق/ في ٢٦/ رجب/ ١٤٢١هـ.

المبحث الثالث

مخاطر الأخذ بمناهج الفلاسفة وموقف الشرع من الدراسات لفلسفية

لقد جرت الدراسات الفلسفية على أمتنا البلاء منذ القديم، وقد تمثل ذلك في نشوء الفرق الضالة، التي يحاول بعض الدارسين إحياءها من جديد. وقد حذر علماء المسلمين من اتباع هذه الطرق المظلمة قديمًا وحديثًا.

"ذلك أن النظر في كتب الإلحاد والكفر، والفسق والمجون، مخالف لطريق أهل الاستقامة، حيث كانوا ينهون أشد النهي عن النظر فيها للقراءة المجردة، لما تحتويه من الشبهات والكفريات، والاستهزاء بالدين وأهله، فكل هذا لا يجوز النظر فيه إلا لعالم متمكن، مقصوده الرد على باطلها، والتحذير منها"(١).

• فما بالك بمن يتبنى تلك الآراء الضالة، مشيدًا بأصحابها، ويسعى جاهدًا لنقل ذلك الغثاء إلى ديار المسلمين ؟!.

---

(١) فاستقم كما أمرت: الشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل/ ص ٣٣٥ دار طيبة - الرياض/ ١٤٢٣هـ.

قال عليه الصلاة والسلام: **(من تشبه بقوم فهو منهم)**[١]

• ومن أجل ذلك وقف علماء المسلمين من علوم النفس والفلسفة والمنطق موقفًا متشددًا ، ليوقفوا شرورها[٢] ذلك أن هذه العلوم ترجمت عن اليونان، وكانت تحمل في طياتها الشك والإلحاد "والزيغ" وكان علم الكلام سببًا من أسباب نشوء بعض الفرق المنحرفة عند المسلمين، مما جعل عالمًا إمامًا كابن الصلاح، يتخذ موقفًا متشددًا من تلك العلوم، عندما سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة تعليمًا وتعلمًا، فأجاب رحمه الله:

"الفلسفة رأس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ، مثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف عميت بصيرته عن محاسن الشريعة. . . " ثم قال رحمه الله: " ولقد تمت الشريعة وعلومها، وخاض في بحار الحقائق والدقائق علماؤها، حيث لا منطق ولا فلسفة، ومن زعم أنه يشتغل مع نفسه بالمنطق والفلسفة لفائدة يزعمها فقد خدعه الشيطان[٣] .

---

(١) صحيح سنن أبي داوود، صححه الشيخ الألباني برقم (٣٤٠١).

(٢) ينظر كتابنا : تربية الأطفال في رحاب الإسلام (ص١٧-٢١)، الطبعة الرابعة / ١٤١٩هـ.

(٣) فتاوى ومسائل ابن الصلاح: جـ ١/ ص٢٠٩-٢١١، دار المعرفة - بيروت.

• والواقع أن الفساد في التصور الإسلامي، كان نتيجة لهذه الفلسفات التي عكرت صفاء المنهل.

"فوقع الفساد في التصور الإسلامي"، ووقع التعقيد والتخليط حينما شاءت جماعة ممن عرفوا في التاريخ باسم "فلاسفة الإسلام" أن يستعيروا بعض التصورات الفلسفية الإغريقية وبعض المصطلحات، وبخاصة من أرسطو وأفلاطون، وبعض اللاهوتيين المسيحين، ويدخلونها في جسم التصور الإسلامي"[1].

• فالأصل ما جاء به الشرع، لا أن تطوع النصوص الشرعية لتجاري كل نظرية وافدة، قد تقدم العقل على الشرع.

• ومع ذلك فلا بأس، إن أخذنا عن غيرنا بعض الطرق التطبيقية، لتعليم القراءة والكتابة للأطفال، وتعليم أساليب الزراعة، والمستجد من القضايا التكنولوجية، بشرط ألا تمس التصور العقدي لدينا.

فأعداؤنا يعملون على توظيف الدراسات النفسية لخدمة أهدافهم.. فعلينا أن نكون حذرين في التعامل مع تلك الدراسات.

• • وفيما يلي شهادة لأحد المهتمين بالدراسات النفسية والاجتماعية، حيث يصور مخاطر التقليد، حرصًا على مصلحة الأمة وأصالة فكرها.

---

(١) خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب/ ص ١٦٥.

يقـول مالك بن نبي - رحـمـه الله- : "لا يجوز لأحـد أن يضع الحلول والمناهج مـغفلاً مكان أمـته ومركزها، بـل يجب أن تنسجم أفكاره وعواطفه وأقواله، مع ما تقتضيه المرحلة التي فيها أمته، أما أن يستـورد حلولاً من الشرق أو الغرب، فإن في ذلك تضـييعًا للـجهد، ومضاعفة للداء، فكل تقليد في هذا الميدان جهل وانتحار"(١).

• فإذا اطلعنا على ما عندهم، فلا يكون ذلك من باب حسن الظن بهم، أو الأخذ عنهم، وإنما لوضع كل فكرة موضع الدراسة والتـمحيص، ونختار ما يلائمنا، حتى لا نتعثر في متاهات المبادئ والآراء.

• وهذه شهادة خبـير في ميادين الدعوة والتربيـة الجادة، الأستاذ محمد قطب - حـفظه الله - وفيها إيجاز لما ذكـرناه من آراء، وفيها القول الفصل في هذا المجال . يقـول: "علينا ألا نستقي الأصول من أي مكان في الأرض، إلا من كتاب الله وسُنَّة رسوله، أما التطبيقات، أي طريقة التنفـيذ والأداء، فلا بأس باقتبـاس أي شيء نافع نجده في أي مكان في الأرض، بحيث لا يكون متعارضًا مع الأصول المستمدة من كـتاب الله وسُـنَّة رسوله، على يـقين جـازم في أنفـسنا، أن هذه

---

(١) شروط الـنهضة: مـالك بن نبي/ ص ٤٧ - ٤٨، ترجـمة عـبد الصـبور شاهين/ إصدار ندوة مالك بني نبي.

الجاهلية لا تملك من ناحية الأصول إلا أحد شيئين:

إما قيمًا ومبادئ، ومفاهيم مشابهة لما في الإسلام، فلنأخذها إذن من مصدرها الرباني الأصلي.

وإما قيمًا ومبادئ ومفاهيم مخالفة، فلا يمكن بحال من الأحوال أن يتحقق منها الخير، وإن بدت للوهلة الأولى لامعة مصقولة براقة.

أما طرق التطبيق والأداء، فقد نجد عند غيرنا الكثير مما ينفع، فلا بأس من أخذه من هنالك(١).

• • وعلينا ألا نخدع، بما نشاهده اليوم في واقع العالم الغربي، من بسط النفوذ والسيطرة في الأرض، فهو من باب الاستدراج والإمهال للكافرين، وهو ثمرة لسعيهم في الحياة الدنيا، واكتشافهم لقوانين التقدم المادي.

قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ** ﴿٤٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٤٤].

• فهو فتح ولكن بدون بركة، فتح يصحبه القلق والخوف والأمراض والحروب، ثم ينتهي حتمًا إلى الزوال والهلاك.

---

(١) منهج التربية الإسلامية: الأستاذ محمد قطب، جـ٢/ ص١٣٠، دار الشروق - الطبعة السابعة.

فلا تمكين مطلق ومستمر، إلا لأهل الإيمان والتقوىٰ.

قال تعالىٰ: ﴿ **فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴿١٧﴾ ﴾ [الطارق: ١٧].

وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴿١٧٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٨][(١)].

أهمية صفاء المنهج[(٢)]:

للمنهج أهمية في مجالات التربية، وميادين التغيير "ولذلك كان رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يتشدد مع أصحابه في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج، بقدر ما كان يفسح لهم في الرأي والتجربة في شؤون الحياة العملية المتروكة للتجربة والمعرفة، كشؤون الزرع وخطط القتال وأمثالها من المسائل العملية البحتة، التي لا علاقة لها بالتصور الاعتقادي، ولا بالنظام الاجتماعي"[(٣)].

• دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على النبي صلىٰ الله عليه وسلم بكتاب فيه مواعظ من التوراة، وقال: هذه كنت أصبتها مع

---

(١) المدخل إلىٰ علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي/ ص ١٨/ دار الوطن بالرياض/ ١٤٢٣هـ.

(٢) ينظر تربية الأطفال في رحاب الإسلام/ ص ١٤-١٦.

(٣) في ظلال القرآن: سيد قطب، جـ ١/ ص ٤٣٩.

رجل من أهل الكتاب. قال: فاعرضها علي، فعرضتها فتغير وجهه تغيرًا شديدًا، ثم قال: **(لو نزل موسى فاتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنا حظكم من النبيين، وأنتم حظي من الأمم)**(١).

•• "ذلك أن طاعة أهل الكتاب، والتلقي عنهم، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة التي اختصت بها الأمة الإسلامية، كما تحمل الشك في كفاية نهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها، والسير بها صعدًا في طريق النماء والارتقاء، وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس، وهي لا تشعر ولاترى خطره، هذا من جانب المسلمين".

"أما من الجانب الآخر، فأهل الكتاب لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها، فهذه العقيدة هي صخرة النجاة وخط الدفاع، ومصدر القوة الدافعة للأمة المسلمة، وأعداء هذا الدين يعرفون هذا جيدًا.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند: جـ ٣/ ٤٧١، والدارمي والبيهقي في الشعب ومجمع الزوائد: ١/ ١٧٣، قال الشيخ الألباني بعد أن استقصى طرق الحديث، هو على أقل تقدير حديث حسن، انظر إرواء الغليل، جـ ٦/ ص ٣٤-٣٧.

"يعرفونه قديمًا ، ويعرفونه حديثًا، ويبذلون في سبيل تحويل هذه الأمة عن عقيدتها كل ما في وسعهم من مكر وحيلة، ومن قوة وعدة"(١) .

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾

[آل عمران: ١٠٠، ١٠١].

• ويقول ابن تيمية - رحمه الله - محذرًا من الأخذ عن أهل الكتاب: "أما نحن فلا يجوز لنا أن نأخذ شيئًا من الدين عنهم لا من أقوالهم ولا من أفعالهم بإجماع المسلمين، المعلوم بالاضطرار من دين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو قال رجل: يستحب لنا موافقة أهل الكتاب الموجودين في زماننا، لكان قد خرج عن دين الأمة"(٢) .

•• هكذا كان منهج التلقي عند أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند من سار على هديهم القويم...

---

(١) في ظلال القرآن: سيد قطب رحمه الله / جـ ١/ ٤٣٨.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ص ١٧٧، مكتبة المعارف بالرياض / ابن تيمية رحمه الله.

فكان جيل الذروة، ذلك الجيل الـذي نشر هذا الدين في العالـم، وبمثل هذه التربية الرائدة، تتمكن أمتنا من إعادة الأمور إلى نصابها إن شاء الله.

أما المنبهرون بمعطيات الفكر الوافد، والمعجبون بحضارة الغرب الصليبي، والـشرق البوذي والهندوسي، فلن يملـكوا من التغيـير إلا ظاهره، ومن الإسلام إلا نتفًا ممزوجة بسموم الغزو الفكري، وتيارات الإلحاد والوثنية.

❁ ❁ ❁





الفصل الثالث

الدعوة إلىٰ تطبيق مفاهيم الغرب في حياة المسلمين

المبحث الأول: إقامة الدولة العالمية.

المبحث الثاني: تطبيق الديمقراطية بمفهومها العلماني.

المبحث الثالث: الدعوة إلىٰ تحرير المرأة.



المبحث الأول

الدعوة إلىٰ قيام الدولة العالمية

هنالك شعارات براقة، ومصطلحات غريبة، بدأت تغزو المجتمعات الإنسانية، كالعالمية، وتوحيد الأديان أو التقارب بينها. . .

وهي دعوة ماسونية في مضمونها وأهدافها.

•• "ويزعم أصحاب هذه الدعوة، أن العالمية هي السبيل إلىٰ جمع الناس علىٰ مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام محل الخلاف.

والدعوة باطلة من أساسها، لأنها تخالف سُنَّة ثابتة من سنن الله في الأرض، وهي دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الحق والباطل، والهدم والبناء، هما وجهان لهذه السُّنَّة"(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

• وقد حرص الإسلام علىٰ تمييز المسلمين عن سائر الأمم، بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، وفي سبيل هذا الحرص نهاهم عن أن

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين/ ص ١٩٣. دار الرسالة بمكة المكرمة/ ١٤١٣هـ.

يقلدوا غيرهم في ملبسهم أو عاداتهم فقال عليه الصلاة والسلام: (من تشبه بقوم فهو منهم)[١].

• فالدعوة إلى العالمية وما شابهها - من العولمة أو التقريب بين الأديان، هي دعوة هدامة من وجوه كثيرة، ولها تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة، سياسية ودينية واقتصادية وأدبية.

والهدف من ذلك أن تصبح الأرض وطنًا واحدًا، يدين بدين واحد، ويتذوق الآداب بذوق مشترك، وهي تشكك الناس في ولائهم الديني والوطني، ثم تتركهم في الفوضى والقلق وسط أنقاض ما هدمت من عقائد وما قطعت من وشائج[٢].

• • والدعوة إلى وحدة الأديان فكرة قديمة وجدت عند ملاحدة الصوفية، (ذكر ذلك ابن تيمية في عدد من كتبه) كابن سبعين وابن هود والتلمساني، كما وجدت عند التتار، يجعلون دين الإسلام كدين اليهود والنصارى، وأن هذه كلها مراق إلى الله، وهي بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين.

وقد راودت هذه الدعوة تفكير جمال الدين الأفغاني، وتلميذه

---

(١) رواه أبو داوود في كتاب اللباس.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية : د. محمد محمد حسين/ ص ٢٠٥-٢٠٦.

الشيخ محمد عبده، كما ظهرت بين العصرانيين في العصر الحديث، كمحمد عمارة وحسن حنفي، وأحمد كمال أبو المجد وفهمي هويدي وغيرهم[١].

• • وقد بشر الشيخ جودت سعيد والدكتور خالص جلبي بهذه الدعوة، وبوحدة الإنسانية على دين واحد من خلال مفهوم خاطئ للآية الكريمة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...**﴾ [البقرة: ٦٢].

• ورغم أن الآية لا تشير إلى هذا الموضوع، وإنما تعني العكس تمامًا، إلا أن الشيخ جودت سعيد يقول: "إنني أستخدم هذه الآيات كمؤشرات إلى اتجاهات جديدة، ومواضيع لبحث لم يعط ما يستحق من عناية، لأن مثل هذه المواضيع تحتاج إلى رؤية تاريخية واضحة، شاملة للماضي من أجل الوصول إلى رؤية إبداعية للمستقبل".

"وحين ننظر إلى أهل الكتاب، وأنهم يؤمنون بخالق الكون، وبأنه أرسل رسلاً، وأنزل معهم شرائع للعمل الصالح، ويؤمنون بالمعاد يوم القيامة... فهذه الأصول المشتركة الكبيرة ينبغي أن تحول دون أن تتمزق أمة النبوة، أو أمة الإيمان بالله واليوم الآخر"[٢].

---

(١) ينظر تفصيلاً لذلك كتابنا العصرانيون/ ص ٣٠٥-٣١٠.

(٢) كتاب اقرأ وربك الأكرم / ص ٢٥٢-٢٥٣.

• ويقـول أيضًا: "إن تذوق آيات الله في الآفـاق والأنفس، هذان طريقـان لتحـويل الدين إلى العلم والعـالميـة . . . وهذا المنهج هو الطريق الذي ستتوحد به المذاهب الإسلامـية، بل وسيتوحد به العالم "ولتعلمن نبأه بعد حين"[١].

• إن معرفة كيف بدأ الخلق وكـيف مر الإنسان بمنعطفات وكيف أن هذا كان إرهاصًـا لعهد عالمي، قـد يضطر الناس فيه إلى توحيـد مثلهم العليا- ولا يتـم هذا إلا بنظرات جديدة، وعلى الأمم جـميعًـا، أن تعمل للتكيف وفق آيات الله في الآفـاق وفي الأنفس، حتى تتمـكن من العيش الأفضل الذي يليق بالإنسان، ويليق بالإمكانات الكامنة فيه"[٢].

• ويستمر الشـيخ جودت في تأكيد الدعوة إلى الأمة الـعالمية في قوله: "إن الإسلام في مجـال سير المجتمع البـشري، والأمة الواحدة العالمية، كالشمس والقمر في مجال العقيدة. . .

فالمنهج القرآني مثلاً في بحثه لمشكلات التقدم والتخلف المادي عند الناس، يواجهـها كمشكلة عـامة، وكمشكلة أقوام، لا كـمشكلة دين وعقيدة"[٣].

---

(١) المرجع السابق/ ص ٢٢٥.
(٢) العمل قدرة وإرادة/ جودت سعيد/ ص ١٤٦.
(٣) حتى يغيروا ما بأنفسهم / جودت سعيد، ص ٥٤-٥٥.

• يلاحظ هنا أن الشيخ يحاول تذويب أثر العقيدة، وإزالة الحواجز بين الناس، بل يدعو علنًا إلى أسلمة العلمانية حينما يقول: " فإذا كانت العلمانية هي قبول نتائج العلم وعواقب الأمور، فإن المؤمن لن يتضايق من هذا الشعار، وإنما سيشعر أنه ينبغي أن يصحح منهج المعرفة ليدخل الكل إلى مملكة العلم، ويخضع كل شيء لسلطان العلم الذي لا يقهر"(١).

• • ويأتي الدكتور خالص جلبي ليكمل مهمة شيخه فيدعو بحرارة إلى (إقامة الدولة العالمية التي تلغي الحروب وتحتكر السلاح والخبز، وتنهي عصر المجاعات، ويجب فهم حروب المسلمين القديمة في ضوء هذه "البانوراما التاريخية"(٢).

• ويريد الكاتب: "تشكيل الإنسان الجديد، عالمي الثقافة الذي يتجاوز حواجز العنصرية والانغلاق والتعصب، وولادة عالم جديد... والتبشير بالإسلام العالمي الأممي، هو الذي سيشق الطريق عبر الإنترنت والمحطات الفضائية، لتشكيل ذلك الإنسان الجديد...".

---

(١) اقرأ وربك الأكرم / ص ١٥٠.
(٢) جريدة الرياض ، العدد (١٠٥٣١) ، وسيكولوجية العنف / ص ٢١٨، خالص جلبي.

ثم يقول: "إن الطرح الذي أتقدم به، يمثل إلحاحًا عالميًا، وخطابًا إنسانيًا إسلاميًا لبناء عالم جديد بدون قراصنة من الحجم الصغير والكبير على حد سواء، وبناء ثقافة عالمية إنسانية جديدة"[١].

• • وأصحاب هذه الاتجاه يروجون لفكرة "الإنسان الكوني" أي الإنسان الذي لا يشعر بأي انتماء خاص لدين أو لوطن، أو لعقيدة أو لقضية.

"وحين يكون إنسان العالم الإسلامي، أو الإنسان الشرق أوسطي، كما يزعمون بهذه الحالة، فإنه سيكون نهبًا وعبدًا لكل ما يطلب منه.

وتبقى العقيدة الإسلامية هي حصانة العالم الإسلامي في مواجهة الهيمنة الأمريكية الثقافية"[٢].

• فالعصرانيون هؤلاء، ينظرون للإنسان من وجهة النظر الغربية، ابن الحضارة الأمريكية الغربية، أو التي تصله بها آصرة الثقافة والدين كاليهود.

---

(١) سيكولوجية العنف / ص ١٥٩، وجريدة الرياض العدد (١٠٥٣١).

(٢) مجلة البيان، عدد (١٧٣)، كمال حبيب / المحرم / ١٤٢٣هـ.

وإن أفكار التسامح التي ينادون بها، تعني إلغاء كل ما يتصل بالولاء والبراء، والتمايز على أساس العقيدة، وقد ظهر ذلك جليًا في نهاية (مكوك كولومبيا)[١].

• فعندما وقعت كارثة مكوك الفضاء الأمريكي (كولومبيا) في الأول من شهر فبراير (شباط) عام /٢٠٠٣م، ومات سبعة من رواد الفضاء، منهم "إسرائيلي" / كان قد شارك في ضرب المفاعل النووي العراقي، كتب خالص جلبي يقول:

"هذه الكارثة التي حملت مسحة شؤم بوجود الإسرائيلي بينهم، يخيل للبعض في ظروف التوتر السياسي العالمي أنه انتقام من الله منهم، وهناك من شمت فيهم، ولعل بعض العرب فرح بموت الصهيوني، ولكن لا شماتة في الموت، وانتقام الله هو الذي سيحدده ولسنا نحن. . . ".

ثم يقول: "يجب أن نحزن لحزن أمريكا، لأن فشلها فشل لكل الجنس البشري، ولأنها تمثل طليعة الجنس البشري"[٢].

---

(١) مجلة البيان، عدد (١٧٣) ، كمال حبيب / المحرم / ١٤٢٣هـ.
(٢) الاقتصادية ، العدد (٣٤٠٣) في ٤/ ٢/ ٢٠٠٣م/ خالص جلبي.

• • فالدكتور خالص، شأن شيخه (جودت سعيد) لا يفرق بين المسلم والكافر والمرتد، فالجميع له الحق في إبداء رأيه والجميع يؤمن بحرية الفكر. . .

ومن يقرأ كتابات الرجل لأول مرة، لا يدري ماهو؟! لأن أفكاره توافق الجميع، ومصدره ليس الوحي، مصدر المسلمين، بل هو مصدر مشترك بين البشر، هو التاريخ والسنن"[(١)].

• فالدعوة إلى الأخوة في الإنسانية ،قد سبقهم إليها، الفيلسوف "كانت" عالم الاجتماع الوضعي، حينما دعا إلى إقامة دولة إنسانية كبديل عن دين الله[(٢)].

• وأحلام هؤلاء وخيالاتهم المريضة، حول إيجاد إنسان الدولة العالمية. يقول جلبي موضحًا فكرته:

"فما لم يولد إنسان جديد يودع رحم التقليد، وينشئ قطيعة معرفية مع الحبل السري الثقافي، ويعرج إلى سماء الإنسانية والعالمية والكونية، بطرح جديد يعترف فيه بالآخر، في مجتمع محرر من أحادية الرؤية، والتشدد والتعصب، والجمود والانغلاق، وتوقف

---

(١) انحرافات خالص جلبي: سليمان الخراشي/ ص ٥٣/ شبكة الإنترنت.
(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي/ عادل التل/ ص ١١.

التاريخ، يؤمن بالتعددية . . .

فما لم نشق الطريق لفضاء من هذا النوع، فسندفع فواتير الدم والعذاب، مع فوائدها المركبة"[١].

• ثم يقول في مقال آخر: "إن مؤشرات التقدم العلمي كلها تشير، باتجاه تحطيم الجغرافيا، وزحف عارم للإنترنت، وتجاوز العنصرية والدولة القطرية، ودخول الإنسان أفق العالمية الثقافية المشتركة"[٢].

• وحقيقة الدعوة إلى وحدة الأديان، أو الأممية أنها دعوة ماسونية.

فالماسونية تدعو إلى محبة البشر والإنسانية هكذا بدون تمييز، والشيوعية تدعو كذلك إلى الإنسانية والسلام - أو هكذا يزعمون - ، ودعاة التوفيق بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة، يرتضيها كل الناس، منهم البهائية ومنهم أصحاب الدعوة إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية، ومن هؤلاء شهود يهوه والروتاري[٣].

---

(١) جريدة الرياض ، عدد (١٠٨٨١) في ٩/ نيسان/ ١٩٩٨م.

(٢) السابق / عدد (١٠٦٧١) في ١٠/ ٥/ ١٤١٨هـ.

(٣) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين/ ص ٢٠٦.

• انظر التوافق بين الدعوات السابقة، وبين الماسونية، فيما كتبه أحد كبار رجال الماسون "محمد رشاد فياض" رئيس محفل الشرق الأكبر العالمي، في كتابه (النور الأعظم) حيث قال: "الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية، يجتمعون في ميم واحد، هو ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، وإن ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادئ الحرية والمساواة والإخاء"(١).

• وقد جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، "أن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية، كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان"(٢).

• قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)** ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقد حرم الله سبحانه وتعالى موالاة الكفار من أهل الكتاب والمشركين فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ** ﴾ [المائدة: ٥١].

---

(١) النور الأعظم / ص ١١٢/ نقلاً عن الإسلام والحضارة الغربية (ص ٢٠٧).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء بالسعودية : (جـ ٢/ ص ٨٥).

• وقد وضح سيد قطب رحمه الله هذه القضية فقال: "إن سماحة الإسلام مع أهل الكتاب شيء، واتخاذهم أوليـاء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين، الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين...

فالتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي، أما هؤلاء فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، الذي يقرر أن الله لا يقبل دينًا إلا الإسلام"[(١)].

• • ولم يعرف أنه في طوال التاريخ الإسلامي، أن دعا أحد إلى التقارب بين الأديان، إلا بعض الشواذ الذين لا يعدون من أهل الإسلام.

فمنهم أصحاب وحدة الوجود، كالحلاج وأتباع الحركة الماسونية وممن وقع في حبائلها، وقد حسمت هذه المحاولات في العهد النبوي، حينما أنزل الله تعالى، سورة الكافرين وغيرها من الآيات التي تفضح وتكشف أهداف اليهود والنصارى في محاولات التقريب كقوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** (١٠٩) ﴾ [البقرة: ١٠٩].

(١) في ظلال القرآن: جـ ٢/ ٩٠٩-٩١٥/ بتصرف وإيجاز.

المبحث الثاني

الدعوة إلىٰ الديمقراطية بالمفهوم العلماني

« ١ »

الديمقراطية ذلك الحلم الجميل، الذي يتعشقه العلمانيون ويهيم به العصرانيون، اتباعًا لما فتنوا به من فكر التغريب، ولو تبين لهم عوارها لظلوا وراءهم سادرين.

• قال الشيخ جودت سعيد في رسالة وجهها إلىٰ الشباب المسلم في الجزائر، خلال الأزمة القائمة فيها:

"أسباب النزاع موجودة علىٰ مر الزمن، ولكن التاريخ علمنا كيف نحل المشكلة.

العالم الغربي حل المشكلة بالديمقراطية - نحن المسلمين، مؤمنينا وعلمانيينا نرفض الخضوع للديمقراطية".

ويقول أيضًا: " علينا أن لا يجعلنا حبنا لأنفسنا، نقع في رفض الديمقراطية، وإلا سنكون مثل خصومنا الذين "بهدلوا" أنفسهم برفضهم الديمقراطية، التي هي المطلب العالمي في العصر الحاضر"[1].

---

(١) رسالة انظروا: رقم (٤٣)، ص ٣/ جودت سعيد.

• من الذين رفضوا الديمقراطية يا فضيلة الشيخ الجليل ؟! أليس الجيش والقوة العسكرية في الجزائر ؟!.

ماذا تريد من الشباب المسلم أن يفعل أمام هذه المشكلة، أليسوا الإسلاميين هم الذين حرموا من حقهم الذي تحلم به أيها الناصح الأمين ؟! لماذا لم تكتب إلى الجيش والعلمانيين الذين رفضوا الديمقراطية التي تدعو إليها؟!.

• والدكتور خالص جلبي يسير على خطا شيخه باستمرار وبحماس شديد، انظر إلى قوله مشيداً بالديمقراطية: "الديمقراطية انقلاب عقلي قبل كل شيء، وتربية طويلة، وما لم نفطن إلى طبيعة الأشياء، فسوف نبقى مخربين ومجرمين"(١).

هكذا دفعة واحدة، مخربين ومجرمين، على قاعدة بوش الابن، من لم يكن معهم فهو مخرب إرهابي ومجرم؟!

• ثم يتساءل المفكر الإسلامي الطبيب خالص: "يا ترى ما هو المغزى الفلسفي والأخلاقي للصحابة رضوان الله عليهم، وهم لا يردون الأذى بمثله، بل يصرون عليه؟! إن الرسول صلى الله عليه

---

(١) سيكولوجية العنف : خالص جلبي / ص ١٣٠.

وسلم أمرهم بهذا من أجل التربية الديمقراطية، والإعداد للمستقبل، حتى لا يعتادوا حل مشكلاتهم بالرصاصة والبندقية ؟!![١].

• هذا تدليس رخيص، وفهم غريب لحقائق السيرة النبوية، ولكنه لا يستغرب من أصحاب هذه المدرسة، ولا من توجهات كتّابها !!.

انظر إلى هذا التعميم العائم وإعطاء الأحكام القطعية في قوله: "الديمقراطية الشورية، سوف تعم العالم، فهي قدر لا مفر منه، مثل الموت"[٢].

***

(١) المرجع السابق / ص ١٣١.
(٢) السابق/ ص ١٥٧.

« ٢ » **فالديمقراطية فكرة جاهلية تعني التحاكم إلىٰ الشعب** مما يعارض أبسط قواعد العقيدة الإسلامية، التي تعطي الحاكمية المطلقة في الدين والدنيا لرب الشعب.

"الديمقراطية نشأت في أثينا، في تربة الكفر والإلحاد، ثم ترعرعت في منابت الشرك والفساد "أوروبا".

فمن اليونان القديم انبثقت، حيث كان الشرك والإلحاد، إلىٰ روما ثم أوروبا انتشرت بعد أن تم فصل الدين عن الدولة.

والعلمانية صفة ملازمة للديمقراطية، وقد تأصل تلازمهما منذ أن نشأت في أثينا، وفي أوروبا الحديثة بعد فصل الدين عن شؤون الحياة"[(١)].

. . **وهنالك فرق كبير بين الشورىٰ والديمقراطية**، وقد كانت التجربة الديمقراطية سرابًا خادعًا في عدد من الدول العربية، وما حصل مع جبهة الإنقاذ الجزائرية أكبر دليل علىٰ عوار تلك التجربة، فعندما نجح الإسلاميون في الانتخابات، وكان لديهم برامج إنقاذ لأمتهم، حيل بينهم وبين ما يريدون، ثم جروا إلىٰ صراع مرير لم

---

(١) التربية السياسية في المجتمع المسلم: خالد أحمد الشنتوت (ص٤٢-٤٣)، دار البيارق / ١٤٢١هـ.

تحمد عقباه حتى اليوم[١].

•• فالنظام الديمقراطي يستمد تشريعاته وتنظيماته من البشر، أما الشورى فنظام إسلامي يستمد أصوله ومبادئه من رب العالمين، فهو نظام رباني.

الشورى نظام رباني، ينمو في أحضان الإيمان، أما الديمقراطية فنظام بشري ينمو في أحضان الشرك، ويقدم للجريمة، ويمهد للضياع، وحال المجتمعات الديمقراطية أكبر شاهد على الفساد"[٢].

• ولكن المحزن أن الديمقراطية بكل سلبياتها وسيئاتها استوعبت طاقة أبنائها، ودهاء شياطينها قرونًا طويلة، ولعل رجال يهود استطاعوا أن يتقنوا الأصباغ والزخارف في بلادهم على الأقل، فرضي الناس أو معظمهم بها، بعد أن فصلوا عن دينهم تحت حرارة الشهوة وهدير الرغبة[٣].

---

(١) فقه الشورى: د. علي بن سعيد الغامدي/ ص ٢٣١، دار طيبة بالرياض/ ١٤٢٢هـ.

(٢) فقه الشورى : د. علي بن سعيد الغامدي/ ص ٢٢٣ و ص ٢٢٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.

• • **على أن النظام الاستبـدادي ليس بأحسن حالاً**، فهو يتجاهل رغبـة الشعب، ولا يعبأ بقـانون ودين، أو عرف وخلق، ففيـه تساق الرعـيـة، وكـأنهـا قطيع من الأغنـام، فـلا النظام الديمـقـراطي ولا الاستبدادي، يـمكن أن تستقيم عليه الأوضاع، ولم يبق سـوىٰ شريعة الله تعالىٰ، التي رضيها لخلقه، ومن أسسها الشورىٰ.

فالإسلام هو النظام الناجح والعلاج الشافي في فشل الديمقراطية كما أنه صمام الأمان الذي يحمي الأمم من الديكتاتورية.

ففـي الإسلام يضمـن تحكيم شرع الله في كل صـغيـر وكبـير، ويكون الأمر كله لله ولرسوله ثم للمؤمنين: "وأمرهم شورىٰ بينهم"، ولن يتم هذا كله إلا بإيجاد قاعدة شعبية مسلمة عريضة وصلبة، تؤمن بتحكيم شرع الله تعالىٰ[١].

• • ومع هذا الوضوح في حقيقـة المنهج الإسلامي واختلافه عن المناهج الغربية، فـإن جودت سعيد يصر علىٰ الأخذ بـالديمقراطية، وعدم رفضها، يقول: "ينبغي ألا نرفض الديمقراطية، وإنما ينبغي أن نزيدها فعـالية، وذلك بنشر العلم والمـعرفة، لأن الديمقـراطية إن لم

---

(١) فـقـه الشورىٰ: د. مـحـمـد بن سعيـد الغامـدي / ص ٢٣٢، ٢٣٤، بتصرف وإيجاز.

يكن وراءها علم ومـعرفة، فـستعـجز عن حل المشـكلات، فالناس يريدون حل المشكلات ونشر العدل وتخفيف الآلام"[١].

***

(١) رسالة انظروا ، رقم (٤٣) ، ص ٣/ جودت سعيد.

«٣» تناقضات الديمقراطية عند التطبيق

أمريكا زعيمة الديمقراطية في العالم - كما تزعم - صنعت مخابراتها المركزية عددًا من الانقلابات العسكرية في العالم الثالث، وكان الهدف منها محاربة الديمقراطية والحكم النيابي في تلك الدول.

وسعت لإقامة حكم فردي استبدادي، تحت شعارات براقة تنخدع بها الجماهير، ومنها إجراء انتخابات صورية، يتم فيها التزوير، وتقرر أسماء الناجحين ونسبة نجاحهم سلفًا.

• فالديمقراطية في الجزائر، عرفنا نتائجها المريرة، وآثارها الدامية، التي ما تزال قائمة حتى اليوم، وهي نموذج مما يجري في العالم الثالث.

وقد اتضح لكل العالم أن الديمقراطية الغربية لغير المسلمين سراب خادع، فقد يسمح الغرب بقيام حكم ديمقراطي في بلد غير إسلامي، أما المسلمون فلا يسمح الغرب لهم إلا بالاستبداد والقهر، كي لا يستردوا قوتهم، ويقفوا في وجه الاحتكارات الصهيونية والأمريكية[١].

---

(١) التربية الإسلامية في المجتمع المسلم: خالد أحمد الشنتوت (ص ٤٥-٤٦).

• وفي عالمنا الإسلامي، يتخذون أوروبا وأمريكا مثالاً يحتذىٰ في الوعي الديمقراطي، إلا أن تلك الكلمات البراقة سرعان ما تفقد بريقها، حينما تعرض علىٰ واقعنا المنظور، فيعترف دعاة الديمقراطية أنفسهم بأن أحلامهم في الحرية والمساواة لم تطبق، كما أريد لها في أي نظام سياسي عبر تاريخ الممارسات الديمقراطية الطويل ، بل إن الديمقراطية الغربية، قد بدأت تفقد رواجها حتىٰ في منشئها الأوروبي[١].

انظر إلىٰ ما تصنعه الولايات المتحدة، وبعض دول أوروبا، مع المقيمين في بلادها، بعد أحداث (١١ أيلول)، فالمظالم والممارسات القمعية، فاقت ما يجري في أشد البلاد ظلمًا وتخلفًا.

• وفي الحقيقة إن دعاة الديمقراطية من المفكرين والفلاسفة الأوروبيين أمثال: "جان جاك روسو"، و (جوزلوك) وغيرهما، كانوا أول من أحس بتناقض دعوتهم، وكانت أول صدمة تعرضت لها الديمقراطية، إبان الثورة الفرنسية، التي كانت تحمل شعارات الحكم الديمقراطي، كانت صدمة قاسية جدًا، حينما بدأت الثورة الفرنسية عهدها بإرهاب شديد وقمع لا نظير له، وجرائم لا تحصىٰ[٢].

---

(١) جريدة الأنباء السودانية، العدد (٣٩٧) في ٩/ ٧/ ١٩٩٨م.

(٢) مجلة البيان ، عدد (١٨١) في شهر رمضان / ١٤٢٣هـ ، مدىٰ الفاتح، من مقال بعنوان (الديمقراطية المستدامة) ص ١١٥.

•• ومن تناقضات الديمقراطية في أرض الواقع، أن تركيا مثلاً حينما تصر على قمع الحجاب ومنعه، تستند في ذلك إلى ثوابت العلمانية... وحينما تتنكر فرنسا لقضايا الحريات وتطارد بعض الصحفيين والمعارضين، تستند في ذلك إلى المصلحة العامة للشعب الفرنسي، وقل مثل ذلك بالنسبة إلى كثير من الأنظمة التي تتنكر علانية لنتائج الانتخابات الحرة[١].

• أما طريقة الانتخابات، فهي مهزلة أخرى، لأن أصحاب الأموال، هم الذين يشترون الأصوات لضمان الفوز في الرئاسة أو في البرلمان.

خذ مثالاً على ذلك "الولايات المتحدة" "فمنذ أن تغلغلت الصهيونية في المجتمع الأمريكي، وسيطرت على مرافقه في السياسة والإعلام، وغدا لأصوات اليهود ذلك الثقل في انتخابات رئاسة الجمهورية، أضحى رئيس أمريكا مجرد دمية في أيدي اليهود، حتى قال "وايزمان" أحد رؤساء الولايات المتحدة: "إن الصهيونية هي صاحبة السيادة الحقيقية في الولايات المتحدة، وإن زعيمها هو

---

(١) السابق/ ص ١١٥/ مدى الفاتح.

الرئيس الفعلي لها"[١].

• أما الرئيس بوش الابن ومستشاروه، فهم أفضل نموذج لما نقول، فهم خاضعون إلى اللوبي الصهيوني، ينفذون مصالح إسرائيل، حتى لو كانت مضادة لمصالح الشعب الأمريكي، فهم يكسبون عداوة العرب في فلسطين، وفي العالم الإسلامي وهاهم يدقون طبول الحرب لضرب العراق، وتقسيم العالم العربي، من خلال سايكس بيكو جديدة، وحشد ما يزيد عن ربع مليون جندي، مع أحدث الأسلحة وأشدها فتكًا.

•• ولعل الصورة تبدو واضحة، إذا ما ألقينا نظرة على الظلال العالمية للفكرة الديمقراطية، فكم من جرائم ترتكب، سواء كانت برعاية الدول الديمقراطية الكبرى، أو تحت مزاعم الحفاظ على حقوق الإنسان.

انظر إلى ما يجري في البوسنة والهرسك، وفي فلسطين والعراق، وغيرها من ديار المسلمين، فالتدخل السافر في الشؤون الداخلية لدول مستقلة، والفساد والإفساد الذي يروج له تحت مسميات زائفة،

---

(١) أمريكا وغطرسة القوة: قدري قلعجي/ ص ٥٣ دار الكتاب العربي/ الطبعة الأولى/ ١٩٩٢م.

تعج بها أنظمة الدول التي تزعم أنها متقدمة ديمقراطية، وانظر إلىٰ ما يجري من ممارسات في التحلل الأخلاقي، وتسويغ لأشنع الجرائم، كالزنا والشذوذ وبقية فنون الفساد والإفساد[١].

• ومن تناقضات الفكر الديمقراطي عند التطبيق، ما نراه في أكثر الدول الإسلامية، حيث تتنكر حكوماتها للثوابت الأساسية لشعوبها المسلمة، وهي الأكثرية في البلاد، فلا تصبح الشريعة الإسلامية من ثوابت الدولة المسلمة، فأين حكم الأكثرية - كما يزعمون - ؟!.

ويحاول أهل التشريع فيها تفسير أحكامها علىٰ ما يرضي الشرق والغرب، تفاديًا للصدام مع الدول الكبرىٰ.

قارن هذا الموقف المتخاذل الذي يتنازل عن ثوابت الشرع والعقيدة، بمواقف اليهود الذين يطبقون أساطير التوراة في دولتهم حتىٰ اليوم[٢].

• ومن تناقضات الديمقراطية في ديار المسلمين، أن الممارسة السياسية لدىٰ العلمانيين حكومات وأحزابًا، هي ممارسة استبدادية، وأن جل همهم هو رفض وقمع للآخر، المخالف في الفكر والدين،

---

(١) مجلة البيان، عدد (١٨١) ، مدىٰ الفاتح / ص ١١٦.

(٢) السابق/ ص ١١٥-١١٦/ بإيجاز.

فإذا اتخذنا الحكومة التركية مثالاً على ذلك، نجد أنها استعملت فوهات المدافع صوب الصناديق التي رشحت الحركة الإسلامية، ولمرات عديدة من تاريخ تركيا الحديث.

وقد تم حتى الآن تجميد ما يقرب من أربعين حزبًا، مع سحب رخصة العمل منها.

نفس الأمر أو ما يقاربه، نجده في ممارسات الحكم في بعض الدول العربية والإسلامية، ذات المنهج العلماني خاصة، فهي لا تقبل بوجود تعددية إذا كان الإسلاميون طرفًا فيها فالعلمانيون لا يفسحون مجالاً للآخر، للتعبير عن نفسه، وتمارس الدكتاتورية تحت اسم "الديمقراطية" ومصلحة الشعب، والمصلحة العامة(١)!!.

***

---

(١) مجلة المجتمع، العدد (١٥٢٨) ، في ١٨/ رمضان/ ١٤٢٣هـ / من مقال: شيروان الشميراني.

المبحث الثالث

تحرير المرأة

إن قضية الحرية تسيطر على فكرة العلمانيين والعصرانيين، وهي حرية منفلتة بلا ضوابط ولا حدود...

وكنموذج على ذلك الدعوة إلى حرية المرأة، ويتناسى هؤلاء مكانة المرأة في الإسلام، وإنصافها أمًا وزوجًا وأختًا أو ابنة.

مكانة المرأة في الإسلام، تحسدها عليها المرأة عند الأمم الأخرى، والتي جعلتها سلعة يتاجر بها، أو لعبة تعرض لمن هب ودب بعيدًا عن الحياء والفضيلة، وقد بدأ عقلاء الغرب يدركون آثار الانحراف، وخروج المرأة سافرة تختلط بالرجال الأجانب، وتكسب قوتها بعرق جبينها.

بل بدأنا نسمع شكاوى مريرة من النساء الغربيات بسبب واقعهن المرير.

وما يشكو منه بعض من يسمون أنفسهم دعاة تحرير المرأة وأنصارها، من مظالم وهضم لحقوقها فهو ليس من الإسلام، بل هو جاهلية جديدة، عليهم أن ينادوا بإنصافها شرعًا ليس إلا[1].

---

(١) ينظر مفصلاً لهذه القضايا كتابنا، المرأة بين الجاهلية والإسلام، دار الرسالة بمكة المكرمة/ ١٤١٣هـ.

• وقد انساق الدكتور خالص جلبي وراء القوم في دعوته لتحرير المرأة، وإلى الاختلاط المشين، ضاربًا الأمثلة من عالم الغربيين، بل ومن عالم سكان الكهوف والأمم البدائية.

• يقول[١] "عند سكان استراليا الأصليين، تتدلى أثداء النساء بدون أن تثير الفتنة. وفي كهوف الفيلبين، يعيش الناس رجالاً ونساءً مع أطفالهم في حالة عري كامل، فلا يصيح واعظهم أن هذا مخل بالأخلاق !!".

"وبالمقابل فإن كشف (يد) امرأة متلفعة بالسواد من مفرق رأسها حتى أخمص القدم في بعض المناطق من العالم العربي، يثير الشهوة عند رجال يعيشون في حالة هلوسة جنسية عن عالم المرأة[٢] !!".

• • ويكمل حديثه اللامسؤول في قوله: "وفي ألمانيا تزعمت امرأة النقابات العمالية، وفي أمريكا أخذت سيدة منصب وزير الصحة، كما أن سيدة قفزت إلى الواجهة، فتربعت على منصب رئيسة وزراء كندا، بدون أن تكون إحداهن أكثر إثارة جنسيًا ..."[٣].

---

(١) في مقال له في الشرق الأوسط، في ٣/ ٧/ ٢٠٠٢م.
(٢) يقصد بعض المناطق المحافظة.
(٣) يطيب للدكتور خالص أن يأتي بالأمثلة من عالم التقدم برأيه ألمانيا =

"وعندما انطلقت كوكبة من الفتيات عاريات الصدور في كندا، ألقى البوليس عليهن القبض، ليس بسبب جنسي، بل لتجاوز الحد المقرر من الحرية.

فقيمة الحرية هناك تشكل العمود الفقري لخدمة القيم، مقابل مفهوم "الشرف" السائد في الشرق، بمعنى أن المرأة التي تمارس الجنس بحريتها ليس عليها جناح، ولكن الويل لمن اغتصبها.

أما الأنثى في الشرق فينحرها أخوها بيده غسلاً للعار، في شريعة الفحولة أكثر من العدالة"[١].

• فالدكتور في كلامه السابق، يعتبر أن الإباحية والتشدد وجهان لحقيقة جنسية واحدة، من إرادة الرجل امتلاك المرأة، وهو يتحدث عن خلل جاهلي في التعامل مع المرأة، لكنه يتناسى موقف الإسلام الذي أنصف المرأة إنصافًا ليس له نظير.

= وكندا، ويغفل أنه في فترة مضت كان منصب رئيس الوزراء في أكبر دول إسلامية قد استلمته امرأة في تركيا وباكستان وبنغلاديش، وهذا مخالف لشريعة الإسلام على كل حال.

(١) مقتطفات من مقال الدكتور خالص جلبي في جريدة الشرق الأوسط، في ٣/٧/٢٠٠٢م.

• وقد سبقه إلى هذه المغالطات، فيما يسمى بقضية تحرير المرأة، العلمانيون والعصرانيون...

فقد نادوا بإعطاء المرأة حقوقًا سياسية كالرجل تمامًا، دون النظر إلى طبيعة المرأة ولا إلى النصوص الشرعية وحدودها.

ثم أكملت الحركات النسائية بعد قاسم أمين، المؤامرة على دين المرأة وكرامتها في ديار المسلمين(١).

• وقد تباكى قبل الجلبي على حرية المرأة، الدكتور محمد عمارة، والدكتور حسن الترابي، وحسين أحمد أمين وآخرون... ونادوا بتولية المرأة القضاء والولاية العامة بإطلاق.

وقد ناقشنا هذه القضايا مفصلاً في كتابنا "العصرانيون" ولا حاجة لإعادة القول فيها الآن(٢).

• أما قضية نحر المرأة على الشبهة، فهو ليس من الإسلام في شيء، لأن الدولة المسلمة هي التي تتولى تنفيذ الأحكام في

(١) ينظر كتابنا المرأة بين الجاهلية والإسلام، الباب الثالث / ص٢٥٧-٣٠٠.
(٢) ينظر : العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب/ ص٢٦١-٢٦٨.

الزناة رجالاً ونساءً، إذا تحقق ذلك، بضوابط شرعية دقيقة، لا علاقة لها بأهواء البشر أيا كانوا، بل تنفيذًا لكتاب الله وسُنَّة رسوله صلىٰ الله عليه وسلم.

كما أن الإسلام يضع القيود، ويهيء الأجواء النظيفة، حتىٰ لا يتجرأ دعاة الفساد علىٰ تشجيع الرذيلة ولا الإباحية والتهتك، أيًا كان هؤلاء الدعاة، متسترين أو ظاهرين.

• أما المنهزمون المنادون بما يمليه عليهم سدنة اليهود والنصارىٰ، فعليهم أن يثوبوا إلىٰ رشدهم، ويتركوا التحريف تحت مظلة الإسلام، وأن يتوبوا إلىٰ الله قبل فوات الأوان، فالعمر قصير، والحساب عسير.

• وليعلم هؤلاء جميعًا أن طرائق التربية الغربية، وعلومهم المسماة بالإنسانية، قد فشلت في حل مشكلاتهم، وإلا فبم يفسر العصرانيون انتشار المخدرات وكثرة قضايا الانتحار وشيوع الجرائم وكثرة اللقطاء في تلك الديار ؟!.

إن الذين يعيشون لدنياهم فقط، ولملذاتهم فقط، ولشهواتهم فقط، أولئك "يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام والنار مثوىٰ لهم"، فهل يكون هؤلاء قدوتنا ؟!.

•• لقد قنن الغربيون لمصالحهم الخاصة في بلادهم، واستباحوا قتل الشعوب ونهب أموالها، وهاهي هيئة الأمم تشرع في مؤتمر المرأة لإباحة الشذوذ والزنا وكل أنواع الإباحية، حتىٰ أوصلت البشرية إلىٰ جاهلية هابطة، لم تتوصل إليها الجاهليات القديمة، فهل يريد جلبي أن نساير الركب الهابط؟ ما أظنه يرضىٰ بذلك، ولا أحسب بقية الماديين يرضون بذلك الهبوط .

وحسبنا الله ونعم الوكيل

❁ ❁ ❁

الباب الرابع

موقف أصحاب النزعة المادية من الجهاد في سبيل الله

الفصل الأول : مشروعية الجهاد : أهدافه وبعض أحكامه .

الفصل الثاني : موقف أصحاب النزعة المادية من قضية التسلح عند المسلمين .

الفصل الثالث : دعوتهم إلىٰ الخنوع والاستسلام وموقفهم من الاعتداءات الوحشية على ديار المسلمين .



الفصل الأول

مشروعية الجهاد : أهدافه وبعض أحكامه

المبحث الأول: ويشمل الموضوعات التالية:-

١) أهداف الجهاد وغاياته. ٢) فضل الجهاد وبعض أحكامه.

٣) أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين.

المبحث الثاني: التشكيك في مفهوم الجهاد وأهدافه عند:

- المبشرين والمستشرقين وأتباعهم.
- جبهة الصنائع والمغفلين من أبناء المسلمين.

المبحث الثالث: نظرة أتباع النزعة المادية إلى مفهوم الجهاد وأحكامه.

- جودت سعيد ومذهب ابن آدم الأول.
- الجهاد عندهم هو جهاد الفكر.
- أهداف الجهاد لديهم تتمثل في:
- إقامة حلف عالمي لرفع الظلم عن المسلمين والكفرة!!.
- تفسير أحداث السيرة النبوية تفسيراً منحرفًا.
- الفهم الغريب للعبادات: وتحويلها إلى دروس في تعطيل شعيرة الجهاد.



الفصل الأول

مشروعية الجهاد : أهدافه وبعض أحكامه

المبحث الأول

« ١ » أهداف الجهاد وغاياته[١]

الجهاد ماض إلى يوم القيامة، وهو ذروة سنام الإسلام شرعه الله لنشر الدعوة إليه، ولتكون كلمة الله هي العليا.

قال عليه الصلاة والسلام: "(**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**)[٢]

"الإسلام تهمه سعادة البشر وفلاحهم، ولذلك فهو يستخدم جميع الوسائل لتحقيق هذه الغاية، وعلى رأس تلك الوسائل الجهاد في سبيل الله.

ففي الجهاد يمكن إحداث انقلاب عقلي وفكري، بواسطة

---

(١) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني (ص ١٥٨ - ١٩٠)، ومنهج الإسلام في الحرب والسلام: د. عثمان جمعة ضميرية (١٢٦ - ١٣٢).

(٢) شرح صحيح مسلم للنووي: ج١٣/ ٤٩.

مرهفات الأقلام، كما أن القضاء على نظم الحياة العتيقة الجائرة بحد السيف، وتأسيس نظام جديد على قواعد العدل والنصفة من أنواع الجهاد أيضًا "[١].

فبذل الأموال وتحمل المشاق، ومكابدة الشدائد من الجهاد - يريد الإسلام من ذلك تحرير العباد من عبوديتهم لبعضهم، إلى العبودية لرب العباد، يريد إزالة الطواغيت كلها من الأرض، وإخلاء العالم من الفساد.

قال تعالى: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴿١٩٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٣].

والفتنة هنا الشرك: ويكون الدين لله: أي يكون دين الله هو الظاهر على سائر الأديان[٢].

ويقول ابن كثير في تفسر هذه الآية أيضًا: "فالدين الإسلامي يبدأ بدعوة الناس إلى الخير وجدالهم بالتي هي أحسن فإذا قامت عليهم الحجة ثم أعرضوا، وجب قتالهم، وإذا كان هناك سلطان للطواغيت، ترفض أن يستمع الناس إلى الإسلام، وأن يحكم الناس بالإسلام،

---

(١) ينظر رسالة الجهاد للمودودي.

(٢) تفسير ابن كثير، ج١ ص ٣٢٩، مكتبة الرياض.

فإنه يجب حينئذ بتر هذه الطواغيت من أساسها لتبلغ كلمة الإسلام للناس كافة، ثم يأتي هنا مبدأ "لا إكراه في الدين".

أي إذا سيطر سلطان المسلمين على منطقة ما، فإن أهلها لا يجبرون على اعتناق الإسلام، ولكن يجب أن يخضعوا لحكمه وسلطانه فإن أسلموا فلهم ما للمسلمين، وإن طلبوا البقاء على ديانتهم فعليم دفع الجزية للمسلمين و إلا فالسيف بينهم وبين المسلمين[١].

وقد فهم الصحابة وسلف هذه الأمة الغايات من الجهاد، وصار جليًا واضحًا في سلوكهم وأقوالهم انظر إلى ما قاله ربعي بن عامر - رضي الله عنه - إلى رستم قائد الفرس... قال رضي الله عنه:

"إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله".

قالوا: وما موعود الله؟!. قال: الجنة لمن مات على قتال من

---

(١) تفسير ابن كثير: ج١/٣٢٩/ بتصرف يسير.

أبى، والظفر لمن بقي"[١].

فالجهاد يحرر البشر ليختاروا العقيدة التي يرونها، ومنها اعتناق العقيدة بحرية... ثم ليقيم الإسلام نظامًا اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا، بعد إزالة القوة المسيطرة من قبل الطواغيت في الأرض"[٢].

وبعد تحرير العباد واختيارهم العقيدة الصافية، ونشر التوحيد الذي هو الهدف الأساسي من الجهاد، هنالك أهداف أخرى، مثل رد الاعتداء عن المسلمين، وحماية ديارهم من شرور الكفرة، ومن ثم إذلال الكفرة وإرهابهم.

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [التوبة: ١٤].

***

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج٧ ص ٣٩، طبعة دار الفكر بيروت عام ١٩٧٨م.

(٢) في ظلال القرآن: سيد قطب/ ج٣ - ص١٤٣٣، ص ١٤٢٥.

« ٢ » فضل الجهاد وبعض أحكامه

للجهاد فضل عظيم، وأهمـية واضحة في دين الله، حثت الآيات الكريمة عليـه، ودعت الأحاديث النبوية الكثـيرة إلىٰ مقارعـة الكفرة ونشر الإسلام.

قال عليه الصلاة والسلام: "**أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله**"(١).

وقال صلىٰ الله عليـه وسلم: "من مات ولم يغـز ولم يحدث نفسـه بالغزو، مات علىٰ شعبة من نفاق"(٢).

وحذر عليه الصلاة والسلام من ترك الجهاد أشد تحذير فقال: (**ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب**)(٣).

وقد دعـا الإسلام إلىٰ التربيـة علىٰ القوة، وحـذر من الميل إلىٰ الترف والتنعم.

روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: "لا تزال هذه الأمة علىٰ شرعة من الإسلام حسنة، هم فـيها لعدوهم قاهرون وعليه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ج١/ ٢١٢، وهو حديث متفق عليه.
(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه ومسلم بشرح النووي: ١٣/ ٥٦.
(٣) رواه الطبراني بإسناد حسن.

ظاهرون، ما لم يصبغوا الشعر ويلبسوا المعصفر، ويشاركوا الذين كفروا في صغارهم، فإن فعلوا ذلك، كانوا قمنًا أن ينتصف منهم عدوهم"(١).

وفي هذا بيان لنصرة الأمة المسلمة ما داموا مشتغلين بالجهاد فإذا انشغلوا بالدنيا واتبعوا الشهوات وأعرضوا عن الجهاد، يظفر بهم عدوهم.

وعمومًا فإن النصوص الشرعية من الآيات والأحاديث، تبين لنا مدى أهمية الجهاد وفضله، وإن جنس الجهاد للكفار متعين على كل مسلم، إما بيده وإما بلسانه، وإما بماله وإما بقلبه(٢).

وقد ذهب سعيد بن المسيب - رحمه الله - إلى أنه فرض عين، وقال جمهور الفقهاء: "إن الجهاد فرض كفاية، إن لم يكن النفير عامًا، إذا قام به بعض المكلفين سقط الوجوب عن الباقي"(٣).

وخلاصة رأي علماء أهل السُّنة في هذه المسألة:

---

(١) يسألونك عن الإرهاب: د. عثمان جمعة ضميرية، من مقال له في جريدة العالم الإسلامي رقم ١٧٤٥/ في ١٢/ ٣/ ١٤٢٣هـ.
(٢) فتح الباري: ج٦/ ٢٨.
(٣) انظر منهج الإسلام في الحرب والسلام/ ص١٢٣ وما بعدها للشيخ عثمان جمعة ضمرية، وأهمية الجهاد في الدعوة إلى الله: د. علي العلياني/ ص ١٢٤.

هو ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في تعليقه على العقيدة الطحاوية (ص ٩٤)، حيث قال: "اعلم أن الجهاد على قسمين:

القسم الأول: فرض عين، وهو صد العدو المهاجم لبعض بلاد المسلمين كاليهود الآن، الذين احتلوا فلسطين، فالمسلمون جميعًا آثمون حتى يخرجوهم.

والقسم الآخر: فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو الجهاد في سبيل نقل الدعوة الإسلامية إلى سائر البلاد، حتى يحكمها الإسلام فمن أسلم من أهلها فبها، ومن وقف في طريقها قوتل حتى تكون كلمة الله هي العليا، فهذا الجهاد ماض إلى يوم القيامة، فضلاً عن الأول، ومن المؤسف أن بعض الكتاب اليوم ينكره، وليس هذا فقط، بل يجعل ذلك من مزايا الإسلام"[١].

"فجدية النصوص القرآنية، الواردة في الجهاد، وجدية الأحاديث النبوية التي تحض عليه، وجدية الوقائع الجهادية في صدر الإسلام، وعلى مدى طويل من تاريخه... تمنع أن يجول في النفس ذلك التفسير الذي يحاوله المنهزمون أمام ضغط الواقع، وأمام الهجوم

---

(١) العقيدة الطحاوية: تعليق الشيخ ناصر الألباني، ص ٤٩.

الاستشراقي الماكر"(١).

قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)﴾ [التوبة: ٢٩].

***

(١) معالم في الطريق: سيد قطب، فصل الجهاد في سبيل الله.

«٣» أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم[1]

الحرب أم السلام؟!.

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأصل في العلاقة مع غير المسلمين هو الحرب والقتال، وأن السلم ليس إلا هدنة يُستعد بها لاستئناف القتال والاستعداد له، فلا ينبغي موادعة أهل الشرك إذا كان بالمسلمين عليهم قوة لأن فيه ترك القتال المأمور به[2].

وقال الفقهاء: وإن لم يكن بالمسلمين عليهم قوة، فلا بأس بالموادعة لأنها خير للمسلمين... ولا تجوز المهادنة مع الأعداء إذا كانت الهدنة مطلقة لم تقيد بمدة، وأن الجهاد لإعلاء كلمة الله وقتال الكفار الذين امتنعوا عن الإسلام وأداء الجزية، واجب كفائي على المسلمين[3].

وقد استدل جمهور الفقهاء على ما ذهبوا إليه بأدلة من القرآن

---

(١) هذه الفقرة مقتبسة من مقال للدكتور عثمان جمعة ضميرية في مجلة البيان العدد (١٨٠) شعبان/ ١٤٢٣هـ بعنوان: (أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين).

(٢) السابق/ مجلة البيان/ العدد (١٨٠).

(٣) ينظر أحكام أهل الذمة لابن القيم الجوزية: ج٢/ ٤٧٦ - ٤٩٠).

والسُّنة النبوية، ومن الواقع العملي في السيرة النبوية.

فمن القرآن الكريم: عموم الآيات الموجبة للجهاد والقتال ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠].

فقد أمر تعالىٰ بقتال الكفار وأهل الشرك الذين يناصبون المسلمين القتال، ويتوقع ذلك منهم، ويؤيد ذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ، أخبر أن هذا شأنهم دائمًا فقال: ﴿**وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا**﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقد أمر تعالىٰ بقتال المشركين الذين يقاتلون المسلمين، حتىٰ لا يكون شرك بالله، وحتىٰ لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان، وتكون العبادة والطاعة لله وحده، دون غيره.

وهذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما، وذهب إليه عمر ابن عبد العزيز ومجاهد ومقاتل من علماء السلف، وهو ما رجحه جمهور المفسرين - رحمهم الله[1].

---

(١) ينظر تفسير الطبري: ٣/ ٥٦١ - ٥٧٤، وتفسير البغوي: ج١/ ٢١٢ - ٢١٤/ وتفسير القرطبي وغيرهم، نقلاً عن مقال الدكتور عثمان ضميرية السابق/ مجلة البيان العدد (١٨٠).

• أما قتال أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ، فقد ذكرت الآية الكريمة حكمهم في قوله تعالىٰ: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [التوبة: ٢٩].

وكان نزول هذه الآية الكريمة والآيات التالية لها في السياق، حين أمر الله تعالىٰ رسوله بقتال الروم، فكانت تمهيداً لغزوة تبوك ومواجهة الروم وعمالهم من الغساسنة المسيحيين العرب.

ومن السُّنة النبوية: (١)

يستدل الجمهور بحديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم قال: **(أمرت أن أقاتل الناس، حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علىٰ الله)** (٢).

فقد أمر سبحانه وتعالىٰ نبيه محمداً صلىٰ الله عليه وسلم أن يقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويلتزموا بأحكام الإسلام.. فيدخل في هذا المشركون وأهل الكتاب

---

(١) ينظر: مجلة البيان، د. عثمان جمعة / العدد (١٨٠).

(٢) أخرجه البخاري: (١/ ٧٥) ومسلم: (١/ ٥٣).

الملتزمون للجزية إن لم يسلموا. .

•• وهنالك أقوام أخذوا يشككون بمشروعية الجهاد في سبيل الله، ويحاولون تعطيل أحكامه لأغراض مشبوهة، كالقاديانية والمستشرقين والعصرانيين مما سنتحدث عنه في المبحث القادم إن شاء الله.

***

المبحث الثاني

التشكيك في مفهوم الجهاد وأهدافه

لقد غاظ أعداء هذا الدين انتصارات المسلمين وفتوحاتهم فراحوا يشككون المغفلين (من المسلمين) بعقيدة الجهاد، وهرعوا لإماتة روحه في النفوس، **وكانوا ثلاث جبهات**:

جبهة المبشرين، وجبهة المستشرقين وجبهة الصنائع والمغفلين من أبناء المسلمين[1].

ومن المدارس التي تأثرت بمزاعم المستشرقين السليمة:

أتباع المدرسة الإصلاحية العقلية، بزعامة جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده.

فقد قصروا الجهاد على جهاد الدفاع فقط، ويرى هؤلاء أن الفتوحات الإسلامية اقتضتها طبيعة الملك.

ومن هؤلاء السيد أحمد خان:

فهو يرى أن الجهاد شرع فقط للدفاع عن النفس، أما إذا كان

---

(١) انظر أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني (ص٢٩٧ - ٣٠٢) دار طيبة - ١٤٠٥هـ.

الاعتداء من أجل احتلال الأراضي، فالجهاد عندها غير مشروع.

أما القاديانية، فقد حرم زعيمها غلام أحمد فريضة الجهاد على أتباعه دعمًا لأسياده الإنجليز في الهند، تراه يقول: "الجهاد حرام وطاعة الإنجليز واجبة، والحكومة الإنجليزية سيفي... نحن نحب أن نرى سيفنا يلمع في العراق، وفي جميع البلدان العربية"(١).

أما العصرانيون: فقد ساروا على خطا المستشرقين، واتبعوا أصحاب المدرسة الإصلاحية العقلية، إذ شككوا بحركة الجهاد الأولى وبدوافع الجهاد، وبقادة الفتوحات الإسلامية.

من هؤلاء: عبد المنعم ماجد، ومحمد جابر الأنصاري، وحسن الترابي، وعبد اللطيف غزالي وغيرهم(٢).

***

وممّن نفر من العنف وأعجب بفكرة السلام الموهوم، **الأستاذ مالك بن نبي - رحمه الله** - فقد أبرز هذه الفكرة في عدد من كتبه،

---

(١) ينظر العصرانيون ص ٣١٨ - ٣١٩ والحركات المناهضة للإسلام: د. محمد يوسف النجرامي/ ص٨٠، دار الفكر ١٤٠٠هـ.

(٢) ينظر تفصيلاً لأقوال هؤلاء: كتابنا العصرانيون/ ص ٢٨٧ - ٢٩٠، وص ٣١٨ - ٣٢٠.

ويرىٰ أن "الهندوسية والإسلام ينفيان سيف العقيدة"[(١)].

ولا يخفي مالك بن نبي إعجابه بغاندي العظيم؟! ويرىٰ أنه بطل السلام، قاوم الإنجليز مقاومة سلبية "فقد رجعت الدبابات إلىٰ الوراء، وتقهقرت عند تلك الأجسام التي افترشت الأرض أمامها، وتقهقرت أمام أفواه ترتل بعض الأذكار المقدسة..." "وإن رفات غاندي التي ذروها في مياه الغانج المقدسة، ستجمعها الأيام في أعماق ضمير الإنسانية، كما ينطلق يومًا انتصار اللاعنف ونشيد السلم العالمي"[(٢)].

• فالتعلق بالسلام أمر طيب، والتنفير من الحروب شعور نبيل، ويبقىٰ ذلك حلمًا مثاليًا شاعريًا، بعيدًا عن الواقع وعن طبيعة البشر، وهو فكرة غير شرعية تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره الله في كتابه: ﴿**وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً**﴾ [الحج: ٤٠].

• هذا مع العلم بأن الإعجاب بالوثنيين والبوذيين ومحبتهم يناقض ما كان عليه السلف، بل يناقض نصوص الشرع الحنيف ﴿**لا تَجِدُ قَوْمًا**

---

(١) كتاب الفكرة الأفريقية الأسيوية: مالك بن نبي/ ص ١٤٨ دار الفكر - دمشق.

(٢) في مهب المعركة: مالك بن نبي ص ١٤٩ - ١٥٢/ دار الفكر بدمشق/ ١٩٨١م.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

• وقد أثبتت الأيام أن أتباع غاندي، داست دباباتهم جنود باكستان المسلمة، في اعتداء صارخ ضاعت فيه الشعارات، وما نفع الناس رفات غاندي الملقى في مياه الغانج المقدسة"؟!.

وعمومًا فإن ثقافة (مالك رحمه الله) الشرعية، كانت ضعيفة، إذا قيست بقراءاته الغربية، وهذا ما جعله يخطئ في عدة أمور متعلقة بالأحكام الشرعية.

• ورغم ذلك كله كان مالك بن نبي عميقًا في فهم غدر الاستعمار وأساليبه الخفية، فهو مفكر خبير في نهضة المجتمعات، ولعل معاناة الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، جعلته يحن إلى فكرة اللاعنف بهذا المنظور.

إلا أن أفكار (مالك) التي بذرها، وسَّعها بعض المتأثرين به، فانحرفوا بعيدًا عن جادة الصواب، وعن المفهوم الشرعي لقضية الجهاد في سبيل الله[١].

---

(١) انظر مجلة البيان، العدد «٢٣»، قراء في فكر مالك بن نبي، من مقال للأستاذ محمد العبدة.

• ومن هؤلاء: الشيخ جودت سعيد في كتابه: مذهب ابن آدم الأول.

والطبيب خالص جلبي في كثير من كتاباته.

فالشيخ جودت تبنى هذه الفكرة، ونادى بتطبيق أفكار (غاندي)، ومجده في كثير من كتبه، مستلهمًا أفكاره من تصورات غاندي وأفكاره. وطالما دعا الشباب إلى الاقتداء بغاندي، وقراءة كتبه، والعمل من خلال أفكاره.

لقد دعا غاندي - البوذي - شعبه إلى عدم مواجهة المستعمر الإنجليزي بقوة السلاح، وأدى ذلك إلى خنوع الشعب الهندي وانقياده لإرادة الإنجليز...

كان يدعو إلى عدم المواجهة، رغم أن هؤلاء الأعداء كانوا يستبيحون دماء شعبه الهندي... ومن عادة المستعمر الإنجليزي أن يصنع زعامات تحت مظلته، ومن هؤلاء: غاندي وأتاتورك، وأحمد خان، والقادياني غلام أحمد[1].

• لقد كان غاندي صنيعة إنجليزية، أوجدها الإنجليز بديلاً عن قيادة المسلمين للهند، فقد كانت حركة الجهاد على أشدها بقيادة

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: الأستاذ عادل التل/ ص ٢٥٠.

العلماء المسلمين من مدرسة "ديوبند" والمشايخ من أهل الحديث.

فحركة التحرر من المستعمر كان المسلمون وقودها، وأدرك المستعمرون أنه لابد من ترك الهند، لذلك كان لابد من صنع الصنم، فكان غاندي، لذلك لمعته صحافة الغرب، وأظهرته بصورة القديس المخلص، فهو الرجل الوطني الذي يلبس من قطن بلاده، ويلتحف بلباس القديسين الزهاد، ويشرب من لبن عنزته، ويصطحبها معه في أسفاره حتى وهو في أوروبا.

بقي غاندي ليحقق للإنجليز أهدافهم بعد الرحيل، عن طريق السلبية والتفاهم والتعايش معهم.

فهل نترك معاني الجهاد في سبيل الله، ونتابع غاندي وأحمد خان وميرزا غلام أحمد، وجودت سعيد وخالص جلبي؟!.

• وقد **أعجب خالص جلبي بغاندي** على طريقة شيخه جودت فقال: "لقد أدرك غاندي بالتجلي العبقري، والروح السلامية أنه لن يقود شعبه لمواجهة خصمه قبل أن يحرره من المرض النفسي الداخلي.

وعندما غادر البريطانيون شبه القارة الهندية، ودعوها أصدقاء بدون كراهية؟!.

وكان استقلال الهند نموذجًا عـجيبًا من الوداع الحبي أو على حد تعبير غاندي يومها:

أيها السادة حان وقت رحيلكم؟!.

ومازالت الهند تنعم بـشيء من روح الديمقراطيـة، وكله من بقايا روح المهاتما غاندي العظيمة.

أدرك غاندي المـغزى العميق لقـصة نزاع ولدي آدم، ووضع يده على آلية تحرير الإنسان داخليًا"[1].

وهكذا يكون وداع المـسـتعـمـرين بالتفـاهم والحب الرومـانسي الشفاف مع صنائعهم:

"أيها السادة حان وقت رحيلكم"!!.

وفي المبـحث القادم سـوف نتحـدث عن نظرة العصـرانيين ذوي النزعة المادية، إلى مفهوم الجهاد وأحكامه.

***

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٨١٨»، ذو الحجة عام/ ١٤١٨هـ.

المبحث الثالث

نظرة أتباع النزعة المادية إلىٰ مفهوم الجهاد وأحكامه

عرفنا فيما سبق أن جودت سعيد، قد تلقف أفكار الأستاذ مالك ابن نبي في الدعوة إلىٰ اللاعنف، كما أعجب بغاندي الهندوسي وأسلوبه السلمي.

وراح يتوسع في هذا الانحراف، فكتب كتابه الأول: "**مذهب ابن آدم الأول**".

وقد بالغ في استدلاله بقصة ابني آدم، ودعا إلىٰ أن نكون كابن آدم المقتول، الذي رفض أن يبسط يده ليقتل أخاه، فأصبح القاتل من النادمين.

قال تعالى: ﴿**لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: ٢٩]، ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: ٣٠].

فهل تصلح آية واحدة تتحدث عن صراع بين أخوين: "هابيل وقابيل" دليلاً علىٰ رفض القتال؟! ولعله من الضروري هنا لفت الانتباه إلىٰ أن منهج انتقاء النصوص، هو منهج جلبي وشيخه جودت

سعيد، الذي كثيراً ما يعيبه على الآخرين[(١)].

• وتابع الدكتور خالص جلبي شيخه في هذه القصة فحملها من المعاني الباطلة ما لا تحتمله، ومن ذلك قوله: "عندما استخدم القرآن في قصة ولدي آدم هذا الترميز، كان يهدف إلى تدشين أسلوب جديد في الصراع الإنساني وحل النزاعات.

ففي هذه القصة يجتمع الاتجاهان: "الرجعي" الذي يريد حل مشاكله بيده فيقتُل، و "التقدمي" الذي يرى في تدشين مؤسسة الدولة، وإتاحة الفرصة لأمن المجتمع ونزع العنف من يد الأفراد وتطبيق القانون"[(٢)].

• ويقول أيضًا: "ويمكن أن يتولد التغيير الاجتماعي من فلسفة قصة ابني آدم في القرآن، باقتلاع شجرة العنف، وجذورها الخبيثة. . . هذه القصة أثارت خيال مفكر مبدع؟! هو جودت سعيد، فقام بتسليط الضوء على هذه القصة، ونقل زخمها إلى تيار الثقافة المعاصرة، كطرح إنساني بديل، ووضع هذه الآلية الجديدة كعنوان

---

(١) ملحق الرسالة في جريدة المدينة، ياسر الزعاترة، في ١٦/ شوال/ ١٤٢٣هـ.

(٢) سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي: خالص جلبي/ (ص٢١٦ - ٢١٧).

لكتاب كامل "مذهب ابن آدم الأول" ، وأكمله بعد "٣٥ سنة" بكتاب يحمل الدعوة إلى تبني هذا المنهج "كن كابن آدم".

وقد قوبل الكتاب الأول بالاعتراض والتهميش حين صدوره، لكن بعد مرور هذه الفترة الطويلة تبين أن الأفكار الموجودة في هذا الكتاب المهم "هي تفاحات استراتيجية" لأوبئة العنف التي تضرب بإعصارها العالم الإسلامي، من أفغانستان إلى الجزائر(١).

• ثم يشطح الخيال في ذهن الطبيب الجراح في ترميز قصة ابني آدم عليه السلام، فيكتب تحت عنوان "الخيار الصعب بين الغابة والدولة" : "الذي حدث بين الدول أنها لم تتبن موقف ابن آدم المقتول، فنشبت الحروب ولم تتوقف إلا بتطور السلاح النووي، ودخول العصر الذري، حينما أدركت الدول أن خوض الحروب غير رابح إطلاقًا"(٢).

• هذا وإن مفهوم هؤلاء لقصة ولدي آدم، مفهوم خاطئ شرعًا وعرفًا.

ذلك أن اتباع سبيل ابن آدم الأول في مطلق كف اليد عن

---

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٨٨) من مقال لخالص جلبي.
(٢) السابق/ العدد (١٠٨٩٥) في ٢٦/ ١٢/ ١٤١٨هـ.

المشركين والكفرة، وأعداء الدين.. هو انحراف وضلال، وغير واقعي.

لقد قُتل ابن آدم الصالح الذي يخاف ربه، بعد وقوع المعصية من أخيه، فهل يكون تشريع ابن آدم الأول، ملزمًا لنا في كل حال؟ وهل كان فيه نفع في عدم وقوع المعصية؟ أبدًا لم ينفع، فكان لا بد من تشريع خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ففيه كمال التشريع، والصالح إلى يوم الدين.

ومعلوم أن تشريع من قبلنا ليس تشريعًا ملزمًا لنا.

• قال عليه الصلاة والسلام، حين أتاه عمر رضي الله عنه، فقال: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: "أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي"[1].

• وقد تبنى أتباع المدرسة المادية مفاهيم غريبة تتعلق بغايات الجهاد وأحكامه.

فاشتط جودت سعيد وتلميذه في تصوير مفهوم العنف، وتوصلا إلى نتائج عجيبة، وتفسيرات منحرفة لآيات الجهاد، خالفا فيها أئمة

---

(١) مشكاة المصابيح: ج١/ ص٦٣، حديث (١٧٧)، قال الألباني هو حديث حسن، «ومتهوكون أي محتارون في دينكم»؟!

التفسير الثقات عند هذه الأمة.

فها هو الشيخ جودت سعيد يتساءل قائلاً:

ما الفرق بين الجهاد والخروج؟!

يجيب قائلاً: "الجهاد هو استخدام القوة بعد الوصول إلى الحكم برضا الناس، لمنع الإكراه في الدين...

فقد شرع القتال حتى لا يكون إكراه في الدين، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

إلا أن الشيخ جودت يرفض - كعادته - رأي المفسرين: "بأن الفتنة هي الشرك"[(١)].

ثم يقول: "شرع القتال بعد أن وصل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحكم بدون قوة إلا قوة الإقناع وقوة الفكر؟! فالرسول لم يصل إلى الحكم بالقوة المسلحة، وإنما بقوة الفكرة ثم استخدمت القوة لحماية حرية الاختيار... حتى لا تكون فتنة، والفتنة هي الإكراه في الدين"[(٢)].

---

(١) تحدثنا عن تفسير هذه الآيات كما فهمها علماء التفسير الثقات في الباب الثاني من هذا الكتاب.

(٢) مذهب ابن آدم الأول/ ص ٤١ - ٤٢.

• فقد ربط الشيخ جودت مفهوم الجهاد بقضية الإكراه في الدين فقط، أي أنه لا جهاد إلا إذا حدث للمسلم فتنة عن دينه بالإكراه.

ثم عمم رأيه هذا ليشمل غير المسلمين، فإذا أكرهوا لتغيير عقيدتهم، فمن الواجب على المسلمين أن يجاهدوا من أجلهم"(١).

وفي هذا تعطيل واضح لمفهوم الجهاد الشرعي، الذي حددت أهدافه من خلال نصوص الكتاب والسُّنَّة. **ويركز جودت سعيد على أن الجهاد هو جهاد الفكر فقط**. يقول في مقال له بعنوان:

"من هو سيد الشهداء" : "من هو سيد الشهداء؟ ومن هو الذي يمارس الجهاد الكبير؟! "الأفضل والأكبر والأكثر سيادة، هو الجهاد الفكري، وإعلان الحق بدون خوف، مثل إبراهيم عليه السلام، من غير أن يخاف لومة لائم". !!

"ولفهم هذا ينبغي أن نخرج من قلبنا الغل والكراهية والإكراه، لأن القلب العامر بالغل لا مكان فيه للحب".

"أيها القراء الكرام لا تستهزئوا بكلامي، إن هذا هو الحق ولكن

---

(١) جاء ذلك في ندوة عقدها جودت مع سعيد رمضان البوطي في التلفاز السوري وانظر النزعة المادية لعادل التل/ ص٢٤٩.

الناس الممتلئين حقدًا وكراهية لا يجدون في قلوبهم كلامًا للرحمة"[(١)].

أظن أن الاتهام الموجه للمسلمين بالحقد والكراهية في المقال السابق، لا يستحق التعليق!!.

• ويتابع الدكتور خالص جلبي شيخه في تحريف مفهوم الجهاد وأهدافه، فكتب كتابين كاملين لهذا الغرض عدا عن عشرات المقالات في الصحف والمجلات[(٢)].

يقول عن قناعته بما يقدمه من أفكار الحل السلمي:

"وهذه الأفكار التي أطرحها، أخذت مني وقتًا (وجهدًا) طويلاً حتى تبلورت... وهي تشكل عندي قناعة استراتيجية، قمنا ببلورتها منذ أكثر من عشرين سنة"[(٣)].

ثم يقول: "إن هذه المشكلة أقضت مضجعي، وشغلتني منذ ما يزيد عن عشرين عامًا، حتى انتهيت إلى وضوح في هذه الفكرة، ويقين في محتواها، ولذا فإنني أكتب في هذا المجال بشعور المتخمر

---

(١) مجلة المجلة، العدد «١١٤٩»، في ١٧/ شباط./ ٢٠٠٢م.
(٢) كتاب سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي/ عام ١٤١٩هـ، وكتاب: جدلية القوة والفكر والتاريخ، عام ١٤٢٠هـ.
(٣) جريدة الرياض، العدد «١٠٥٩٤»، ٢٦/٦/١٩٩٧م.

والسعيد في إعلان هذا التوجه"[١].

• إذن فالدكتور يكتب بقناعة متناهية، مع الإصرار على هذا التوجه، فهو يكرر الحديث عن ظاهرة العنف في العالم العربي، بشكل مرضي عجيب، ونزعة في التشاؤم حادة، انظر إلى قوله متحدثًا عن ظاهرة العنف في العالم العربي: "وإن ظاهرة العنف مرض عام في أي بلد عربي، فهي "بلا سما ثقافية، يسبح فيها الجميع، ومرض عام لكل الفرقاء المتنازعين. . . ولذا فالانفجارات موجودة في كل بيت وزاوية ودولة. . . ولذا فنحن في العالم العربي نسبح في "بلا سما" ثقافية موحدة، مشربة بالعنف، سواء اعترفنا بهذا أم لا، وكل العلاقات بين أفراد هذا المجتمع معظمها علاقات إنسانية مشؤومة. . . "[٢].

• فما أدري لمصلحة من يطرح هذه التصورات والشتائم لهذه الأمة المنكوبة على أيديهم، فالطبيب يعالج ويصف الداء والدواء، ولا يكون جزارًا يقتل مريضه بوصفة قاتلة مشؤومة.

---

(١) سيكولوجية العنف/ ص ٧٨.
(٢) المرجع السابق/ ص ٧٩.

وما أدري لماذا يتعامى الدكتور الفاضل عن رؤية العنف والأمراض الاجتماعية في ديار الغرب الرأسمالي والشرق الشيوعي؟!.

إن هذا التوجه يخدم أعداءنا شئنا أم أبينا.

• ويطالعنا الدكتور بمفهوم عصري جديد لإقامة حلف عالمي جهادي لرفع الظلم عن الناس مسلمهم وكافرهم(١).

هذا مفهوم يغاير المفهوم الذي نزل به القرآن الكريم عن الجهاد في سبيل الله، فقد ساوى فيه الجلبي بيننا وبين المشركين والكافرين، ليكون كل فرد في هذا الحلف مقاتلاً في سبيل الله، ما دام أنه يسعى لرفع الظلم.

وماذا عن المسلم الكشميري والأفغاني والفلسطيني، الذي يلاقي الأمرين من اليهود المحتلين، ألا يجب رفع الظلم عنهم؟!.

• وللعلم فالكافر غير مؤتمن أصلاً، ولا يكون مجاهدًا إلا بأمر من قائد المسلمين، وتحت قيادته، على أن يكون له الجعل - أي في الدنيا - مقابل الجهاد، ونادرًا حصول هذا، ويخاطب الأستاذ رجاء جمال الدكتور في مداخلته قائلاً: "هناك سؤال يراودني وهو: هل

---

(١) ملحق الرسالة في جريدة المدينة، رجاء جمال في ٤/٩/١٤٢٣هـ.

الكفار عندما نعقد معهم حلفًا عالميًا لرفع الظلم، يعد في مذهبك إعلاء كلمة الله في الأرض؟! ما أعلمه: أن الجهاد الحق في سبيل الله كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم، هو ما كان صاحبه ينوي به إعلاء كلمة الله "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"[1].

والذي بيننا وبين أمريكا وحلفائها خلاف عقدي، قبل أن يكون فكريًا، فكيف تطلب منا أن نقيم معهم حلفًا عالميًا، وضد من ولصالح من؟! ضد بني ديننا ولصالح أمريكا؟! أليس ما تراه في فلسطين منذ خمسين عامًا ونيف، ظلم يستوجب رفعه ؟! فلماذا تطلب من أهالي فلسطين العزل، إلا من الحجارة وما خف من السلاح، أن يقاوموا اليهود المحتلين مدنيًا؟! ماذا كان نتاج أوسلو ومدريد، وخطة تينت وغزة وأريحا أولاً؟ إنها لا تعمى الأبصار[2].

• ويصر الدكتور خالص جلبي على "أن الجهاد المسلح شرع لحماية المخالف وضد الظالم، وهي أداة مسخرة ضد المسلم عندما يكون ظالمًا، وليست ضد الكافر طالما كان عادلاً، والجهاد تحرير

---

(١) رواه مسلم: ينظر شرح صحيح مسلم للنووي، ج١٣/ ص٤٩.

(٢) ملحق الرسالة بجريدة المدينة: الأستاذ رجاء جمال يرد على خالص جلبي في ٤/ ٩/ ١٤٢٣هـ.

مهم، كونه دعوة لإقامة حلف عالمي لرفع الظلم عن الإنسان أيًا كان"، ثم يوضح أبعاد هذا الحلف العالمي فيقول: "وبذلك فإذا رأينا أن الوثنيين يضطهدون ويعذبون ويطردون من ديارهم بالقوة المسلحة، في أقصى جزر الأرض على يد المسلمين، فيجب نصر الوثنيين المظلومين ضد المسلمين الظالمين، لأن علة الجهاد هي لرد الظلم من أي مصدر جاء"[١].

• وذلك فالدكتور خالص جلبي، يعتبر أن حرب أمريكا لزعيم صربيا "سلوبودان ميلوسوفيتش" ، هي نوع من الجهاد، طالما تريد رفع الظلم عن شعبه، وكذلك لو هاجمت العراق لتخفيف معاناة شعبها، فذلك نوع من الجهاد"[٢].

• وهذه فتوى جهادية لصالح أمريكا يفتي بها الدكتور خالص، بل هي دفاع عن بوش الابن ضد الذين يحبون الاصطياد في الماء العكر - على حد قول الدكتور - ، وهذا من عمق التفكير وقوة الفقه في الدين!!.

---

(١) سيكولوجية العنف (ص١٢٨و ص ١٦٤).

(٢) مكاشفات جلبي في ملحق الرسالة خلال مقابلة معه في ٢٨/٨/١٤٢٣هـ.

أما فتوىٰ نبينا محمد صلىٰ الله عليه وسلم، فإنها عكس هذا تمامًا، فقد نفىٰ عمن يقاتل حمية أو شجاعة، وهو من المسلمين، نفىٰ عنه وصف الجهاد، كما في صحيح البخاري وغيره، وأثبت هذا الوصف لمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا.

وبناء علىٰ هذا الفقه الغريب، عندما أفتىٰ جلبي في مكاشفاته، بأن عمل أمريكا الذي تريده ضد العراق، يمكن أن يكون نوعًا من الجهاد!!.

فهل يعقل أن يقول أحد من المسلمين: إن أعمال المسلمين القتالية هي عنف ومرض وعفونة ودموية وتخلف، ووحشية، وأعمال أمريكا الإبادية يسميها جهادًا ومقاومة للاستبداد والظلم؟!.

فأمريكا ليست في حاجة إلىٰ من يفتي لها، ويسوغ أفعالها باسم الإسلام، ويستر سوآتها بملحفة فكرية، ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [المائدة: ٨٠][1].

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة: د. سعيد بن عوض الغامدي، في ٢٤/٩/١٤٢٣هـ.

• فهذا انحراف من خلال الدعوة إلى مذهب السلم، ونبذ جميع أنواع ما يسمى بالعنف، دون تفريق بين حق وباطل، وحصر مفهوم الجهاد الشرعي في الدفاع عن البشر المظلومين. "أيًا كان دينهم" المكرهين على تغيير آرائهم واعتقاداتهم، وذلك بعد قيام الدولة الإسلامية بواسطة الطريق السلمي . . . أما قبل ذلك فلا يجوز أي نوع من أنواع الجهاد المسلح"(١).

• ويقول الدكتور خالص جلبي حول قضية استخدام العنف تحت عنوان: "**أنظمة فكرية أربعة في كيفية استخدام العنف**" منها:

اللغة الأولى هي شريعة الغاب: القوي فيها يأكل الضعيف وهي مرحلة مشى فيها الجنس البشري، وهو يودعها تقريبًا الآن في مسيرته نحو تحقيق الكمال الإنساني، والدولة العالمية الواحدة، لتأمين الخبز ودحر المجاعات واحتكار السلاح، وإيقاف الحروب(٢).

واللغة الثانية هي لغة الأنبياء: الذين حرَّموا صناعة الحكم بالقوة المسلحة وبالعنف، من خلال الانقضاض على الحكومات القائمة. . . فالشرعية لا تزال بالشرعية، وهذا ما فعله الرسول صلى الله عليه

(١) ينظر: انحرافات خالص جلبي، سليمان الخراشي/ ص ١١.
(٢) جريدة الرياض، العدد «١٠٩٥١» وسيكولوجية العنف/ ص ٢١٨.

وسلم، الذي غير المجتمع بالفكر وسلميًا، لم يذهب إلى المدينة على ظهر الدبابات بانقلاب عسكري، بل خرجوا لاستقباله في مظاهرة ضخمة... مع فرقة موسيقية كاملة!! والكل ينشد: طلع البدر علينا..."[1].

يقول ابن القيم في زاد المعاد (٣/ ١٥٥): إن هذا كان عند مقدم الرسول من تبوك، وبعض الرواة يهم في هذا".

•• ثم يقول جلبي متطاولاً ومدلسًا: "وهذه كتب السيرة، سجلت أحداثها على أساس مسلسل متتابع من الغزوات، كأن الرسول صلى الله عليه وسلم، كان لا ينام إلا على غزوة ولا يستيقظ إلا على معركة، كما كُتِبتْ مضمخة بعبق الأجواء السحرية، فكلها سلسلة من المعجزات"[2].

• فهذا أسلوب ساخر "عليه من الله ما يستحق" يحاول فيه أن يجعل رسول الله إمام الدعاة إلى مذهب اللاعنف والاستسلام.

وقد تجاهل أن رسول الله هو إمام المجاهدين، (وأنه قال: "من **لم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية**".

---

(١) سيكولوجية العنف ص ١٢٥.

(٢) سيكولوجية العنف، ص٤٨، خالص جلبي.

وانظر إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**والذي نفس محمد بيده، لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل**) . (متفق عليه).

أين هذا من هذيان العصرانيين والمرجفين؟!.

• **وإنها لجرأة عجيبة على تفسير أحداث السيرة تفسيراً منحرفًا،** حينما يتجاهل الطبيب "جلبي" جهاد رسول الله وغزواته فيقول: "قد فات كثيراً من المسلمين أن محمداً صلى الله عليه وسلم، كان صاحب أعظم ثورة لا عنفية في تاريخ الجنس البشري، نجح فيها نجاحًا كاملاً بدون انقلاب عسكري، وجيوش وأسلحة وحروب وغزوات، (قبل إقامة الدولة) ، وبكل أسف لم يتشكل هذا التيار اللاعنفي والسلامي، ميدانيًا، وبكل زخمه في منطقة العالم العربي"[(١)].

• والدكتور خالص جلبي يؤمن بأن الحروب سوف تنتهي، وأن الغاية منها هي الأسلاب والغنائم، يقول: "كانت الحروب قديمًا تؤدي دوراً من الغنائم والأسلاب والرقيق، واليوم فات وقتها، والعالم

---

(١) المرجع السابق/ ص١٦.

في طريقه لإلغاء مؤسسة الحرب"[1].

فهذه مقولة إنسان لا يؤمن بمشروعية الجهاد في الإسلام، حيث ارتبطت الحروب عنده بالغنائم والرقيق، وهذا لا يقوله إلا الحاقدون على الفتوحات الإسلامية والمرجفون من أعداء الإسلام.

***

• ومن الانحرافات العجيبة والضلال المبين: **تحويل الصيام والحج إلى دروس في تعطيل شعيرة الجهاد والتدريب على السلم الموهوم.**

• يتساءل الطبيب خالص جلبي: كيف تتحول العبادات "الصوم والحج" إلى دروس للسلام العالمي واللاعنف.

فيجيب: "بعد أن تأملت ظاهرة الحج رأيت أنها رمزية في تحويل البيت الحرام إلى أقطار الأرض جميعًا، كهدف إبراهيمي قديم، فيكبر البيت الحرام ليستوعب بسلامه الكرة الأرضية كلها، من خلال تجربة صمدت عبر أربعة آلاف سنة، ومد الأشهر الأربعة لتعم السنة، أي امتداد السلام إلى العالم في مستوى الزمان والمكان، فهذه

---

(١) السابق/ ص ١٤٣.

في نظري إحدى رسائل الحج السنوية تدريبًا وتعميمًا، لبشر يفدون من كل المعمورة على كل ضامر يأتين من كل فج عميق، في تكرار لا يعرف التوقف أو التحويل والتأجيل والتمثيل[١].

• ثم يقول: "وكانت التضحية بالحيوان ترميزاً لإحياء ذكرى الإعلان الإبراهيمي قبل أربعة آلاف سنة بالتوقف عن تقديم القرابين البشرية، وتوديع عقلية العالم القديم في حل المشاكل بالعنف... وإنني أقترح هذه الأداة - مع شعوري الكامل برفضها - لفهم المجتمع الإسرائيلي لأن إسرائل تراهن في العالم على تشويه صورة العربي الذي يقوم بالعمليات الإرهابية الانتحارية، ولكن أسلوب مقاومتها، بالطريقة السلمية يوقظ الضمير الإسرائيلي؟! ويؤنْسن الصراع، أي يأخذ الشكل الإنساني؟!

فأسلوب اللاعنف من درس الحج مربك، ومحرج للإدارة الإسرائيلية، وتفجر المجتمع الإسرائيلي من داخله؟!"[٢].

• فحاصل كلام "جلبي"، أنه يريدنا أن نكون دجاجًا على موائد اليهود، أو متوسلين على أبواب الأمم المتحدة.

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي / ص ١٦١.
(٢) جريدة الرياض، العدد «١٠٥٣١»، في ١٧/ ١٢/ ١٤١٧هـ.

لا شك أن هذه الصورة من الاضطراب والخلل في الفهم، هي التي تدعو للرثاء حقًا... والمصيبة أنه يسوق هذا على أنه الدين والشرع، ومقتضى رحمة الأنبياء وسماحتهم(١).

• ويعلق الدكتور ظافر القرني على دعوة جلبي السلمية بقوله: "إن الشيء الذي نفهمه جيدًا، أنه لم يرد في دعوة الرسل ما يؤيد هذا الأسلوب الانبطاحي، الذي يدعو إليه جلبي، كيف يدعونا إلى الانبطاح لعل الخصم يخجل من انبطاحنا فينبطح مثلنا، هل حصل هذا في التاريخ الذي يقرؤه خالص ويقلب صفحاته، إن الأنبياء هم الأجدر بهداية الناس وإرشادهم، فهل دعا أحد منهم إلى مثل ما يدعو إليه؟!(٢).

• ويكتب جلبي مقالين بعنوان: "الصيام كتدريب على ممارسة اللاعنف".

يقول في أحدهما: "نحن نصوم كل سنة لمدة شهر كامل، ولكننا في الغالب لا نطرح على أنفسنا سؤالاً، لماذا نصوم؟! وما معنى

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، في ١٤٢١/٩/١٧هـ، الدكتور جميل اللويحق.

(٢) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، في ٢٣/ شوال/ ١٤٢٣هـ.

الصوم للإنسان؟! بل ما هو نظام الصوم أصلاً في تاريخ الجنس البشري، وكيف ولد وتطور، وأخذ شكل نظام مؤسس معقلن مشرعن؟! في ثلاثة أسئلة تمسك بمفاتيح هذا النظام السنوي.

الصيام تدريب على ممارسة اللاعنف "فإن خاصمك أحد فقل إني صائم"[١].

• ثم يعلق الأستاذ ياسر الزعاترة على مكاشفات الدكتور جلبي، ومفهومه لقضية الصلاة والعبادات في الإسلام فيقول: "حتى الصلاة لم نفهم معانيها - ياللمصيبة - فكيف تكون الصلاة من خلال الموسيقى أو قراءة القصص المؤثرة؟!.

إذا عرفنا كل هذا، فإن مبايعة الدكتور جلبي على أنه نبي هذه الأمة الجديد، وأقله مهديها المنتظر تغدو أمرًا واجبًا"[٢].

• ثم يقول: "إن هذا الرجل مصاب بجنوب العظمة - عافاه الله وعافانا - إما أن نعترف بين يديه بأننا أمة من الجهلة، من عهد آدم عليه السلام إلى اليوم، وإن الله قد ابتعث لنا "خالص جلبي

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٧٩٠»، خالص جلبي.

(٢) ملحق الرسالة، من مداخلة الصحفي ياسر الزعاترة، في ١٦/ شوال/ ١٤٢٣هـ.

وشيخه جودت سعيد" ليعيدا ترجمة تعاليمه (سبحانه) في إصلاح البشرية، وما علينا سوى السمع والطاعة لهما، إذا أردنا بالفعل سبيل الرشاد"[١].

وفي ختام هذه الفقرة نقول:

• إن الدعوة إلى اللاعنف وتكلف الأدلة على صحتها، جاء مخالفًا للشريعة الإسلامية، وإلى الأديان السماوية وإلى المنطق السليم.

ذلك "أن مسألة اللاعنف التي اكتشفها جودت وحمل رايتها تلميذه خالص، عند التدقيق في هذا الأمر نجد أننا بإزاء دين آخر لا نعرفه نحن ولا الأنبياء، ولا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ولا الصحابة ولا التابعون ولا العلماء إلى يومنا هذا.

فقد قاتل نبي الله سليمان بالسيف، وقتل داودُ جالوتَ، فيما كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، يود لو أنه لم يقعد "خلاف سرية تقاتل في سبيل الله" ، وفي آثاره مئات الأحاديث حول الجهاد والقتال.

"أما نصوص القرآن فيكفي أن نراجع المعجم المفهرس لنتوقف عند مئات الآيات التي تدحض كلام جودت سعيد وتلميذه النجيب. "

---

(١) السابق: ياسر الزعاترة.

"وهل كان الصحابة جهلة أيضًا - حسب رأي جلبي - وإلا فماذا نقول عن الصديق وإصراره على قتال أهل الردة بدل مهادنتهم؟!".

"وماذا نقول عن جهاد المسلمين الموصول، منذ ذلك الحين، هل كانوا جميعًا جهلة قبل أن يبعث فيهم جودت سعيد وخالص جلبي؟!".

"لقد مضى على ترديد جودت لهذه الفكرة أكثر من ثلاثين عامًا، ولم تكسب سوى بضعة عشرات من الأنصار، أليس هذا دليلاً واضحًا على عبثيتها؟!!"(١).

❁ ❁ ❁

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، للأستاذ ياسر الزعاترة، في ١٦/١٠/١٤٢٣هـ.

الفصل الثاني

موقف العصرانيين الماديين من قضية التسلح

المبحث الأول: الدعوة إلى نزع السلاح من المسلمين وتسريح جيوشهم

المبحث الثاني: هل الحروب والنزاعات المسلحة هي بضاعة المتخلفين؟!!

المبحث الثالث: التبشير بنهاية الحروب في العالم!!



الفصل الثاني

موقف العصرانيين الماديين من قضية التسلح

المبحث الأول

الدعوة إلىٰ نزع السلاح من المسلمين وتسريح جيوشهم

هل تكون الجيوش المسلحة عقبة في طريق تحرير الأمم؟! هذا ما يراه أصحاب دعوات اللاعنف والسلام الموهوم.

• يقول الشيخ جودت سعيد: "إن المسلمين إذا صاروا في الحكم، فسوف يسعون إلىٰ تقوية القوات المسلحة، وشراء الأسلحة، وهذا عين الخراب، لأن هذا فات أوانه، لأن الاقتصاد يخرب، والسلاح لم يعد يحمي الأمة، وروسيا أكثر مثال علىٰ ذلك". ثم يقول:

"ينبغي فورًا أن نقلص ونتخلص نهائيًا من الجيش والسلاح، وخاصة الأسلحة المتطورة"[1].

• فلمصلحة من تكون هذه الدعوة الانهزامية؟!.

---

(١) رسالة انظروا، رقم (٤٣)، ص ٣/ جودت سعيد.

يريد الشيخ من هذه الدعوة الحمقاء التخلص من الجيوش على ضعفها، وها هي دولة إسرائيل تمتلك كل أنواع أسلحة الدمار الشامل.

"فهي تواصل تطوير قدراتها العسكرية والتكنولوجية دون أن يلومها أحد على ذلك، بينما ينصب اللوم على أية دولة عربية أو إسلامية تحاول اللحاق بهذا الركب حماية لأمنها القومي من أي تهديد. يقول "وليم كوانت" المسؤول السابق في مجلس الأمن القومي الأمريكي!

"إن الولايات المتحدة ستبقي إسرائيل هي الدولة الوحيدة في الشرق الأوسط تمتلك أسلحة نووية"[١].

• وقد نشرت مجلة (نيوزويك) الأمريكية، أن إسرائيل تمتلك مائة قنبلة نووية، وعشرات من الرؤوس النووية، ذات القدرة التدميرية الفائقة[٢].

• ومن المعروف والمعلن عنه، أنه في كل مناورة عسكرية تجريها إسرائيل، يشترك في العرض سلاح الحرب الكيماوي والبيولوجي

---

(١) جريدة الأهرام: في ٤/٦/١٩٩١م.

(٢) جريدة الأمة الإسلامية، العدد «٩٧»، شهر شوال / ١٤١٠م.

الإسرائيلي، الذي طورته حتى صار يقذف كيماويات وميكروبات تبيد البشر، كما يباد الذباب بالمبيدات الحشرية.

وإلى جانب استراتيجية الحفاظ على التفوق العسكري لدى إسرائيل، فقد حاولت منع العرب والمسلمين من امتلاك أي سلاح مماثل، ولذا تم تفجير المفاعل النووي العراقي... كما أن اسرائيل مارست منذ الستينيات أسلوب الاغتيال لعدد من العلماء والباحثين العرب والمسلمين، من علماء الذرة ومجال الفيزياء النووية... وها هي إسرائيل تقوم باغتيال قيادات المجاهدين في فلسطين يوميًا"[(١)].

•• ورغم هذا التسلح الخطير لدى إسرائيل، يطالعنا الشيخ الجليل بهذه الدعوة الصارخة إلى الذل والمسكنة، ولم يجرؤ أحد قبله على هذه الفتوى المريبة في نزع السلاح من المسلمين، والتخلص من جيوشهم، إلا عملاء الإنجليز كالقادياني "ميرزا غلام أحمد" وأمثاله[(٢)].

• كما سبقهم إلى هذا المنزلق الخطير، الوزير الرافضي "ابن

---

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد «١٠٧»، شهر مايو / ٢٠٠٢م، من مقال: لأشرف شعبان.

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل / ص ٢٤٤.

العلقمي" ، عندما أشار على الخليفة العباسي "المستعصم بالله" بتقليص عدد أفراد الجيش العباسي، من أجل توفير الأموال لنفقات الخليفة وحاشيته، ثم أغرى هولاكو بقتل الخليفة وحاشيته وأفراد أسرته، في مجزرة تقشعر لها الأبدان... وفي مذبحة للمسلمين من أهالي بغداد ليس لها نظير، ولم يعش الخائن طويلاً فلم يمهله الله ولا أهمله، بل أخذه أخذ عزيز مقتدر، فكان رافضيًا جلدًا خبيثًا، مات غمًا وحزنًا وندمًا فللَّه الحمد والمنة"[1].

• مات بعد أن استهان به التتار، وأذلوه (بعد عز كان يرفل به) وهذه هي نهاية العملاء والخونة.

• ألم ينظر جودت سعيد وهو في قريته - بئر عجم - إلى قوات إسرائيل أمام عينيه في الجولان المحتل؟!.

ألم يشاهدها وهي تمتلك من الأسلحة المتطورة ما هيأ لها أن تغتصب أرضنا وتدمر أسلحتنا، وتسفك دماء الأبرياء من أبنائنا؟! فكيف يطلب من المسلمين التخلي عن أسلحتهم ومواجهة الأعداء

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير: ج١٣/ ص٢٠٠ - ٢٠٠٣/ طبعة دار الفكر - بيروت/ عام ١٩٧٨م.

بصدور مفتوحة وأياد فارغة؟[١].

هل نسي الشيخ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

• فالطفل الصغير يدرك خطأ هذه الدعوة الاستسلامية، ولا يرتضي هذا الذل لنفسه، لأن القوة تحتاج إلىٰ قوة مكافئة، ومن الغريب أن يقول الشيخ: "الجيش والسلاح عقبة في سبيل تحرير الأمم"[٢].

• وأغرب من هذا قوله: "علينا أن نعترف أمام الأجيال أننا هجرنا الفكر والفهم، ونبذنا كل قوىٰ الإنسان، إلا قوة العضلات، وهجرنا الدماغ الهش؟!"[٣].

• ومن مغالطات الشيخ وغرائبه - وما أكثرها - ادعاؤه بأن اليابان تحررت بدون أسلحة أو قوات مسلحة.

وهل تحررت حقيقة من سيطرة أمريكا والحلفاء؟ هذا ما يعتقده

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.
(٢) رسالة انظروا «٤٣» ص ٥.
(٣) مجلة المجلة: من مقال لجودت سعيد، العدد (١١٤٦) في ٢٢/ ٢/ ٢٠٠٢م.

الشيخ جودت سعيد، ويعتبر أن "هذا الشعب الياباني، أقرب إلى الله وأقرب إلى البشر"[١].

فهل كان البوذيون أقرب إلى الشيخ من المسلمين؟. وأقرب إلى الله والبشر لأنهم تركوا التسلح بعد الهزيمة؟!.

ويبقى أسلوب المواجهة المفضل عند الشيخ جودت هو: "لا نضرب ولا نهرب، ولا نطالب بالإفراج عن المظلومين من المساجين، بل نطلب أن يأخذونا نحن أيضًا إلى السجن"[٢].

والحقيقة أننا لا نعلم كيف تأتي هذه الرؤى والخيالات، وهذه النزعة الانبطاحية إلى عقلية الشيخ، حتى المساجين المظلومين لا نطالب بالإفراج عنهم، لماذا؟ أليسوا مساجين مظلومين؟!. فكل هذا مخالف لهدي النبوة ولا شك.

• فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع أصحابه في دار الأرقم، ويحيطهم بعطفه وحمايته، ويخفيهم عن أعين العدو، وإذا اشتد الأذى عليهم، أوصاهم بالهجرة إلى مكان بعيد[٣].

---

(١) النزعة المادية: عادل التل، ص ٢٤٥.

(٢) رسالة انظروا «٤٣»، ص ٥/ جودت سعيد.

(٣) النزعة المادية: عادل التل، ص ٢٤٦.

• ويقول الشيخ في تتمة هذا "السيناريو" : "بأن الإيمان بجواز العنف يجعل صاحبه مضطرًا إلى النفاق، ولذلك مازال أكثر من مليار مسلم يعيشون هذا الوضع السيء لأنهم أجازوا الكذب والغدر، لمجرد امتلاكهم للقوة وشعورهم بأنهم على الحق"[(١)].

أهكذا يكون الحكم المنصف؟!! اتهام مليار مسلم بالغدر والكذب لمجرد امتلاكهم للقوة؟! فيا للعار لمن يتكلمون باسم هذا الدين!!.

• ويأتي الدكتور خالص جلبي ليكمل المسلسل الدرامي فيقول مبررًا فكرة نزع السلاح: "لا يمكن أن تستورد سلاحًا من خصمك، وتستطيع أن تتفوق عليه، فهذا تناقض لا يقع فيه إلا أحمق، ينطبق هذا على الأسلحة المتطورة أيضًا.

فالاتحاد السوفييتي انهار وسقط مع امتلاك السلاح، واليابان وألمانيا صعدتا بدون امتلاك سلاح"[(٢)].

•• والحقيقة أن تبني هؤلاء العصرانيين لمصطلح: اللاعنف، يمثل انحرافًا عن أبسط مفاهيم الإسلام، لأن فيه تعطيلاً لمفهوم

---

(١) قراءة في مفهوم التغيير لجودت سعيد، مراجعة: محمد نفيسة، عن مجلة الجديد في عالم الكتب والمكتبات، العدد التاسع، شتاء عام ١٩٩٦م، ص ٢١، تصدر عن دار الشروق للنشر والتوزيع في بيروت.

(٢) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، ص (١٤١ - ١٤٢، وص ١٤٤).

الجهاد كحكم شرعي، والجهاد له شروطه وأحكامه الشرعية، ومفهوم الجهاد لا يوصف بالعنف أو اللاعنف، لأن للجهاد مراحل متعددة، فهناك دعوة وتبليغ، وهناك جهاد وقتال، لتحقيق المجتمع المسلم، وكل ذلك يجري بناء على معرفة الحكم الشرعي[1].

وليس بناء على الأهواء، والمفاهيم المغلوطة، والأمزجة الشعوبية المريضة.

***

---

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل، ص ٢٤٩.

المبحث الثاني

هل الحروب والنزاعات المسلحة هي بضاعة المتخلفين؟!

يتوسع الدكتور خالص جلبي في الدعوة إلى نزع السلاح، بزعم أن تكديس السلاح اليوم هو بضاعة المتخلفين عقليًا، والذين لا يملكون المعرفة ونواتجها من التكنولوجيا، وفي استعراض سريع لبؤر النزاع المسلح في العالم يرينا، أن عالم الكبار لا يتقاتل، والذين يتقاتلون هم دول الأطراف المتخلفة فقط.

ويزعم أن المشكلات لن تحل بعد اليوم بالقوة المسلحة، فهذا هو المنطق الجديد، منطق العصر النووي، وبالتالي وجب على الإنسان، كما ودع هراوة الغابة، أن يودع عقلية الغابة.

ذلك أن تجربة السلاح الذري في ١٦/ تموز/ ١٩٤٥م جعلت الإنسان يدرك أن هناك انقلابًا نوعيًا في مفهوم القوة، يتلخص في أنه لم يبق غالب أو مغلوب في هذه الحروب بعد اليوم، ولن يدخل أحد الحرب، وهو يعلم أنها انتحار جماعي[1].

• ثم يقول: "إن الدول الكبرى، أدركت عقم مفهوم القوة، عندما قطعت الشوط إلى نهايته، فاصطدمت بالجدار النووي، كما يصطدم

---

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي، (ص١٦٥ - ١٦٦) بإيجاز.

الأعمىٰ بجدار لم يره.

فهم يعلمون أن أكبر خطر يهدد امتيازاتهم، هو انتباه واستيقاظ المغفلين علىٰ هذه الحقيقة، فنكف عن شراء الأسلحة، ونفعل كما فعلت اليابان وألمانيا اللتين استسلمتا دون قيد ولا شرط في الحرب العالمية (الثانية)، فكانت النتيجة أن ارتفعتا إلىٰ قمة العالم دون سلاح، في حين هوىٰ الاتحاد السوفييتي وهو يملك كل سلاح.

فاليابان وألمانيا أُحتلت بلادهما بالكامل، ولكن البلدين لم يشعرا بالاستعمار، كما لم يقودا حرب تحرير شعبية"[1].

• هنيئًا للدول الكبرىٰ، فقد خرج من يدعو للاستسلام الكامل لها، وألا نقاوم بحرب تحرير شعبية، لو احتلت البلاد، وذلّ العباد، وتسمىٰ هذه أفكارًا تقدمية عند المفكر الإسلامي الملهم، والويل لمن يزعم أنها عمالة، لأن هذه التهم هي بضاعة المتخلفين عقليًا لدىٰ الدول الرجعية، لا الدول التقدمية.

• ثم يكمل الدكتور خالص شرح خيالاته وهذيانه فيقول: "غدت الحرب "موضة قديمة، يمارسها المتخلفون فكل بؤر النزاع والحروب في العالم اليوم، هي في معظمها مناطق المتخلفين، وعندما نتأملها

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، ص ١٦٨.

نراها في: "أفغانستان والصومال وزائير"، فكلها كما ترى مناطق المتخلفين بما فيهم الصرب العنصريون".

"إن هذه الحقيقة المزلزلة لم يفهمها سياسو العالم الثالث حتى الآن، ويظنون أن شراء السلاح وتكديسه، سوف يحل مشاكلهم، وهو في الواقع يرهن مصائرهم ويبدد أموالهم فيما لا جدوى منه"(١).

• هذه الدول المتخلفة، فما رأي الدكتور بالغزو الأمريكي البريطاني على دولة العراق هذه الأيام، فيما يسمى بحرب الخليج الثالثة، وقد حشدت حتى الآن ربع مليون جندي، تجدها منتشرة في دول الخليج، فهل هؤلاء الغزاة متخلفون أيها الدكتور العظيم؟!! أرجو إجابة مقنعة، لكن لا تعمى الأبصار وإنما تعمى القلوب التي في الصدور.. إذ كيف يبرر للقتلة وحشيتهم ويتهم ضحاياالقتل والدمار ظلمًا وعدوانًا.

•• ويكرر الطبيب خالص أقوال سادته من فلاسفة الغرب الوضعيين، فيقول: "لا غرابة أن دعا الفيلسوف الألماني "إيمانويل كانت" إلى إلغاء الجيوش وهو الشيء الذي تفكر به سويسرا حاليًا،

---

(١) سيكولوجية العنف واستراتيجية الحل السلمي، (ص١٦٤ - ١٦٥).

ويجب أن تزول الجيوش النظامية كليًا مع الوقت"[١].

•• "ويا سامح الله مالك بن نبي، فقد غرس هذه الفكرة في رأس خالص، ثم نصب له غاندي نبيًا لحركة السلم في العالم، وجره هذا "لغاستون بوتول" الكاتب الفرنسي الذي استقى منه بعض مادة بحثه عن الحرب، ثم كتب من الغربيين قوم حول نهاية التحدي النووي، فترسخ الدين الجديد لديه..."[٢].

• فالدعوة إلى إلغاء الجيوش المسلحة، دعوة مشبوهة ولا ريب في كل عرف أو دين، وإلا هل استطاع السلطان صلاح الدين، والسلطان العادل نور الدين، طرد الصليبيين من ديارنا بدون أسلحة أو مجاهدين؟!".

"وهل يوجه اللوم إلى المستضعفين الذين يهاجمون ديارهم: "في افغانستان والشيشان وفلسطين، والصومال"، ويترك لوم الطرف المعتدي الذي ملأ الأرض مجازر ودماً دفاقًا وأيتام وثكالى؟!".

"ليتك توجه اللوم لهم، وتدرس تاريخهم وتنقده، فكله وحشية وإجرام.. هل جريمة المسلمين أن تكون لهم قوة؟! أما الآخرون

---

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي، ص ٢٥.

(٢) من مقال: للدكتور «محمد حامد الأحمري» نشر في مجلة العصر، على شبكة الانترنت، رد فيه على كتاب خالص جلبي «جدلية القوة والفكر والتاريخ».

فمباح لهم أن يملكوا كل سلاح ليفتكوا ويبيدوا قطيعًا من الأنعام، تظل واقفة تنتظر الجزار ليذبحها؟!"[١].

• "لو كان خالص يكتب للأمريكان والروس، لربما كان ذلك ممكنًا ، ولكان هناك سبب معقول، أما أن ينشر أفكار الرضوخ والاستسلام في عقول مهزومين مستسلمين، فهذه هجرة لفكرة غريبة، وجلب لها لغير مكانها، فليس عندنا مشروع لحرب النجوم، وليس عندنا مشروع نووي، وها هم اليهود يدوسون أرضنا وأعراضنا بسبب قوتهم العسكرية والعلمية، والمستعمرون يجوبون أقطارنا، لهم ثمرتها ولسكانها الحجر.

ها نحن نذوق مرارة ذلنا لا حربنا، ونذوق عواقب جبننا لا شجاعتنا، ثم نترجم أقوال فلاسفة الغرب ونتفلسف، ونحمل حملة لا أول لها ولا آخر على القوة وعلى ثقافة القوة، وكأن مشكلتنا من القوة وأسلحتنا النووية - لقد كانت هذه الفكرة، وهذا الكتاب أي - (جدلية القوة والفكر والتاريخ) - أكبر شواهد استيراد الفكرة واستنباتها

---

(١) من مقال للدكتور عدنان رضا النحوي، نشر على شبكة الإنترنت، يرد فيه على مقال لخالص جلبي نشر في الشرق الأوسط (العدد ٨٣١٠) يهاجم فيه الفتوحات الإسلامية.

في غير أرضها" . وعمومًا:

"فمجد الاسلام بناه مجاهدون، وأسلمه مسالمون" متمدنون خاضعون - لتعاليم دينهم - والعالم القوي الحديث المتقدم، صنعته الحروب، والسلم والحريات صنعتها الحروب، وأمريكا السائدة القوية صنعتها الحروب كذلك"(١).

فنحن لسنا دعاة حرب ودمار كما يحاول جلبي وشيخه تصوير تاريخنا، ولكننا نطبق تعاليم ديننا في الحرب والسلام، ولن نطبق آراء الفلاسفة من يهود أو نصارى. . .

• وعمومًا فإن هذا المذهب "السلمي" الخانع لأعداء الأمة، لن يقنع الشباب ولا حتى أطفال الحجارة أو نساء المسلمين وعجائزهم، مهما حاول المنهزمون الدعوة لذلك، نظرًا لمخالفة هذه الفكرة للفطرة ولطبائع البشر، قبل مخالفته لشريعة رب العالمين(٢).

وقد هيأ الله من حماقات بوش الابن، وجرائم شارون ما يمسح أي أثر استسلامي لهؤلاء، دعاة السلام المزعوم، والانهزام المقيت.

---

(١) من مقال للدكتور محمد حامد الأحمري/ شبكة الانترنت/ موقع مجلة العصر.
(٢) انحرافات خالص جلبي: إعداد الشيخ سليمان الخراشي/ شبكة الانترنت - موقع السلفيين/ المقدمة.

المبحث الثالث

التبشير بنهاية الحروب في العالم ! !

يلح أتباع المدرسة المادية على صرف المسلمين عن الجهاد في سبيل الله، بحجة أن أسلحة الدمار الشامل، قد أصبحت هي لغة التعامل بين الأمم المتقدمة - كما يزعمون - فهذه الأمم أوقفت الحروب فيما بينها، بسبب الرادع النووي، وعلى دول العالم الثالث، أن تسير في الركب، وتبارك دعوة جلبي وشيخه في ترك التسلح "حتى التقليدي"، وتخويفها من نتائج الحروب، وكأنها هي التي تثيرها!!.

يقول جودت سعيد: "إن عام /١٩٩٨م، هو عام بدء تدمير الأسلحة النووية، وهذا فيه تباشير انتهاء الحروب من العالم.

وما يحدث من حروب هنا وهناك، ما هي إلا الحشرجة التي يمارسها من يلفظ أنفاسه الأخيرة"[١].

• وتحت عنوان: "مصير الحرب إلى أين؟!"، كتب الطبيب خالص جلبي: "قد يستغرب القارئ لو قلت له: إن زمن الحرب قد

---

(١) مذهب ابن آدم الأول: جودت سعيد، ص ٦١.

ولى، وأننا نطأ بأقدامنا عتبة عالم السلام".

فالعالم اصبح الآن، وكأن رأسه في عالم السلام، وقدماه ملوثتان في برك الدم وهو يخرج منها، فدماغه مع العهد الجديد، وأطرافه ما زالت في العهد القديم"[(١)].

ثم يستشهد بأقوال زعماء أمريكا والاتحاد السوفييتي، وهم من قادة الحرب والدمار.

يقول غورباتشوف: "الوظيفة الأساسية للحرب، كان تبريرها عقلانيًا، أما الحرب النووية، فهي عقيمة وغير عقلانية، ففي النزاع النووي، لن يكون هناك رابحون وخاسرون لأن الحضارة العالمية سوف تفنى، فالنزاع النووي ليس حربًا بالمفهوم التقليدي، بل هو انتحار"[(٢)].

• وقد انتبه الرئيس الأمريكي "آيزنهاور" إلى هذا التحول النوعي منذ عام/١٩٥٦م، فأشار إلى أن الخيار المفتوح أمام الجنس البشري، هو بين الموت والحوار، وبأن عصر التسلح قد ولى"[(٣)].

---

(١) ينظر: جدلية القوة والفكر والتاريخ/ ص ٥٣ - ٦٢.

(٢) البيروستريكا: غورباتشوف، دار الفارابي ص ١٩٩.

(٣) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي ص ٥٩.

•• ثم يقول جلبي: "**وهذا يتطلب إلقاء الضوء على ما قدمناه في عدة أفكار هي**:

الفكرة الأولى: إن العالم الذي نعيش فيه، قد تحول إلى شريحتين متميزتين:

الشريحة الأولى: مضت وطورت كل الأسلحة التي لم تخطر على البال، فوصلت إلى الحقيقة التي قررها الرئيس الأمريكي "آيزنهاور"، أي لا سبيل إلى حل المشكلات عن طريق القوة المسلحة، ولذلك توقفت عن استعمال القوة فيما بين بعضها بعضًا، وبذلك اقتربت فرنسا وألمانيا مع كل العداوة التاريخية القديمة، وتشكلت الوحدة الأوروبية ... بحيث بدأت تتحول إلى بحيرة سلام.

والشريحة الثانية: التي لم تدرك طبيعة التحول النوعي الذي دخله العالم بتطليق القوة ثلاثًا، لا رجعة فيها... هي شريحة تنسب إلى العهد العتيق، عصر الغابة، والهراوة والسيف والترس وامتداداتها[1].

٢- **والفكرة الثانية تقول**: هنالك تياران في العالم.

الأول يرمي بالسلاح ويتخلص منه، وتيار يكدس السلاح ويشتريه بالليل والنهار، وقد أنفق العالم العربي في تكديس السلاح السخيف،

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي/ ص ٥٩ - ٦٠.

دفع "مليون مليون = تريليون دولار" في مدى العشرين سنة المنصرمة وما يزال، كل ذلك بسبب العمى التاريخي عن التحولات الخطيرة في صيرورة التاريخ ووقع أحداثه"[1].

• والحقيقة أننا لا ندري، من المصاب بالعمى التاريخي، أهؤلاء المستضعفون الذين يريدون الدفاع عن أنفسهم وأعراضهم، أم الذين يتفننون في صنع كافة الأسلحة الفتاكة؟! أم هذا الذي يتقرب إلى الأعداء بشتم بني جلدته ودينه؟!.

من يهن يسهل الهوان عليه ... فما لجرح بميت إيلام

(٣) وتقول الفكر الثالثة:

إن هذه اللعبة العجيبة والمسلية يدركها أساطين السياسة، ودهاة التخطيط في العالم الغربي... ولكنهم يحافظون عليها ويشعلون الحروب هنا وهناك، لقناعتهم بأنها حرائق يسيطرون عليها، وأماكن تجربة لحصر القوى الجديدة، لتبقى بعيداً عن الفهم الجديد...

فاللعبة هي: بين خبث الذكي وبلادة الغبي، ولكن الملام الأكبر نحن المغفلين؟!.

---

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي/ ص ٦٠ - ٦١.

وتجربة البوسنة - داخل أوروبا - لا تخرج عن هذه اللعبة المقيتة - وهذا واقع يجب أن نتعامل معه "[١].

• فهو يزعم أن الحروب توقفت بين مالكي المعرفة لأنهم أدركوا أن حل المشكلات بالقوة انتهى، والحروب اليوم في عمومها هي حروب المتخلفين، بل هي مرة أخرى بيد ملاك المعرفة".

وما ينتهي جلبي، من التناقض فيما يعرض، فالبوسنة تلام لماذا؟ لأنها دافعت عن دينها وأعراضها، ضد الصليبيين داخل البوسنة وضد الغزاة من خارجها؟! ألا يلام السفاحون وصناع السلاح ومثيرو الحروب من أهل المعرفة؟!.

• لماذا لم يطالب جلبي وشيخه جودت، بنزع سلاح إسرائيل، ونزع سلاح محور الشر من مؤيديها؟!.

لماذا يقفان في خندق واحد مع إسرائيل، ليطالبا بنزع السلاح من المسلمين، ولا يهمسان مجرد همس لنزع سلاح الصهاينة ومؤيديهم بالمال والسلاح؟!.

• فها هو الدكتور خالص ينفث الشبهات ويتحدث عن أسلحة الدمار الشامل في حوزة دولة إسرائيل فيقول: "امتلكت إسرائيل في

---

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي، ص ٦١.

مطلع عـام / ١٩٧٠م، مـا لا يقل عـن عـشـرين رأسًـا نوويًا، وفي الثمانينيات، امتلكت حـوالي مائتي رأس نووي، ثم سار التطوير نحو إنتاج أسلحة جديدة متعددة.

وكـما كـان المفـاعل النووي يبنى تحت الأرض، كـانت التقنيـة الفرنسية تشرف على تطوير نظام الصواريخ، وقد ذهل "إيفال آلون" لما رآها فصرخ: "كنا نحارب البـريطانيين في عام / ١٩٤٨م برشاش صغير؟! وها هي إسرائيل تبني صواريخ نووية.

إننا شعب عظيم، لقد انبعثنا أحياء، بعد أن كنا أمواتًا. ففي جيل واحد فقط، أصبحنا مقاتلين، إننا سبارطة عصرنا"[1].

• رغم كل هذا التسلح، وغطرسـة اليهود، الذين ضـربت عليهم الذلة والمسكنة، يأتي حـبل الناس الانهزاميـين لينفث اليأس والخنوع والاستسلام، أمام إسرائيل وأحلافها.

"هذا اليأس القـاتل لا شك أنه من أشد العـوارض التي قد تكون سببًا في سقوط الأمة، وتجعلها لقمة سائغة بيد أعدائها المتربصين بها في كل مكان.

---

(١) جدلية القوة والفكر والتاريخ، ص٢٨.

فداء اليأس والقنوط داء فتاك، إذا سرىٰ في الجسد أهلكه، وراح يجر أثقالاً إلىٰ أثقاله، حتىٰ لا يقوىٰ علىٰ الحركة، ثم يصبح بعد ذلك أسيرًا للانكسار والمهانة.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦][١].

• هذا وإن الجيوش الغفيرة يمكن هزيمتها بمئات من طالبي الجنة وأن التقنية مهما تطورت لا يمكن أن تقاوم الروح المعنوية للمؤمنين.

فأمريكا بأقمارها الصناعية، وأسلحتها الفتاكة، روحها خاوية من الإيمان بالله، مشبعة بالكبر، أذلتها دولة من العالم الثالث في الصومال فانسحبت بالخزي والعار، وها هي تتخبط في هجومها علىٰ العراق، رغم علمانية حكومته، فماذا لو وجدت المؤمنين الصادقين يتربصون بها وبجيوشها؟!.

• وتبقىٰ الحقيقة الناصعة، في أن واقع الناس هذه الأيام، قد ازداد وعيهم لمخاطر اليهود والصليبيين، وانتشرت الصحوة بين شباب المسلمين، رغم شدة حملات التغريب والإفساد.

---

(١) مجلة البيان، العدد «١٨٠»، ص٢٨، شعبان/ ١٤٢٣هـ، عن الافتتاحية بتصرف وإيجاز.



الفصل الثالث

دعوتهم إلىٰ الاستسلام والخنوع

تمهيد

المبحث الأول: موقف دعاة الاستسلام من الاعتداءات الوحشية علىٰ ديار المسلمين.

١- في فلسطين المحتلة.

٢- في العراق والبوسنة.

المبحث الثاني: موقفهم من قضية أفغانستان وتدميرها.

- صور من وحشية أمريكا في أفغانستان.

المبحث الثالث: ماذا عن الإرهاب الدولي؟! ومن هم الإرهابيون حقيقة؟!



الفصل الثالث

دعوة أتباع النزعة المادية إلىٰ الاستسلام والخنوع

تمهيد:

إن موقف أتباع النزعة المادية، يمثل دعوة صارخة إلىٰ المذلة والاستسلام، بحيث يلتقون مع أعداء أمتنا، في تبرير غزوهم لديار الإسلام، فهم يطلبون منا كف اليد، ومقابلة الغزاة بالترحاب الشديد، مع نثر الورود والرياحين أمامهم!!.

ويحاول العصرانيون هؤلاء تأصيل دعوتهم الاستسلامية وتعميق مفهوم اللاعنف - علىٰ حد زعمهم - في غرس هذه المفاهيم في المدارس.

• يقول الطبيب الجراح خالص جلبي: "يجب أن نخصص تدريس مادة "السلام"، بجانب الرياضيات والفيزياء، لتكوين "الطفل السلامي"، فما لم ندشن نموذجًا ميدانيًا للإنسان "اللاعنفي"، تبقىٰ كلماتنا حبرًا علىٰ ورق[1].

• وحل المشكلة عند أصحاب هذه النزعة، تتمثل برمي السلاح

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٩٦٥»، في ٨/٣/١٤١٩هـ.

كلية، ومرة واحدة إلىٰ الأبد، كما فعل ابن آدم الأول...

كما أن عدم رد الأذىٰ والعدوان، سوف يدخل إلىٰ ماكينة الهجوم عند الطرف الآخر "الفرملة الأولىٰ". ومن خلال الدفع بالتي هي أحسن، سوف تحرض عند الطرف الآخر: آلية تنبيه الضمير والخير، الموجودة في كل إنسان"[1].

• إن دعوة هؤلاء العصرانيين، مخالفة لصريح القرآن وصحيح السُّنة النبوية، في الحث علىٰ جهاد الكفرة ومقاتلتهم.

قال تعالىٰ: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنفال: ٥٧].

وقال تعالىٰ: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [الأنفال: ١٢].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله)**[2].

وقال عليه الصلاة والسلام: **(أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يشهدوا أن لا**

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي/ ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) رواه الإمام مسلم، ينظر شرح صحيح مسلم للنووي، ج٣/ ص٤٩.

إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله)[١].

• فأين هؤلاء من حث الإسلام على التربية الجهادية، على الفروسية ورمي النبال، وأن المسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم الضعيف وفي كل خير.

أين هؤلاء بدعوتهم من تربية العزة والإباء. ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ** ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

• ورغم كل النصوص الداعية إلى الجهاد في سبيل الله يصر الدكتور خالص جلبي على تكريس تعطيل مفهوم الجهاد بقوله: "وعلينا أن نتقدم بهذا الطرح دون خجل أو خوف، من أجل إعلان ما أسميه "ميثاق الأمن والأمان الاجتماعي، لكل الأطراف: من عرقية وثنية، ودينية وجنسية، ولكل من يعيش في هذا المجتمع"[٢].

***

---

(١) متفق عليه، وينظر شرح صحيح مسلم للنوي، ج١/ ص٢١٢.

(٢) سيكولوجية العنف/ خالص جلبي/ ص ٨٢.

المبحث الأول

موقف دعاة الاستسلام من الاعتداءات الوحشية علىٰ ديار المسلمين

كان لدعوة أصحاب التيار المادي الاستسلامي، نتائج خطيرة في قبولهم الغزو بأريحية في كل من فلسطين والعراق، وفي كشمير والبوسنة.

وفيما يلي تصريحاتهم ومواقفهم من الهجوم الوحشي الشرس.

«١» ففي فلسطين.

يرىٰ خالص جلبي أن التناقض الجوهري هو التناقض (العربي - العربي) وليس العربي الإسرائيلي. فإسرائيل جرثومة، والعالم العربي مريض، إسرائيل هجوم خارجي، وجسم الأمة منهار المناعة، سهل الاختراق، العالم العربي وثقافته يستحمان بالعنف... فما يحتاجه العرب اليوم، ليس الصلح (العربي - العربي) في بناء المجتمع المدني، والتخلص من حالة الطوارئ الأموية، وعسكرة المجتمع.."[1].

---

(١) المرجع السابق/ ص ١٣٧ - ١٣٨.

• والدكتور الفاضل لابد له من التعريض المستمر ببني أمية، على طريقة الشعوبيين المعروفة، ولابد له من تحذير العرب والمسلمين من تطوير أسلحتهم، لأن إسرائيل وأمريكا وروسيا، لم يستخدم سلاحها النووي بعد، فها هو يقول: "إسرائيل هزمت في لبنان، وهي تمتلك الرؤوس النووية، وأمريكا هزمت في فيتنام، وهي تملك ترسانة نووية، والاتحاد السوفييتي خرج يجر أذيال الخيبة من أفغانستان، وبحوزته ما يفجر الكرة الأرضية مرات.

فالسلاح النووي لعبة مميتة، ليست للاستخدام، والرؤوس النووية ثبت أنها لا تزيد عن خرافة كبيرة"(١).

• وتبلغ الهزيمة النفسية ذروتها عند الكاتب، **وهو يصور مجزرة الحرم الإبراهيمي بقوله**: "إن هذه المذبحة، جعلت اليهود (ليس في إسرائيل وحدها) بل حتى في كندا، يمشون مطأطئي الرؤوس خجلاً، وهم يحملون الشموع والقناديل والدموع، عن أولئك الذين قتلوا صبرًا، ظلمًا عزلاً مصلين"(٢).

• هذا تبرير صفيق، يبرر لمجزرة اليهود ووحشيتهم، وهم يقتلون المسلمين ركعًا سجدًا.

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، ص ١٤١.

(٢) المرجع السابق/ ص ٩٠.

أما المسلمون فهم (عند الدكتور العظيم) قتلة يخوضون في مستنقعات العنف والدم.

• **أما مذبحة صبرا وشاتيلا**: فينظر إليها المفكر الإسلامي (خالص جلبي) نظرة أخرى إنسانية، حركت الضمير العالمي كله بل وحتى الإسرائيلي. بقوله: "لقد حركت هذه المذبحة الضمير العالمي كله، بل وحركت المظاهرات داخل "إسرائيل" نفسها حزنًا عليهم، بسبب موتهم بغير دفاع، خلافًا للقتل المتبادل في الحرب الأهلية. والقاتل سوف يندم في النهاية "فكان من النادمين" والندم هو التوبة... وهذه المفاهيم سوف تعم العالم في النهاية، لأنها صوت الحفاظ على الجنس البشري"[1].

• لقد قتل اليهود في لبنان "١٧ ألف شخص" معظمهم من المدنيين، خلال غزوهم لبنان عام / ١٩٨٢م، ولم يجدوا إلا صمتًا عربيًا مطبقًا، وسكوتًا دوليًا مريبًا، خلال أحداث صبرا وشاتيلا وحدها.

ناهيك عن مجازر المخيمات الأخرى في لبنان، وعن مجازر جنين بعد ذلك حيث يصعب وصف أحداثها.. فأين تحرك الضمير العالمي؟![2].

---

(١) سيكولوجية العنف ص٩١.

(٢) مجلة البيان، العدد «١٧٥»، ربيع الأول ١٤٢٣هـ، عبد العزيز كامل.

"وهل يغيب عن البال دعم أمريكا وأوروبا لإسرائيل في المحافل الدولية، حتى لا تدان إسرائيل؟!!.

والموقف الراهن - بعد انتفاضة الأقصى - من المجازر الأخيرة التي تعرض لها أهالي فلسطين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، ببشاعتها وهمجيتها، دليل واقعي وشاهد صدق على ذلك الانحياز الظالم.

حتى البيوت والأشجار والزروع، لم تكن بمنأى عن التخريب والعدوان، مع ما يكتنف ذلك من ضعف وتخاذل في موقف المسلمين بعامة من إخوانهم في فلسطين، ويترك الأمر لليهود والصليبيين والمتآمرين". فهل ستتحرك ضمائرهم؟![(١)].

• ورغم كل جرائم إسرائيل والدعم الصليبي لها، يدعونا الطبيب خالص جلبي إلى الفهم الاستسلامي على طريقته فيقول: "إن إسرائيل تراهن في العالم على تشويه صورة العربي، الذي يقوم بالعمليات الإرهابية الانتحارية، ولكن أسلوب مقاومتها بالطريقة السلمية، يوقظ الضمير الإسرائيلي"[(٢)].

---

(١) ويسألونك عن الإرهاب جريدة العالم الإسلامي د. عثمان ضميرية رقم الحلقة (١٧٤٧) في ٢٦/ ٣/ ١٤٢٣هـ.

(٢) سيكولوجية العنف ص ٢١٥.

ويقول أيضًا: "وفي ظل هذا الصراع، أقترح أن يخرج الناس عزلاً أمام الدبابات الإسرائيلية، لوضعها تحت الاختبار، وهذا يدفعنا لفهم المجتمع الإسرائيلي، لمحاولة تطبيق الأداة السلمية في الصراع مع إسرائيل"[١].

ويقول: "وهاهي فرصة لأهالي فلسطين اليوم، أن يمارسوا أسلوب المظاهرات السلمي والأخلاقي، للوصول إلى حل عادل لقضيتهم، فهم بحاجة إلى غاندي في فلسطين" ولنتصور بدل القتال المسلح في جنين، لو خرج الأطفال والنساء والرجال بدون سلاح في وجه الدبابات الإسرائيلية، وتحت عدسات المصورين، هل يمكن أن يحدث حجم الدمار الذي حدث؟!"[٢].

"ويجب أن نعترف بحقيقة أن المجتمع الإسرائيلي من داخله ديمقراطي، فهم رحماء فيما بينهم، وهم في الخارج أشداء على العرب وأهالي فلسطين، أما نحن "تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى"[٣].

• ثم يقول: «إن المقاومة السلمية أسلوب رائع وأخلاقي، زهيد التكاليف، ومبارك النتائج ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

---

(١) سيكولوجية العنف ص ٢١٢.

(٢) من مقال لخالص جلبي في الشرق الأوسط، تاريخ ٨/ ٥/ ٢٠٠٢م.

(٣) المقال السابق أيضًا بنفس الجريدة والتاريخ.

ويؤكد على نزعة الاستسلام بما تشكره عليها إسرائيل حين يقول: «فلو زحف مليون من كل البلاد الإسلامية إلى حدود إسرائيل، ماذا سيفعلون أمام أناس لا يردون العنف بالعنف، ويستقبلون الرصاص في صدورهم؟!

هذا اللون من المقاومة يمكن أن يمارسه أهالي فلسطين في صراعهم مع جالوت النووي الجديد بدل الانتفاضة المسلحة...»[١].

• لقد أغاظت هذه الدعوة الذليلة عدداً من الكتاب المسلمين، فكتب الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي يقول: "ولا أدري لو خرج الدكتور خالص، من مكتبه وأقلامه الملونة، وجهاز التكييف والراتب المتدفق، والسيارة المريحة، ومر على جنين ومقبرة الشهداء في غزة، أو لو رأى بأم عينه أطفاله يمزقون، وبعضهم يبكي وينزف طوال الليل، وقد منعه جندي يهودي، أو روسي أو هندوسي من الوصول إلى الطبيب. لو رأى بيته يهدم على زوجته وأبنائه كما يحصل للشيشان أو حيدر أباد أو رام الله، أو رأى امرأة تضم بقايا أشلاء ولدها على صدرها، وقد ذهبت القذيفة برأسه، أو شم روائح

---

(١) كتاب الزلزال العراقي: خالص جلبي/ ص٨/ مركز الراية الأندلسية (عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

الأجساد المشوية بالنيران الملتهبة . . أو فر من القصف من منزل لآخر، ومن قرية مهدمة إلىٰ أخرىٰ . . . لو رأىٰ هذا وأشباهه يقع علىٰ نفسه، أو علىٰ أمه وأخته وزوجته وابنته وقريبته، هل سيكتب هذه الكتابات الملونة بأحبار "أحمد غلام ميرزا القادياني"؟! أم سيختلف الحال، ويعود إلىٰ النصوص الشرعية الآمرة بالقتال، والتي حاول أن يعسفها إلىٰ حد الإلغاء؟!"[1].

• **وكتب الأستاذ فهمي هويدي يستنكر دعوة جلبي الاستسلامية فقال**[2]: "لاحظت في بعض الكتابات التي ظهرت حديثاً ميل بعض الكتاب إلىٰ التقريع وجلد الذات، والمبالغة في تصوير البؤس العربي علىٰ نحو يصب في مجرىٰ التثبيط وتهوين العزائم، وهو خطاب أقل ما يمكن أن يوصف به أنه غير صحي، وفيه من الضرر أكثر مما فيه من النفع.

لاحظت ذلك في مقال في الشرق الأوسط في: ٥/٨/٢٠٠١م، وفي مقال آخر لخالص جلبي نشر في ٨/٥/٢٠٠٢م، بنفس الصحيفة، ويكرر نفس النغمة، وهو يدعو إلىٰ نقد الذات.

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة: في ٢٤/٩/١٤٢٣هـ، د. سعيد بن ناصر الغامدي.

(٢) الشرق الأوسط في ١٣/٥/٢٠٠٢م/ مقال للصحفي فهمي هويدي بعنوان: «نقد للذات أم جلد لها».

• " وأنا أدري أننا بحاجة إلى المصارحة ونقد الذات، لكن هناك فرق شاسع، بين نقد الذات وجلد الذات، فالنقد يستهدف التقويم، بينما الجلد لا هدف له سوى التعذيب والتيئيس. . .

وأزعم أن الأمر لم يكن مصارحة، وإن كلامه جاوز الحقيقة، وهو نموذج من إشارات عديدة "في كتاباته" تراوحت بين عدم الدقة والإفراط في القسوة، كما سنرى توًا" .

"فهو يؤكد أن الجيوش العربية جربت حظها - في الصراع ضد إسرائيل - فلم تحصد سوى الهزائم الخارجية، والديكتاتورية الداخلية، وإنفاق (تريليون دولار) على التسلح، وحين جرب أهالي فلسطين حظهم للإفلات من قبضة الاحتلال، كان نصيبهم هو الدمار والدموع والدماء. **ثم يكمل القول**:

• والجزائر قدمت "مليون شهيد"، فلم تحصد سوى البؤس وأفغانستان خسرت مليونًا ونصف المليون قتيل وسبعة ملايين لاجئ، ولم تحصد سوى الخراب، انتهى كلام جلبي" .

• ثم يكمل الأستاذ فهمي هويدي تعقيبه فيقول: "قرأت هذا الكلام أكثر من مرة، وكان سؤالي الأساسي، هل يمكن أن يدخل هذا الكلام ضمن صدق الطبيب ومصارحته لمريضه بحقيقة مرضه، أم بوجوب موته؟!.

أراد أن يقنعنا بأن فشل الجيوش، ينبغي أن يؤدي إلى استبعاد دورها... وليس العمل على تقويتها حتى تنجح في مهامها...

• إن الدعوة إلى العنف لا تحتاج إلى مرافعة مسكونة بالمطاعن، كالتي رأيت مثالها ونقاط ضعفها، لكن الأمر ليس بالتبسيط الذي ذكره الكاتب.

وإذا كانت الفكرة قد نجحت حين طبقها غاندي في مواجهة الاحتلال البريطاني بالهند، فذلك لا يعني بالضرورة أنها تحقق المراد في كل بلد آخر، ولا في مواجهة أية قوة استعمارية...

• • إن العدو الإسرائيلي، الذي يواجهه الفلسطينيون له وضع خاص يتعين إدراكه، فهو كيان عنصري استعلائي حتى النخاع، وثقافة إبادة الآخر، عميقة الجذور في ثقافته التوراتية، وقد رأينا جيشه في جنين يتصرف بجنون، على نحو استباح فيه هدم البيوت على سكانها العزل، وترك الجرحى ينزفون حتى الموت في الشوارع، وقتل الأبناء أمام آبائهم وأمهاتهم، وهو سلوك لا نعرف أن الجيوش في أية دولة "ديمقراطية"، و "متحضرة" يمكن أن تمارسه، وإنما هو سلوك عصابات إجرامية، لا تحترم عرفًا أو قيمًا، فضلاً عن قانون أو شريعة.

هل مثل هؤلاء يمكن أن تجدي معهم الاعتصامات، والمظاهرات السلمية، التي دعانا إليها الكاتب، هل تحد من وحشيتهم وأطماعهم التوسعية؟!.

• لماذا يطالبنا أمثال هؤلاء بالانضمام إلى تلك الحملة، فندعو أهالي فلسطين إلى إلقاء السلاح واللجوء إلى المظاهرات والإضراب عن الطعام، كي يحرروا أرضهم من الاحتلال؟!.

مرة أخرى: هل نحن بصدد مصارحة للمريض بخطورة معاملته، أم بصدد تعذيبه وإماتته" ؟![١].

***

حقيقة اليهود وحقيقة مطامعهم

إذا كان جلبي يجهل حقيقة اليهود وحقيقة الحركة الصهيونية، فعليه أن يدرس تاريخهم وينظر إلى تطلعاتهم التوسعية.

"فالحركة الصهيونية حركة سياسية دينية، قام بها دعاتها، بهدف جمع الملايين من اليهود في العالم، ضمن كيان يهودي قومي في فلسطين، لتكون نقطة انطلاق لدولة كبيرة من الفرات إلى النيل.

---

(١) من مقال الأستاذ فهمي هويدي، في ١٣/ ٥/ ٢٠٠٢م.

واليهودية دين وليست جنسًا، وقد أخذوا أفكارهم العنصرية عن التلمود الذي يقول: "سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، فالله لا يغفر ذنبًا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود"[(١)].

• وقد جاء في التلمود: سأل إسرائيل إلهه قائلاً: لماذا خلقت سوىٰ شعبك المختار؟! فأجابه: لتركبوا ظهورهم وتمتصوا دماءهم، وتحرقوا أخضرهم وتلوثوا طاهرهم، وتهدموا عامرهم"[(٢)].

وجاء في التلمود أيضًا: "اقتل صغيرًا، كبيرًا، بقرًا جمالاً حميرًا، اجعل المدينة تلالاً"[(٣)].

• وجاء في التوراة حول مطامع اليهود: "في ذلك اليوم قطع الرب من إبرام "إبراهيم" ميثاقًا قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلىٰ النهر الكبير نهر الفرات"[(٤)].

---

(١) ينظر حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة: د. جميل عبد الله المصري، عمان - دار أم القرى/ ١٤٠٩هـ.

(٢) دفائن النفسية اليهودية: د. محمد علي الزعبي ص ٢٦، بيروت، مؤسسة الزعبي - الطبعة الأولى.

(٣) المرجع السابق.

(٤) العهد القديم، سفر التكوين، الإصحاح (١٥ - ١٨) - جمعيات الكتاب المقدس المتحدة/ بيروت.

• وقال ابن غوريون: "إن دولة إسرائيل قامت فوق جزء من أرض إسرائيل فقط.

فالبعض يتردد بصدد استرجاع حدودنا التاريخية، التي جرى رسمها وتعيينها منذ بداية الزمان، وحتى هؤلاء لا يسعهم إنكار الشذوذ الذي تمثله الحدود الجديدة"(١).

• ويقول هرتزل: "يجب أن يكون شعارنا: كل وسائل العنف والخديعة".

• قال جل شأنه: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥].

• • هذه هي يهود وهذه هي مطامعهم، فهل ما زال يطمع الانهزاميون بالضمير الحي لدى اليهود؟!.

***

---

(١) من كتاب ابن غوريون «تهاني هلسة»، منشورات منظمة التحرير الفلسطينية/ ص ٢٠٤، بيروت (مركز الأبحاث).

موقفهم من أحداث العراق: والغزو الأمريكي المتكرر لها

"كانت جرائم أمريكا فيها لا توصف، وكان تأثر اليهود والنصارىٰ مع أهلها قديمًا قدم التوراة المحرفة، وواسع اتساع أرض السبي...

فكان القتل والدمار لرؤية دماء أحفــاد البابليين، وهي تسيل قرب ضفتي دجلة والفرات... واعتبرت أولبرايت - وزيرة خارجية أمريكا السابقــة - أنّ قتل نصف مليــون طفل عراقي - حــتىٰ عام ١٩٩٦م - ثمنًا، كان من الضروري دفعه؟!.

وقد أطلق الأمريكيون علىٰ تلك الحرب وصف "الحرب النظيفة" لا لشيء إلا لأنها - كما يقولون - تعتمــد علىٰ استراتيجية التصويب العسكري الدقيق، باستخدام أدوات التسلح الإلكتروني "الذكي" الذي يجنب الأمريكيين الاحتكاك العسكري المــباشر، والذي قد يسفر عن سقوط ضحايا عسكرية برئية."[1].

• وقد أصاب العراق مــا أصابه من التدمير والتخــريب، والتجويع والإذلال، والتقتــيل للرجال والنساء والأطفال، مع التشويه والتــمثيل بالجثث، خلال حرب الخليج الثانية، (عام / ١٩٩١م) علىٰ يد قوات

---

(١) مجلة البيان العدد «١٧٥»، من مقال عبد العزيز كامل.

التحالف الأمريكي الصليبي، مما جعل بعض العاملين لا يستطيعون البقاء في العراق، ومنهم من أصيب بالانهيار النفسي والاكتئاب، لما شاهدوه من التعذيب الذي لحق الجميع حتى الأطفال[(١)].

• ويقول "سكوت ريتر" كبير مفتشي الأسلحة السابق، لإزالة أسلحة الدمار الشامل في العراق.

•" الحصار الاقتصادي الذي قتل أكثر من مليون عراقي بريء يمثل وصمة عار بوجه الأمم المتحدة والولايات المتحدة".

ويقول: "إذا استمرت السياسة الأمريكية الأمبريالية على هذا المنوال، فستصبح أمريكا مصدر تهديد للسلام والأمن العالميين، وليس العكس... وذلك سيحولنا إلى دولة خارجة عن القانون، ومهددة للسلام العالمي، أكثر من صدام حسين وأي شخص آخر"[(٢)].

• ورغم كل ما تقدم فإن الدكتور خالص جلبي، يقف مدافعًا عن

---

(١) ويسألونك عن الإرهاب: نشر على حلقات في جريدة العالم الإسلامي، الحلقة السادسة رقم الجريدة (١٧٤٧في ٢٦/ ٣/ ١٢٣هـ)، د. عثمان جمعة ضميرية.

(٢) مجلة المجتمع، العدد «١٥٣٤» في ٨/ ذي العقدة ١٤٢٣هـ (وسكوت: أمريكي الجنسية، استقال من عمله السابق احتاجًا على ما يجري وذلك عام ١٩٨٣م.

سياسة أمريكا في عدوانها على العراق فيقول:

"ما عملته أمريكا (مع سلوبودان) يمكن أن يكون نوعًا من الجهاد... كذلك فإن نفس الأمر ينطبق على صدام حسين، فيجب على صدام أن ينشيء تعددية حزبية، وعليه أن يستقيل فهو قد انتهى.

إذا كانت أمريكا تريد فعلاً عمل نظام ديمقراطي في العراق، فأنا مع أمريكا"(١).

•• فها هو الدكتور خالص، يكرر مقولات جورج بوش الابن، ويبارك ضرب العراق بسبب صدام حسين وحكمه!!.

وها هي معظم دول العالم تعارض الهجوم الأمريكي - البريطاني على العراق، لأن الإدارة الأمريكية لا تخوض الحرب ضد العراق من أجل نزع أسلحة الدمار الشامل، ولا من أجل استمتاع الشعب العراقي بالديمقراطية، وإنما لنزع عقول هذا الشعب الجبارة المتمثلة في ثلاثة آلاف عالم، وتحويله إلى حقل تجارب لقنابل وأسلحة جديدة، والاستيلاء على نفطه، واستخدام العراق كنموذج لإرهاب الدول الأخرى في المنطقة.

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة في ١٤٢٣/٩/٣هـ، من مقابلة معه.

في العراق لا توجد أسلحة دمار شامل الآن، كما جاء في تقرير لجان التفتيش الدولية، بينما ترتع اسرائيل بأسلحتها الفتاكة. نووية وجرثومية وكيميائية، ولا معترض عليها.

وهاهي مدن العراق تقصف ابتداء من البصرة وأم القصر وحتى العاصمة بغداد ثم كركوك والموصل - تقصف بكل أنواع الأسلحة وتهاجم بكل أنواع الطائرات والدبابات والصواريخ، وبلغت جيوشهم ثلث مليون مقاتل.

ففي الحرب السابقة عام / ١٩٩١م، استخدم ا لحلفاء (٣٠٠ طن) متري من اليورانيوم المخصب، الأمر الذي أدى إلى كوارث في أوساط العراقيين، وإصابة أطفالهم بأمراض سرطانية غير مألوفة، وتشير التقديرات إلى أن الولايات المتحدة سوف تستخدم كمية أكبر بخمس مرات من اليورانيوم المنضب أي (١٥٠٠ طن متري) وهذا يعني أن الجيلين العراقيين المقبلين سيهلكان تقريبًا، وسيكونان فريسة المرض والضعف، فما فائدة الديمقراطية، إذا كانت ستأتي إلى شعب، سيخسر مئات الآلاف من أبنائه تحت القصف الوحشي، بحرب أمريكا وهجومها[(١)].

---

(١) شبكة الإنترنت، عن جريدة القدس العربي، عبد الباري عطوان، أخبار ٩/ ١/ ١٤٢٤هـ.

هي حرب الخليج الثالثة، تشن على الشعب العراقي مع رفض مجلس الأمن من إصدار قرار يسمح للغزاة بالهجوم العسكري على العراق.

• فهل توقفت الحروب كما يزعم خالص جلبي وشيخه جودت سعيد؟!.

هل توقفت الدول المتقدمة عن الهجوم الوحشي بكل أنواع أسلحة الدمار الشامل على الشعب المسلم الآمن في العراق؟!.

أم أن قوات أمريكا وبريطانيا قدمت بالورود والرياحين، يحملون رايات السلام للعراق ولدول العرب المجاورة؟![1].

• والآن وبعد أن انتهت الحرب المدمرة على العراق فماذا جرى؟!

- لقد دمرت جيوش أمريكا وبريطانيا وخربت العاصمة بغداد ومعظم المدن العراقية.

لقد نُهبت المتاحف وأحرقت المكتبات، وسرقت المخطوطات أمام أعين المحتلين، وعلى مرأى من دباباتهم، ولم يهتم المحتلون

---

(١) أكتب هذه السطور وحرب الخليج الثالثة تدور رحاها على أرض العراق، منذ ٢٠/ ٣/ وحتى ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٣م.

الغزاة إلا بحماية آبار النفط، وهم يزعمون أنهم ما جاءوا إلا من أجل حرية شعب العراق، وتعليمه أساليب الديمقراطية.

ثم سرح الغزاة الجيش العراقي، مما يُسَرّ له أصحاب الحل الاستسلامي، وعبثًا يحاول هؤلاء المستعمرون البحث عن أسلحة الدمار الشامل مما أوقعهم في فضائح أمام المنصفين من شعوبهم ومن العالم الحر.

• لقد ذهب صدام وحكمه غير مأسوف عليهم، ولكن ماذا استفاد شعب العراق إلا الدمار والجوع وفقد الوظائف وندرة الخدمات؟!

وها هي الفوضى واضطراب الأمن هما السائدتان في عراق ما بعد صدام.

•ويفرح جلبي أن مَنْ خلّص العراقيين من حكم صدام، هي قوة خارجة، . . . فلم ينفع العراقيين حماسهم للتخلص من صدام، بقدر احتراف الآلة العسكرية الأمريكية في نقض الضم[1].

• لقد عاد الاستعمار القديم ليحتل بلاد المسلمين بكل همجية.

ويغيب عن ذهن خالص جلبي: «أن سقوط بغداد واحتلال العراق يعني انطلاق عملية التغيير الشامل في المنطقة، من تغيير المناهج التعليمة والإعلامية- وما تبقى من التمسك بالشرائع والشعائر الإسلامية.

(١) كتاب الزلزال العراقي: خالص جلبي/ ص ١٧٩.

«وإن سقوط بغداد يعني أن دولة يهود قد وصل نفوذها بالفعل إلى حدود الفرات»[١] وهو حلم طالما نادي به زعماء إسرائيل: (حدودك يا إسرائيل من الفرات إلى النيل).

***

(١) مجلة البيان / عدد (١٨٧)، للدكتور عبد العزيز كامل.

«٣» أما البوسنة

فمشكلتها أنها طالبت بإنشاء دولة إسلامية، حسب أكثرية سكانها المسلمين، إلا أن خالص جلبي يعترض على هذا المسلك فيقول: "وحتى مشكلة البوسنة لها حصة من هذا المرض، مرض مطب العنف، حين توجه مسلمو البوسنة إلى فكرة بناء دولة إسلامية، فهذا المطب السياسي ما زال يشكل مأزقًا حضاريًا للفكر الإسلامي، لأنه يورث النزاع ويكون بداية للمصادمات"[١].

• غريب أمر هؤلاء، كيف يرضون بالاعتداء على المسلمين ويتهمونهم لأنهم يريدون المطالبة بحقوقهم الطبيعية، ثم يقف دعاة اللاعنف الذليل مع الجزارين ضد الضحية؟!.

***

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، ص٢٧.

المبحث الثاني:

موقفهم من الغزو الأمريكي لأفغانستان

«١» التشفي مما أصاب أفغانستان؟!.

إن مرض اللاعنف والحل الاستسلامي، قد أفسد على دعاة هذا الاتجاه دينهم وعقيدتهم، فوالوا أعداء الله، وحاربوا جند الله المجاهدين قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١].

• يقول خالص جلبي: متحدثًا عن قضية أفغانستان .

"المرض الأفغاني اليوم، نظرًا لأنه فاقع اللون لا يسر الناظرين بلونه الأحمر المثير، إنه مرض انهيار داخلي بالدرجة الأولى. . .

والعالم الإسلامي يرى نفسه بمرآتين، يرى وجهه الذليل، وقفاه المدمى، فيكتشف أن سحنته وقوامه في العالم المعاصر لا يسران الناظرين. . .

ومرض الأفغان هذا هو مرض ثقافي قبل أن يكون سياسيًا عسكريًا" . "لقد أصبح الجهاد الأفغاني حربًا أهلية، وشؤمًا على العالم الإسلامي، ونذيرًا بحرائق مهولة قادمة"(١) .

لقد أصبح هذا الكاتب (وزمرته) شؤمًا على المسلمين، ونذيرًا للخراب ينعق صباح مساء، وعنصر اختراق لصفوف العالم الإسلامي، مع الأسف الشديد.

فلماذا كل هذا الهجوم والتشفي من أفغانستان؟! أليست روسيا وأمريكا أولى بهذا الهجوم، فهما المحتلان المعتديان على هذا البلد المسكين؟! .

•" هل يمكن استيعاب أن زمن الحروب انتهى، وأن المسلمين يمكن أن يقوموا بفتح العالم "بالإنترنت" إن كان عندهم فكر؟! .

وهانحن نرى الحقيقة العجيبة، كيف أن الطالبان تتلاشى بأشد من ذوبان "الآيس كريم" في يوم صيفي قائظ"(٢) .

فلم كل هذا التشفي (أيها المفكر الإسلامي) لتدمير كيان مسلم،

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، ص (ص ١٧٤ - ١٧٥).

(٢) مجلة المحايد، العدد «٢٢»، في ٩/١١/١٤٢٢هـ، في مقابلة مع خالص جلبي.

كان يقـيـم شريعة الله طوال سنوات حكمـه؟! أم أن هذا لا يهمك ولا يهم العلمانيين والعصرانيين من أمثالك؟! ألست تقف في صف أعداء الله الظالمين الغزاة؟ ثم تزعم بعد ذلك أن زمن الحروب قد انتهى؟!.

• • ويرى خالص جلبي: "أن درس أفغانستان البليغ يعطينا توسعًا وتعمقًا لهذا المفهوم الذي نطرحه... إن هذا الطرح السلمي، يشكل خلاصًا إنسانيًـا محليًا وعالميًا، ولن يخسر أحـد أرضًا ولا زعامة ولا مالاً، بل سيربح الجميع..."[1].

• لننظر ما الذي ربحه الأفغان من الهجوم الوحشي الأمريكي على أراضيه:

"لقد قصفت أفغانستان، واستمر القصف الرهيب، وكان مقررًا أن يستـمر القـصف أكثـر حتى لا يبقـى شيء قائماً على أصوله، لولا انسـحاب قـادة طالبان من المـدن، الذي فوت الفـرصة على أمـريكا لإكمـال عملية "العـدالة المطلقة"، التي أطلقوا فـيها العنان لسـعار دموي جديد، لا يريد أن يرتوي"[2].

---

(١) سيكولوجية العنف، ص ٨٢ - ٨٣.

(٢) مجلة البـيان عدد (١٧٥) من مـقال للدكتـور عبد العـزيز كامل بعنوان: أمريكا وإسرائيل وعقدة الدم.

"لقد قتلوا مقابل (٢٧٠٠ أمريكي في أحداث (١١ سبتمبر) خلال ثلاثة أشهر فقط "في السابع من أكتوبر، وحتى السابع من ديسمبر" ما لا يقل عن خمسين ألف أفغاني، جلهم من المدنيين"[1].

• فالأمريكان هم الذين انتهكوا الأعراف الدولية في حربهم الصليبية الإرهابية في أفغانستان، بقتل المدنيين الأبرياء والأطفال والعجزة، وقصف القرى الآمنة المسالمة، وقصف مراكز الإغاثة والمستشفيات، ومتابعة الفارين في الكهوف والمغارات والجبال، وانتهاك كل الأعراف الدولية والقواعد القانونية باسم محاربة الإرهاب.

ولا يغيبن عن البال أن أسلوب الإرهاب هو الذي سلكته أمريكا مع الدول الأخرى، من خلال "من لم يكن معنا فهو ضدنا ومع الإرهاب" فأي إرهاب أكبر من هذا؟ يا دعاة السلام المزعوم"؟![2].

***

---

(١) ينظر: العالم في عام/ حسن قطامش/ ص ١٠٢/ ١٤٢٣هـ.

(٢) ويسألونك عن الإرهاب: د. عثمان ضميرية، الحلقة السادسة - جريدة العالم الإسلامي ٢٦/ ٣/ ١٤٢٣هـ.

«٢» صور من وحشية أمريكا في أفغانستان
فمن يحاكم أمريكا على هذه الجرائم؟!

إن الدولة المتحضرة "أمريكا"، كما يزعم جلبي وأمثاله قامت بأعمال وحشية لا مثيل لها، ضد الشعب الأفغاني المسلم.

• **يقول شاهد عيان**: وقد رأى كثيبًا من الرمال يخفي هذه المأساة "بقايا العظام باتت بيضاء وكأنها مدفونة هنا، منذ قرون، مع أن هذا الرفات البشري لم يمض عليه أكثر من أشهر، وهو كل ما تبقى من بضعة آلاف من الشباب، الذين اتكلوا على الحماية التي توفرها معاهدة جنيف للأسرى، لكنهم قضوا في ظروف مرعبة، إعدامًا أو اختناقًا...

وتنتشر على قمة هذا الكثيب الاصطناعي الذي يبلغ طوله خمسين مترًا، عظام الأفكاك والأضلع والسيقان، والجماجم المحطمة، وحولها الثياب الممزقة، أما عن قرب فيمكن رؤية بعض بطاقات العناوين: (كراتشي - لاهور) وعناوين أخرى: "في داشت لايلي" في أفغانستان، وقد بلغ عدد الرجال الذين لقوا حتفهم حوالي (ثلاثة آلاف)، بعضهم قد قضوا اختناقًا خلال رحلة جهنمية وآخرون ناموا بين جثث رفاقهم الأسرى، كانوا يصيحون ويتوسلون جزاريهم، قبل

أن يسقطوا تحت رشقات الرصاص[١].

.. **وفي قلعة جانجي**: الحصن المنيع في ضواحي مزار الشريف، حيث نقل إليها أسرى بعد الأمان الذي أعطته قوات أمريكا وتحالف الشمال، كان (دوستم الشيوعي) قد جعلها مقراً لقيادته... وخلال التفاوض، تدخل "رامسفيلد" وزير دفاع أمريكا، وقال: "سوف يكون من المؤسف أن تطلق حرية هؤلاء في أفغانستان، سواء كانوا من جماعة القاعدة أو من الشيشان وغيرهم، ممن شاركوا مع طالبان".

ثم أكد قوله بعد ذلك: "إما أن يقتلوا أو يؤسروا، فهم أناس قاموا بأعمال فظيعة".

ومن ثم وافق قادة تحالف الشمال، على قتل كل المستأمنين في القلعة بالرصاص، وبقذائف الصواريخ والطائرات، حتى قضوا رحمهم الله"[٢].

• هذه هي حضارة القرن العشرين وبداية الحادي والعشرين لدى أمريكا القدوة الحضارية عند جلبي وشيخه جودت. فهل توقفت الحرب عندها؟ وهاهي تستخدم أحدث الأسلحة الفتاكة ضد المدنيين

---

(١) مجلة البيان، العدد (١٨٠)، شعبان/١٤٢٣هـ، مرصد الأحداث ص ١٠٤.

(٢) مجلة البيان/ العدد (١٨٠)، مرصد الأحداث/ ص ١٠٤.

العــزل من النساء والأطفــال، وقد دمــروا قرىٰ بكاملهــا، ناهيك عن المساجد ومراكز هيئات الإغاثة.

• وفيما يلي صورة أخرىٰ مـأساوية، تملأ النفس أسىٰ وغمًا، ولا نذكرها إلا كنمــاذج عما جـرىٰ في بلاد المسلمـين، عسىٰ أن يعتــبر هؤلاء المفــتونون والمرجفـون أو المخدوعـون، فيكفوا عن تمجـيد الغزاة، وشتم المسلمين.

***

«٣» وهذه صورة أخرىٰ من الوحشية والحقد
ينقلها مندوب مجلة لوموند الفرنسية، فيقول:[١]

"في قلعة (زايني) كانوا يجبرون الأسرىٰ علىٰ البقاء جالسين أرضًا، جنبًا إلىٰ جنب، وسرعان ما وصلت قافلة الشاحنات تحمل علىٰ قواعدها كلها "مستوعبات" من الفولاذ المقوىٰ.

فأجبر الأسرىٰ علىٰ السير في رتل أحادي، ليحشروا في تلك المستوعبات، **ويروي أحد ضباط تحالف الشمال** (وقد فضل عدم ذكر اسمه)، المأساة التالية فقال: "كنا مسؤولين عن نقل الأسرىٰ في زايني، تولينا أمر نقل (٢٥ مستوعبًا) ، نقلت إلىٰ "شيبرغان" ، وقد ملأنا الواحد منها بحوالي "٢٠٠ شخص" كدسوا فوق بعضهم مثل السردين في العلب المعدنية، حيث لا هواء ولا نور في حرارة تزيد عن ثلاثين درجة مئوية، فراح عناصر طالبان يطلبون الرحمة، ولم تتأخر الاستجابة لطلبهم، حسبما يؤكد أحد الجنود الأفغان، الذي أقر بأنه هو نفسه قتل بعض الأسرىٰ، من أجل فتح ثقوب في المستوعبات بالرصاص في أسفلها، وعلىٰ الجوانب وليس في

---

(١) جايمي دوران: مندوب مجلة لوموند الفرنسية «النسخة العربية»، عدد سبتمبر عام / ٢٠٠٢م.

أعلاها، حيث يمكن التهوية للأسرىٰ.

• **وكان أحـد السائقـين**: قد تـوقف عند إحدىٰ مـحطات البنزين المتكاثرة علىٰ الطرقات الرئيسيـة، ثم أخذ يروي عملية نقل الأسرىٰ، فقال: "يوم نقل الأسرىٰ إلىٰ **شيبرغان** توقفت للتزود بالوقود، وكانت تفوح رائـحة غريبـة، سألت صـاحب المحطة عنـها فقـال لي: انظر وراءك، فرأيت ثلاث شاحنات محملة بالمستوعبات، والدم يسيل من كل مكان فيها، وقف شعر رأسي، إنه لأمر مرعب"؟!!.

•• وفي اليوم التـالي أمام منزل ذلك السـائق في شيبـرغان وقف يصف المـشـاهد الدامـيـة فـقـال: "رأيت ثلاث شـاحنات تمـر بمستوعباتها، وكانت تقطر دمًا كذلك.

وبعض هذه المـسـتـوعـبـات لم تثـقب بالرصـاص، الذي يأتي بالخلاص من المـوت، ولا شك أن الأسرىٰ فيها ظلـوا ينازعون مدة خمـسة أيام، فيـموتون اختناقًـا وجوعًا وعـطشًا، وحين فـتحت في النهاية، لـم يبق فيهـا من شاغليـها إلا البول والدم والـبراز، والقيء واللحوم المتعفنة"[(١)].

---

(١) مجلة لوموند الفرنسية، النسخة العربية/ عدد سبتمبر/ ٢٠٠٢م.

• **ويقول أحد السائقين أيضًا**: كان هنالك (٥٢) مستوعبًا، وكانت الظروف سيئة، لأنه لم يعد بإمكان الأسرى التنفس، عندها أطلقت النار على المستوعبات فقتل الكثير منهم، ويقول في وصف المأساة:

•" وفي (شيبرغان)، أنزل أولئك الأسرى، الذين حافظوا على نسمة حياة، لكن الكثير منهم، كانوا قد غابوا عن الوعي، لأنهم جرحوا، ولأن الوهن قد أصابهم، فنقلوا إلى "**داشت لايلي**"، حيث صفوا، وقد قمت في ثلاث رحلات إلى المكان، وفي كل مرة كنت أنقل "١٥٠ سجينًا" كانوا يصرخون، فيما نطلق النار عليهم، وقد قام بالرحلة نفسها عشرة أو خمسة عشر سائقًا".

• وبعد شهرين، كانت آثار جرافات "البولدوزر" ما تزال ظاهرة في مكان المقتلة، في "داشت لايلي"، وهو مكان قرب (شيبرغان)، فقد دفعت الجثث إلى الحفر، ودفنت تحت أطنان من الرمال"[1].

• فإلى الدكتور خالص جلبي، وشيخه جودت سعيد، وإلى كل الذين مازالوا يحسنون الظن بما يسمونها الدول المتحضرة، أهدي أخبار هذه المآسي فماذا هم قائلون؟!.

---

(١) السابق/ لوموند الفرنسية/ نقلاً عن مجلة البيان/ أكتوبر عام / ٢٠٠٢م، العدد «١٨٠».

فهل امتنعت هذه الدول عن استخدام الأسلحة الفتاكة الخطيرة؟!. هل توقف الأمريكان عن إجراء التجارب لأحدث أسلحتهم في أفغانستان، وخاصة فيما يسمونه "القنابل الذكية"؟! ألا يرئ هؤلاء المفتونون المخدوعون ما خلفته الحرب من دمار وخراب، في دول ضعيفة فقيرة.

ثم يأتي حضرة الدكتور ليقول: "المرض الأفغاني اليوم، مرض فاقع اللون لا يسر الناظرين بلونه الأحمر المثير، ... ومرض الأفغان هذا هو مرض ثقافي قبل أن يكون عسكريًا سياسيًا... ". فمن نخاطب ولمن نقول: لقد أسمعت من لو ناديت حيًا: ولكن لا حياة لمن تنادي.

***

المبحث الثالث

ماذا عن الإرهاب الدولي ومن هم الإرهابيون حقيقة ؟ !

إلى الذين يزعمون أنهم يحاربون الإرهاب في العالم، إلى الذين ينصبون أنفسهم لزعامة العالم، والسيطرة على الشعوب المستضعفة، فهم الإرهابيون حقيقة: أصلاً ونشأة، تاريخًا وواقعًا.

• **فهل يعي الناس أن أمريكا،** إنما قامت على استئصال الهنود الحمر بطريقة لا نجد لها مثيلاً في البشاعة والهمجية والمذابح الدموية، تم كل ذلك باسم التبشير والمسيحية؟!.

• هذا كلام يرويه النصارى أنفسهم... فقد قتلوا مئات الملايين من البشر، ونهبوا الكنوز التي لا تقدر بأثمان.

إن الذين ذهبوا إلى الأرض الجديدة، من أدعياء المسيحية من الإنجليز والأسبان: أبادوا الشعوب الهندية الوادعة، أصحاب البلاد الأصليين، ومحوا ذكرهم من وجه الأرض، بالاجتياحات الدموية المتوحشة، أو باستعباد من تبقى استعباداً فظًا غليظًا شنيعًا، لم يشهد مثله البشر، ولم تعرفه الدواب.

• قتل النصارى كل هذه الأنفس، وفتكوا كل ذلك الفتك باسم الدين، ليحصلوا على الذهب، ويكتنزوا الثروات.

"إنني أقول الحقيقة لأنني شاهدتها بأم عيني" . وثمة حقيقة مؤكدة، أجمع عليها الأسبان بطغاتهم ومجرميهم، وهي أن الهنود في كل تلك البلاد لم يمسوا مسيحيًا بسوء"[1].

• كان تدمير حضارات أمريكا القديمة على يد الأسبان والبرتغال ابتداء، ثم أولاد عمومتهم لاحقًا فاجعة أسطورية، عندما دفع قرابة تسعين مليونًا من البشر إلى المقابر في مدى ثمانين عامًا"[2].

• فقد قتل الإسبان والبرتغاليون الهنود الحمر أصحاب البلاد الأصليين بالقوة وبالتجويع وبحرق المحاصيل، وبتدمير القوارب والبيوت.

وفي عام / ١٧٣٠م، أصدر "البرلمان" لمن يسمون أنفسهم "البروتستانت الأطهار" تشريعًا يقنن عملية الإبادة لمن تبقى من الهنود الحمر، فأصدر قرارًا بتقديم مكافأة مقدارها "أربعين جنيهًا" مقابل كل فروة مسلوخة من رأس هندي أحمر، (وأربعين جنيهًا،

---

(١) مقتطفات من كتاب «المسيحية والسيف» ، تأليف المطران: «برتومي دي لاس كازاس» - ترجمة د. سمير عزمي الزين - منشورات المعهد الدولي للدرسات الإنسانية/ ص ١٦ - ٢٩/ ، نقلاً عن مقال للدكتور عثمان ضميرية، في جريدة العالم الإسلامي بعنوان: ويسألونك عن الإرهاب.

(٢) جريدة الرياض، العدد «١٠٣٩٨»، في ١٢/ ١٢/ ١٩٩٦م.

مقابل أسر كل واحد منهم، وبعد خمسة عشر عامًا، ارتفعت المكافأة إلى مائة جنيه)[١].

• وهل نسي العالم قنبلتي "**ناكازاكي وهيروشيما**" اللتين أحدثتا دمارًا رهيبًا، عندما ألقت أمريكا القنبلة الأولى، على مدينة (**هيروشيما**) في اليوم السادس من شهر آب / ١٩٤٥م، وفي اليوم الثاني قنبلة أخرى على مدينة (**ناكازاكي**)، أصيب في الأولى (٣٩٨، ١٣٢) شخصًا، مات منهم "١٤٠ ألف شخص" مباشرة.

• وتم هذا كله باسم الدين، فقد كان الرئيس "روزفلت، أو الرئيس ترومان" يودعان قواتهما المشاركة في الحرب العالمية الثانية، والتي ضربت هيروشيما وناكازاكي بهذه العبارة: "تقدموا يا جنود المسيح" كما كان (المجد للعذراء) هو الاسم الحركي لعاصفة الصحراء وصيحة البداية[٢].

• • **أما ضحايا المجازر الشيوعية**: فقد تم إبادة (مائة مليون إنسان) على مدار ثمانين عامًا من الهيمنة الشيوعية. ففي روسيا قتل

---

(١) مجلة البيان، العدد «١٧٥» ربيع الأول/ ١٤٢٣هـ.

(٢) ويسألونك عن الإرهاب: د. عثمان جمعة ضميرية، ومجلة البيان/ العدد (١٧٥) ربيع الأول/ ١٤٢٣هـ.

"٥٣ مليون نسمة" ، وفي الصين الشيوعية، تراوح عدد القتلى بين "٤٤ و ٧٢ مليون إنسان" .

هذه الأرقام المرعبة لم تمت في الحرب، بل قتلت بممارسات الأنظمة الشيوعية في العالم: من الصين إلى رومانيا وكوريا والحبشة والبيرو" .

هذه المعلومات ينقلها الدكتور خالص جلبي، ثم يناقض نفسه ويزعم أن الدول المتقدمة قد أوقفت العنف والحرب والسلاح النووي، ومن ثم يهاجم الفتوحات الإسلامية، أيام بني أمية، وفي العهد العثماني، رغم العدل الذي نشر بين الناس على أيدي المسلمين، مما دفع كثيراً من الأهالي لاعتناق الإسلام بكل طواعية ورغبة.

• أما المجازر التي سببتها الأنظمة الدكتاتورية على يد كل من هتلر وموسوليني وستالين، في الحرب العالمية الثانية، فقد كانت الضحايا بالملايين، والمآسي لا توصف.

فمن هم الإرهابيون، وما هي حقيقة الإرهاب يا دعاة السلام الموهوم، واللاعنف المزعوم؟! أما الإرهاب الصهيوني فله شأن آخر نتحدث عنه في الفقرة القادمة.

الإرهاب الصهيوني

إرهاب وحشي، يستمد وحشيته من الأحقاد المبثوثة في التوراة المحرفة، وفي تعاليم التلمود القاسية.

فقبل قيام دولة الكيان الصهيوني عام /١٩٤٨م، استخدمت بعض العصابات الصهيونية الإرهاب لإنهاء الانتداب البريطاني في فلسطين، وإنشاء وطن قومي لليهود فيها.

ومن أهم هذه العصابات الصهيونية:

منظمة الهاغانا، وفرق العمل، والبالماخ "الصاعقة" والأرغون وعصابة شتيرن ومنظمة كاخ، وينتسب معظم قادة الكيان الصهيوني منذ قامت إسرائيل إلى هذه العصابات.

وقد قامت تلك المنظمات الإرهابية، بغزو ومهاجمة القرى والمدن في فلسطين وارتكاب المجازر الفظيعة فيها، وطرد أهلها إلى خارج قراهم ومدنهم.

وكان من أهم تلك المجازر: مجزرة دير ياسين، ومذبحة بئر السبع، ومجازر قانا وصبرا وشاتيلا.. مما لا يجهلها أحد من اليهود، وهي تنكر أي حق للعرب والمسلمين في الوجود على أرض

فلسطين، بل وتؤمن بأن قتلهم في مساجدهم والاستيلاء على مزارعهم ومساكنهم، واجب ديني على درجة عالية من التأكيد[(١)].

والصهاينة بعملهم الهمجي هذا أشبه الناس بالغزاة الذين طردوا الهنود الحمر وقتلوهم في ديارهم - أمريكا .

• والإرهاب الصهيوني يمتد بجذوره إلى العقيدة الصهيونية، وإلى الأهداف التي حددتها الحركة الصهيونية منذ نشأتها التنظيمية، وإلى الأهداف التي من أجلها قام الغرب بتشجيع الفكرة الصهيونية. .

والصهيونية من حيث هي حركة استيطانية، قامت على أساس استقدام اليهود إلى فلسطين، وإنشاء مستوطنات على الأراضي العربية، ضمن خطة لإجلاء عرب فلسطين بالقوة وإنشاء دولة يهودية خالصة مكان أهلها.

ومن هنا فقد بدأ الإرهاب الصهيوني، مع الغزو الصهيوني في أواخر القرن الماضي وما زال مستمراً حتى الآن.

• فكم أعدم الصهاينة من أهالي فلسطين في الساحات العامة، وفي المدن والقرى منذ عام /١٩٤٨م، ومنذ ذلك التاريخ أصبح هذا

---

(١) ينظر الموسوعة العربية العالمية: ١/ ٥٣٠، ويسألونك عن الإرهاب: د. عثمان جمعة الحلقة السابعة، عدد ١٧٤٨، في ٣/ ٤/ ١٤٢٣هـ.

الإرهاب، هو الإرهاب الرسمي الوحيد في العالم. ومن أشد مظاهر القتل الجماعي الوحشي: كان بعد عام: ١٩٦٧م، إذ أفاد عدد من المراقبين الدوليين، بأنهم شاهدوا بأم العين عمليات الإعدام الجماعي والقبور الجماعية، كما أن الجنود الصهاينة، رموا بالأسرىٰ المصريين في صحراء سيناء، بدون ماء أو طعام، ليواجهوا الموت البطيء خلافًا لكل الأعراف الدولية، السياسية والعسكرية، بل قتل الصهاينة عددًا كبيرًا من الأسرىٰ تحت عجلات الدبابات في صحراء سيناء، وهذه مجرد أمثلة من سلسلة طويلة من عمليات الإرهاب الوحشي التي لم تنته بعد، وقد لا تنتهي إلا بالقضاء علىٰ المشروع الصهيوني بكامله[1].

• وقد تحدث عن جرائم اليهود - وهي لا تحصىٰ - طبيب مصري كان شاهد عيان علىٰ إعدام الأسرىٰ وقتل الأطباء والجرحىٰ في المستشفيات في حرب عام / ١٩٥٦م، وقد ضمنها في كتاب، وهي مؤيدة بالصور والمستندات[2].

---

(١) ويسألونك عن الإرهاب: د. عثمان جمعة ضميرية، الحلقة السابعة بإيجاز عدد (١٧٤٨)، في ٣/ ٤/ ١٤٢٣هـ.

(٢) ينظر: كتاب إسرائيل كما عرفتها، د. أحمد شوقي الفنجري، دار الأمين بالقاهرة ١٩٩٥م.

• ويتناسب هذا الإجرام **مع تعاليم التلمود ففيه**: "محرم على اليهودي أن ينجِّي أحدًا - من غير اليهود - من الهلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها.. بل إذا رأى أحدهم يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر"[١].

• **وانظر إلى بعض أدبيات اليهود الإرهابية**:

ما قاله السياسي الذي يرمز لاسمه بـ "ذد" قال: "إنني لا أهتم بأن يطلقوا علينا أفظع الألقاب، لا يهم فكل شيء محرم، مسموح به في سبيل البقاء، حتى طرد العرب من الضفة الغربية، فليقولوا عنا، إننا نازيون!!.

ماذا لو قتلنا من العرب مليونًا؟ أو حتى ستة ملايين؟ ماذا سيحدث؟ سيكتب التاريخ عنا صفحتين فقط، مجللتين بالسواد، وسيكون ثمن ذلك عظيمًا، سيأتي إلينا يهود الشتات، ونصبح أمة تعدادها خمسة وعشرين مليونًا[٢] "نصبح أمة تدعو للاحترام، وبعد ذلك سينسى التاريخ، ويأتي أدباؤنا ليكتبوا روايات عظيمة عن المذابح التي ارتكبناها في حق العرب، وسيحصلون على جوائز نوبل، مثلما

---

(١) التلمود شريعة إسرائيل: ترجمة ظفر الإسلام خان.

(٢) يهود العالم خمسة عشر مليونًا فقط.

فعل أدباء النازية.

وسنجد في جميع أنحاء العالم، من موسكو إلى بكين إلى واشنطن، من يتودد إلينا ويخطب ودنا، برغم أيادينا الملطخة بالدماء[١].

هذه هي نفسية اليهود، وهذه هي بعض جرائمهم فقط، ثم يأتي الدكتور خالص جلبي ليقول: إن إسرائيل دولة متحضرة وديمقراطية، يجب أن تترك لضميرها الراقي، ويريد الشيخ جودت سعيد، أن ينزع السلاح من الجيوش العربية لأن الدول الراقية بلغت الرشد، وتوقفت عن الحروب بسبب الردع النووي؟!.

• • وانظر إلى تبني أمريكا لزعماء إسرائيل، بل إلى احتضان أمريكا لزعماء المافيا الإسرائيليين، ابتداء من "ابن غوريون إلى شارون"، حيث لم يعتبر زعماء أمريكا واحدًا من هؤلاء السفاحين إرهابيًا، ولم يطلب شعبها اعتقال أي منهم لتقديمه للمحاكمة.. هؤلاء الذين رفضهم العالم على مر التاريخ[٢].

---

(١) اليهود والتحالف مع الأقوياء: د. نعمان السامرائي، كتاب الأمة - قطر - ص ١٠٢ - ١٠٣/ ١٤١٢هـ وهو جزء من حوار أجراه الأديب اليهودي «عاموس عوزا»، مع شخصية سياسة أشار إليها بالحرف «ذد z» جاء فيها ما تقدم.

(٢) جريدة الشرق الأوسط، في ٢/ ٣/ ٢٠٠٢م.

• إن جرائم إسرائيل وقادة إسرائيل بادية للعيان، وهي مطابقة لجرائم زعماء أمريكا قديمًا وحديثًا، من حيث التهجير والقتل، والاغتيال والتدمير، لأهل البلاد الأصليين.

ورغم كل هذا، هل يترك هؤلاء القتلة إلى ضمائرهم الحية، ومنهجهم الديمقراطي الحر؟!.

وهل ينصح أهالي فلسطين بإلقاء السلاح، والمظاهرات السلمية، ويبشرون بأنهم بحاجة إلى (غاندي) جديد، يقود المقاومة السلمية بعيدًا عن العنف؟!.

هذا ما يزعمه الدكتور خالص جلبي، ودعاة اللاعنف المزعوم.

• أخي الكريم: إن الوقوف إلى جانب إخواننا المضطهدين واجب شرعي وحق أخوي، سواء في فلسطين أم في العراق وأفغانستان..

• لأنه من أعظم الظلم خذلان المسلم لأخيه المسلم: و" ما من امرئ يخذل امرءًا مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته، وما من أحد ينصر مسلمًا في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته"[(١)].

---

(١) انظر: صحيح الجامع الصغير، رقم «٥٦٩٠»، المجلد الثاني/ الشيخ ناصر الدين الألباني.

"والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.. ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة"[١].

❁ ❁ ❁

(١) صحيح البخاري: ٢/ ٨٦٢، رقم «٢٣١٠»، ومسلم: ٤/١٩٩٦، رقم ٢٥٨٠.



الباب الخامس

الهجوم علىٰ التاريخ الإسلامي

الفصل الأول : تزوير التاريخ وتشويه الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول: الشعوبية الجديدة

المبحث الثاني: تشويه حركة الفتح الإسلامي

١- مهاجمة بني أمية: حقد شعوبي قديم.

٢- الهجوم علىٰ الفتوحات العثمانية:

- ملا ذكرد

- وفتح القسطنطينية.

٣- طبيعة الفتوحات الإسلامية.

الفصل الثاني : التطاول علىٰ الصحابة والسلف.

الفصل الثالث : تمجيد الزنادقة والإشادة بالشخصيات المشبوهة.

الفصل الأول

تزوير التاريخ وتشويه الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول: الشعوبية الجديدة

المبحث الثاني: تشويه حركة الفتح الإسلامي

١- مهاجمة بني أمية: حقد شعوبي قديم.

٢- الهجوم علىٰ الفتوحات العثمانية:

- ملا ذكرد

- وفتح القسطنطينية.

٣- طبيعة الفتوحات الإسلامية.



الفصل الأول

تزوير التاريخ وتشويه الفتوحات الإسلامية

المبحث الأول

الشعوبية الجديدة

دأب المستشرقون وأشياعهم من المبشرين والحاقدين على تشويه التاريخ الإسلامي، وتابعهم عدد من العلمانيين والعصرانيين في حملات التزوير والتشويه.

ولم تقف عملية التزوير هذه عند عصر دون عصر، بل شملت كافة عصور الإسلام، حتى أن الصفحات المضيئة والمواقف المشرقة، لم تسلم من هذه الحملات[١].

• وقد تفنن أتباع المدرسة المادية في حملات التشويه والتزوير، كل ذلك ليسلم لهم توجههم الفكري المنحرف في نشر فكرة اللاعنف المزعوم، في أمة مضطهدة يهاجمها أعداؤها، قادمين من كل حدب وصوب.

---

(١) ينظر: كتابنا «العصرانيون»، فصل تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة/ ص ٢٨٦ - ٣٠٢.

فكانت لهجة الطبيب خالص جلبي حادة ضد العرب والمسلمين حضارة وسياسة وعلومًا، مما يذكرنا بطرائق الشعوبيين القدماء، ومهاجمتهم للعرب والمسلمين، وتفضيل العجم عليهم في جميع المجالات: السياسية والعقدية والاجتماعية والأدبية.

• **والشعوبيون**: "هم قوم متعصبون على العرب، يفضلون عليهم العجم.. وينطبق ذلك على كل الذين ناهضوا العرب في القديم والحديث، وقاموا ينقصون من قدر حضارتهم وتاريخهم... ولهؤلاء الشعوبيين طرق غريبة في الحط من شأن العرب"(١).

• لقد اتخذ الشعوبيون وسائل متعددة لتحقيق أهدافهم، وأشاعوا الفوضى الخلقية، وتسللوا إلى التشكيك في قضايا العقيدة والحديث والفقه(٢).

• انظر إلى ما يقوله الدكتور خالص جلبي، وهو يهاجم العرب والمسلمين في حضارتهم، ويتهمهم بأشنع الصفات يقول: "تعيش

---

(١) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي، ٣٥ - ٣٦؛ الجزء الأول ١٩٣٦م.

(٢) ينظر تفصيل ذلك: كتابنا الحياة السياسية عند العرب/ ١٤١٤هـ طبعة ثانية/ مكتبة السُّنة بالقاهرة ودار الجيل/ بيروت.

الأمة العربية حالة أزمة مستحكمة، هي أزمة قديمة، لها نقطة انطلاق، وتاريخ تطور ومضاعفات ميدانية، **تم هذا عبر ثلاثة مفاصل تاريخية**:

١- عندما صادر البيت الأموي الحياة الراشدية، وقام بتشكيل دولة بيزنطية، تصفي المعارضة الفكرية على يد جزارين من طراز الحجاج.

٢- وثانيها مصادرة التفكير والاجتهاد العقلي، صادرت العقل والفن في ضربة مشؤومة.

٣- وثالثة الأثافي: التحول العالمي قبل خمسة قرون، بارتياد المحيط على يد الصليبيين الفقراء، فامتلكوا البحار وثروة العالم الجديد..

فالغرب اليوم يمتلك ثلاثة أخماس الكرة الأرضية.. وكتب سفر الحضارة من الشمال إلى اليمين بالدم، وكان يكتب معكوسًا بالمداد.

• ثم يقول باللهجة الشعوبية الحادة:

"وهنالك حزمة أمراض ثقافية تبلغ العشرة منها:

أن العالم العربي ما زال يحكم بسيف معاوية، بعد انطفاء الوهج الراشدي... وأن الثقافة العربية تستحم بالعنف منذ المصادرة الأموية، وتوديع حياة الرشد، واعتناق حياة الغي، وتفشي روح الغدر

والقتل والانقلابات والتآمر، فليس بعد الرشد إلا الغي"[(١)].

••• لقد كان الشعوبيون القدماء يهاجمون بني أمية أشد الهجوم، وكانوا يتهمون العرب بالتخلف والغدر، فشوهوا ثقافتهم واتهموهم بأشنع الصفات، وهاهو الطبيب خالص يعيدها جذعة من جديد ناسيًا أن مراكز البحث العلمي والتقدم الحضاري، كانت في دمشق وقرطبة وبغداد، أيام كان سادته الغربيون يغطون في نوم عميق، وتخلف مزر، وما يذكر للخلافة الأموية إلا ترهات وأوهامًا ليس لها وجود إلا في خيالاته المريضة.

•• يذكر ابن تيمية: (أن السُّنة كانت قبل دولة بني العباس أظهر منها وأقوىٰ في دولة بني العباس لأن دولتهم دخل فيها كثير من البدع)[(٢)].

وهذا طبيعي ومصداق لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول فيهم: (**خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)[(٣)]

هذا هو مكان بني أمية في المصادر الموثوقة، أما الشعوبيون فلهم أوهام وأحقاد.

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٦٩٢»، في الأول من جمادي الآخرة ١٤١٨هـ.
(٢) منهاج السُّنة لابن تيمية - رحمه الله - جـ٤/ ص ١٣٠.
(٣) متفق عليه: انظر شرح السُّنة للبغوي، ج١٤/ ص٦٦.

• انظر إلى قول (جلبي): «إن جذور الاستعمار تضرب في تربة الثقافة، وأن هذا المرض يعسّ في مفاصل الثقافة العربية، مثل الروماتيزم الخبيث، منذ الانقلاب الأموي، وقتل العقل على يد ما يسمى «أهل السُّنة والجماعة»، وأن العرب يؤمنون (بالقتل) لأنه لا عقل لهم»(١).

• وانظر إلى تكرار الهجوم على الثقافة العربية والإسلامية وإلى هذا التحامل الشنيع في قول جلبي:

"فالثقافة العربية الإسلامية، تم اغتيالها بالسيف، فهي تؤله القوة وتخضع لها، وخسرت لعبة تبادل السلطة السلمي بدون أمل في استعادته، حتى تم بعث فكرته وتطبيقه في الغرب، من خلال تدفق الفكر الراشدي الإسلامي إلى أوروبا، وتخمره وتطوره هناك"(٢).

•• فالحمد لله إن الفكر الراشدي الإسلامي، يطبق في أوروبا، وقد تخمر هنالك، على منهج الكتاب والسُّنة، هكذا يقول المنهزمون!!.

---

(١) كتاب الزلزال العراقي/ ص ١٢٤.
(٢) جريدة الرياض، العدد «١٠٨٠٤».

• ويتابع الطبيب الإسلامي! بث سمومه وهجومه على الخلافة الإسلامية، والمجتمع الإسلامي الوليد فيقول: "المجتمع الإسلامي الوليد، أصيب بعسر هضم للمجتمعات الجديدة التي استوعبها؟!! ومن مظاهر عسر الهضم هذه الإقياءات والإسهالات، ودخول البدن الإسلامي حالة غير سوية، بسبب النزاعات والفتن والثورات، التي حدثت في حالة نمو المجتمع الإسلامي الأول..."[١].

فهاهو يهاجم المجتمع الوليد، مجتمع الصحابة، مجتمع المسلمين في عهد بني أمية، والدكتور خالص:

"لا يمل من الهجوم على ثوابت الأمة، فإذا كان يناقش أوبئة العنف، فعليه أن يكف عن أوبئة الكلام العنيف والسخرية المتهكمة، والهمز واللمز بالمسلمين، ماضيًا وحاضراً ومستقبلاً، والإعجاب المفرط بالغرب وعقائده.

فهاهو يسخر من المناهج العقلية والنقلية عند المسلمين، ويدين تاريخهم، ويحاكم علماءهم، ويستهزئ بأصولهم، وفي مواطن أخرى: "يهمش نصوص الوحي، ويدنس اجتهادات مفكريهم، ويقدس فرضيات مخالفيهم، ويؤكد بشكل صريح بأنه لا بد من

---

(١) النقد الذاتي: خالص جلبي/ ص ٢٣١.

صدمة مزلزلة لكل الفكر التقليدي"[١].

•• الهجوم على الخلافة الإسلامية:

ويساير خالص جلبي المستشرقين في الشماتة بانهيار الخلافة على يد كمال أتاتورك، إذ يعتبر أن شيخوخة هذا النظام وقد "أصابه المرض ابتداء على يد الأمويين؟! عندما امتص على يدهم جراثيم الأنظمة المجاورة القيصرية، فاعتل وهو في ميعة الشباب... فالخلافة كانت قد ماتت منذ زمن بعيد، وغصن الحضارة الإسلامية كان قد جف وذبل، والعسكرتارية التركية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ومن يتأمل يدرك"[٢].

"إن كمال أتاتورك لم يفعل أكثر من دفن تلك الجثة الميتة، والمسماة بالخلافة الإسلامية، والتي كانت ترعب جند أوروبا في ذلك الحين، وكانوا يسمونها الرجل المريض، ومات المريض بعد طول سقم واعتلال، ولم تفلح حقن الإنعاش على يد السلطان عبد الحميد، لأنها جاءت متأخرة"[٣].

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة، في ١٤٢٣/٩/١٧هـ، د. سعيد بن ناصر الغامدي.
(٢) النقد الذاتي لخالص جلبي/ ص ١١٢.
(٣) المرجع السابق/ ص ١١٣.

• إن هذا الهجوم الشنيع على نظام الخلافة، كان يعجب جند أوروبا، ولذلك فهي تستحق الهجوم من الشعوبية الجديدة، ويلتقي هذا مع مطالب الحلفاء، وشروط اتفاقية (سايكس - بيكو) عام / ١٩١٥، عندما خرجت تركيا مهزومة في الحرب، واشترط الحلفاء إلغاء نظام الخلافة وطرد السلطان العثماني خارج الحدود، ومصادرة أمواله، ثم إعلان علمانية الدولة"(١).

• ويأتي خالص جلبي ليكمل دور مَنْ قبله، فيحذّر من كلمة «دولة إسلامية» في القديم والحديث فيقول: «يجب الحذر من كلمة «دولة إسلامية»، ويجب أن نطهر أنفسنا من حمّى الشعارات، لأن كل المقتل جاء منها، وكل ألوان الاستبداد جاءت تحت مسمى الدول الإسلامية.

والنظام العباسي أقام ديكتاتوريته باسم الشريعة وآل البيت... وهو الذي مكن العثمانيين من التلقب بالخلافة».

«والطالبان كانت دولة إسلامية تحكم بالشريعة، فقطعت الرؤوس والأطراف، ووأدت المرأة ونفت العقل إلى المجهول،

---

(١) انظر: تاريخ الدولة العثمانية/ علي حسون، المكتب الإسلامي: بيروت ودمشق.

ودمرت آثارًا إنسانية بدعوى الأصنام، فانتقمت أمريكا لبوذا، فدمرت الطالبان تدميرًا»[١].

• • فهذه الحملة على العرب والمسلمين، والتنقيب عن مثالبهم، هي شعوبية جديدة ولا شك.

"فقد كانت الشعوبية القديمة، تبحث عن مثالب العرب وتصفهم بأقبح الصفات وتحط من شأنهم، ويتستر أصحابها (بالتسوية)، ويعنون بها المساواة التي جاء بها الإسلام، ولكن القصد الخفي كان هو الطعن في حمَلة الإسلام الأوائل، وهم من العرب جيل الصحابة وأغلب التابعين.

ولكن هذه الشعوبية كانت مكشوفة ومعروفة لدى العلماء.

• **بينما نجد أن الشعوبية الجديدة، أشد مكرًا وأكثر مهارة في** التخفي بأفكارها، فهي تتستر بثوب الكتابات العلمية المحايدة، والكتابات الفكرية التي تنزع منزعًا عالميًا بالاستشهاد بأسماء لامعة من الغرب والشرق.

وهكذا بعد أن تلبس على الناس دينهم، تبدأ عملية الهدم، وهي تبدأ من التاريخ الإسلامي بأساليب ظاهرها النقد للأخطاء، وباطنها

(١) من كتاب الزلزل العراقي: خالص جلبي/ ص ١٨٤.

نزع صورة الماضي، وفهم الرابطة مابين ماضي الأمة وحاضرها.

يقولـون: لماذا لا ننقـد تاريخنا، هل أشخـاصه مـعصـومون؟! والجواب: طـبعًا لا، وهي كلـمة حق أريد بهـا باطل، يستـدرج بها بعض الناس، وعندئذ سـيكتب الشعوبيـون: لماذا لا نعتـبر السلطان محمـد الفاتح مجـرمًا من مجرمي الحـرب؟ فهو يفتح المـدن ويقتل الناس، ونحن نحب الـسلام والحـوار الفكري! حـتى قـاتَلنا الكفـار واعتدوا علينها.

ذلك أن هؤلاء الشعـوبيين لا يتجرءون، أن يتكلمـوا في خالد بن الوليـد وعمـرو بن العاص، يبـدءون بغيـرهما، ثم يطعنون بالـدعاة والعلماء الصالحين العاملين(١).

• إن التاريخ الإسلامي، تاريخ دين وعـقيدة، قبل أن يكون تاريخ دول ومـعارك ونظم سـيـاسيـة، لأن العـقيـدة هي التي أنشـأت هذه الكيـانات من الدول والمـجتـمعـات، بنظمـها السـيـاسيـة والإدارية والاقتصادية والاجتماعية...

(١) الشعوبية الجديدة: مقال للشيخ مـحمد العبدة، نشر في شبكة الانترنت، ردًا على مـــقـــال لخـــالص جلـبي نشـــر في الشـــرق الأوسط «في ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٢م بعنوان: كـيف تنشـأ الأسـاطيـر، وقـد زودني الكاتب «العبدة» بصورة من مقاله هذا.

لذلك لابد للمسلم أن يربط عمله التاريخي بعقيدته ومنهجه، كي يستفيد من الأحداث التاريخية دروسًا وتوجيهات مثمرة. . .

هذا وإن التزام الباحث بمنهج العقيدة، يرسم له طريقة التعامل مع الحدث، وكيفية معالجته ودرسه، وأخذ العظة منه[(١)].

هذا ما ينبغي أن يكون عليه المؤرخ المسلم، أما التشكيك بالأحداث، وإثارة الشبهات، فهو منهج متحامل وغير موضوعي، يعتمد على متابعة المستشرقين من اليهود والنصارى، وسوء فهمهم لتاريخنا، والفتنة بما يسطرونه من أحقاد وافتراءات.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، في قوله: (**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى. قال: فمن؟**) أي فمن غيرهم[(٢)].

***

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي: د. محمد بن صامل السلمي، «ص٦ و ص١٩٧».

(٢) أخرجه الشيخان واللفظ المسلم.

المبحث الثاني

الهجوم علىٰ الفتوحات الإسلامية

كثر الهجوم علىٰ الفتوحات الإسلامية، واعتمد أصحاب التيار العلماني والعصراني علىٰ التزوير والدس، جريًا وراء المستشرقين والحاقدين. وقد تحمل كثيرًا من هذا الوزر الدكتور خالص جلبي وخصّ بحملته الجائرة دولتي الفتوحات المشرقة: بني أمية والدولة العثمانية.

وقد يستغرب القارئ المنصف هذا التحامل من شخص يحمل لهجة إسلامية في طرحه، ويزعم أصحابه أنه مفكر إسلامي معاصر!!.

وسرعان ما يزول استغرابنا هذا، إذا تذكرنا المنهج المادي العصراني، الذي يمثله هو وشيخه جودت سعيد، ومحاولاتهم المستميتة في نشر الفكر الاستسلامي اللاعنفي من جهة، والدوافع الشعوبية ضد كل خير، كان يتصف به العرب والمسلمون، وقد تحدثنا عن ذلك في المبحث السابق.

وسنرىٰ في هذا المبحث هجومًا كاسحًا، وتدليسًا وتزويرًا عجيبين لأفضل ما تفتخر به هذه الأمة، مما يؤكد ما ذهبنا إليه سابقًا.

وإنه لأمر مؤلم ومؤسف معًا، أن تشوه حركة الفتح الإسلامي، التي نشرت الإسلام في أنحاء العالم، وشهد بعدلها الأعداء قبل الأصدقاء.

« ١ » مهاجمة بني أمية وحركة الفتح الإسلامي

لماذا يحقد جلبي ورهطه على بني أمية كل هذا الحقد؟! ألأنهم نشروا الإسلام في أنحاء العالم، وأذلوا الشرك والوثنية في ربوع المعمورة؟!.

ما السبب الذي يجعل الدكتور خالص لا يمل ولا يكل من الشتم والتزوير لتاريخ بني أمية بمناسبة وبدون مناسبة؟!.

• انظر إلى نماذج من هذا الدس الرخيص.

يقول: "وفي بلاد العالم المتخلف، فالساحة الفكرية ما زالت تعيش عقلية الأسطورة والخوارق، وتتغذى من فكر وجو "الفتوحات"، التي تعبق بعطر شعر الخوارج وأدبياتهم"(١).

ما علاقة الخوارج وأدبياتهم، بالفتوحات أيها الرجل؟!.

•• ويقول أيضا: "لقد حُرم المسلمون من الحكم الراشدي، وتحول الحكم إلى مذهب الغدر، وقنص السلطة الدموي في مسلسل محموم لا ينتهي... لا بد أن نتخلص من مبدأ الغدر والعنف، حتى نتوصل إلى الاتجاه السلمي، الذي يجب أن نعلنه ونربي الناس عليه"(٢).

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي/ ص ١٩٤.
(٢) المرجع السابق/ ص٢٢.

بهذا المنظار الأسود المتشائم، يكتب هذا الطبيب الجراح، ظانًا أنه يدعو إلى الاتجاه السلمي، ولو على حساب الموضوعية والحقائق الدامغة.

• ولا يسلم من هجاء الدكتور المستمر حتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول:

"عندما يقلب معاوية الوضع الراشدي لبناء دولة بيزنطية ومسخ الخلافة الراشدة بالتآمر الأموي، كان سيتم الأمر ولا راد لقضاء الله"[(١)].

وإنها لنزعة شعوبية تتكرر حتى في حق خير القرون ومقام أصحاب رسول الله، يقول جلبي:

"وشخصيات هامشية في الثورة الإسلامية الأولى، من طراز عمرو بن العاص ومعاوية، حرفت مسيرة الخلافة الراشدة..."[(٢)].

• وانظر إلى قوله وهو يتشفى بكلام مقذع:

"الفكرة الخبيثة تخلق المرض الاجتماعي الخبيث، تقود إلى فكرة الغدر الذي قاد إلى الانهيار السياسي الأخير في العالم العربي، في معركة صفين الأخيرة "يقصد حرب الخليج الثانية"، والتي لن تكون الأخيرة، فسوف تنشب حروب صفين بدون نهاية، ما لم نتحرر

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٤٤٠» في ١٤/ ٩/ ١٤١٧هـ.

(٢) السابق، عدد «١٠٤٨١»، في ١/ ٣/ ١٩٩٧م.

من "مرض الغـدر" ، طالما كانت هذه البكتـريا المجهـولة ما زالت تعشش في محاضن ثقافتنا"[(١)].

- ثم يقول الجلبي مشككًا بمقام أصحاب رسول الله:

«وفي مـعركـة صفـين تواجه فـريقان: مَنْ قـضى عمـره في بناء الإسـلام، ومن أنفق عـمره في حـرب الإسـلام ، ولكن مَنْ ربح لم يكن أنزه الطرفين!!

ورفع المصحف على رؤوس الرماح كي يعطل المصحف»؟![(٢)]

أخي القـاريء: انظر إلى هذا المـسـتـوى الهـابط في حق أزهى عصـور تاريخنا: "الغدر - البكتيـريا - الخبث"، وكيف يشـبه هذه الحروب الجاهلية بتلك الفتوحات؟! أتشبه حروبًا قادتها من السكارى والمـخمـورين، بدولة قادتهـا: عـمرو بن العـاص ومعـاوية وعلي، والكثير من أصحاب رسول الله والصالحين الأتقياء من رجال أمتنا؟!.

● وإن هذا التـجريح لأصحـاب رسول الله: مـعاوية وعـمرو بن العاص ومن حضر صفين من الصحـابة، لم يتجرأ عليه إلا الرافضة، وغلاة المـعتزلة، مخـالفين بذلك الأحاديث الصـحيحـة المروية عن

---

(١) الشرق الأوسط، العدد «٨٣١٠»، في ٢٩/٨/٢٠٠١م.

(٢) من كتاب الزلزل العراقي: خالص جلبي/ ص ١٣١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم.

• قال عليه الصلاة والسلام: (**من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**)[١].

• وقد ثبت في صحيح مسلم (جـ ٤/ ٩٤٥)، "أن معاوية رضي الله عنه، كان أحد كتاب الوحي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم".

• وقال أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله، فاعلم أنه زنديق"[٢].

• وقد نهينا عن الخوض في قضايا الفتن، ومنها حرب صفين، فقد كانت اجتهادات الصحابة فيها بحثًا عن الحق، وليس طمعاً في الملك، كما يذكر ذلك المرجفون، وما أجمل ما قاله عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - حينما سئل عن حقيقة الفتنة، ومن المحق فيها من المخطيء فقال: "تلك فتنة قد طهر الله منها سيوفنا وأيدينا، أفلا نطهر منها ألسنتنا؟!"[٣].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، جـ٥/ ٤٤٦، رقم (٢٣٤٠)، قال الألباني رحمه الله «وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي والله أعلم».

(٢) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي، ص ٧٦/ مطبعة دار التراث.

(٣) الحلية: جـ ٩ ص ١١٤.

• **يقول السيد محب الدين الخطيب مشيداً بالفتوحات في زمن بني أمية**: "ودخلت معظم الشعوب في هداية الإسلام على أيدي الخلفاء الأمويين وولاتهم، وقادة جيوشهم...

ولا شك أن الأجيال المسلمة إلى يومنا هذا، منهم من يسعد بذلك ويمتلئ قلبه سروراً..

ومنهم من امتلأ فؤاده حقداً على الفاتحين، وجعل دأبه أن يصمهم بكل نقيصة.

وانتشرت الفتوحات حتى نودي بكلمة: الله أكبر، حي على الفلاح، على جبال السند، وفي ربوع الهند، وفي أودية أوروبا وجبالها...

كل هذا في زمن بني أمية، الذي لو صدر عن اليهود والنصارى، وعبَدة الأوثان، عشر ما صدر عنها من الخير، ومن إنصاف ومروءة، وكرم وشجاعة، لرفعوا لأولئك اليهود والنصارى الثناء والتقدير في الخافقين.

والتاريخ الصادق، يريد لكل متحدث عن رجاله، أن يذكر لهم حسناتهم على قدرها، وأن يتقي الله في ذكر سيئاتهم، فلا يبالغ فيها"[(١)].

***

---

(١) ينظر: كتاب استخلاف أبي بكر الصديق، للدكتور: جمال عبد الهادي، ص ٣٧ - ٣٩ - دار طيبة بالرياض/ ١٤٠٥هـ.

بنو أمية في الأندلس:

لا ينسى جلبي متابعة الفتوحات الإسلامية تشويهًا وتزويرًا، لحقائق الفاتحين من بني أمية وولاتهم في الأندلس، وكذلك الفتوحات العثمانية في البلقان، فيصدر فتواه بأنها ليست على منهج النبوة.

يقول: "إن السيف الأموي في الأندلس، والمدفع العثماني في البلقان يصلح تفسيرًا لانحسار الإسلام عن أوروبا، لأنه لم يكن انتشاراً على منهج النبوة، بل اجتياحًا عسكريًا، ونسميه اسلاميًا؟!.

ليس عندنا قدرة على مراجعة تاريخنا، ولا نعتبر مثلاً أن معركة (صفين) كانت كارثة توقف فيها المد الإسلامي، وظهرت على السطح نسخة إسلامية أموية مزورة، صادرت الحياة الراشدية، وتدثر الخليفة مرتاحًا بين الغلمان والحريم بعباءة كسروية"[١].

• ويغيظ جلبي انتصارات عبد الرحمن الناصر (الخليفة الأموي العظيم) على بلاد النصارى فيعتبر أنه خرب ودمر، ثم رجع محملاً بالسبي والغنائم؟! كما يزعم الطبيب الجراح؟!!.

---

(١) الشرق الأوسط، عدد «٨٣١٠»، في ٢٩/٨/٢٠٠١م، من مقال لخالص جلبي.

هذا الذي حصل من اغتيال العقل الإسلامي منذ الانقلاب الأموي، عندما ذهب الأمويون بسذاجة أعرابي، جاء متأخراً عن درس التاريخ بحوالي سبعة آلاف سنة حتى انتقلت روح الإسلام إلى الغرب، فألغت بريطانيا "الرق" رسميًا عام / ١٩٣٣م".

"قد يكون العالم العربي في بعض جوانبه ارتد وانتكس، فالجنس البشري ليس وقفًا على حالة العالم العربي وأمراضه وظلامه السياسي، وإغلاقه الفكري"(١).

• اتهامات شعوبية قديمة في ثوب جديد: سذاجة الأعراب، التخلف الثقافي، والظلام السياسي؟! على حساب مدح الأعاجم وحملة الصليب.

• • ويذكر المؤرخون الثقات أن الخليفة (عبد الرحمن الناصر)، كان كثير الجهاد بنفسه والغزو إلى دار الحرب، كما كانت له في جهاد العدو اليد البيضاء"(٢).

وذلك خلال خمسين عامًا" ٣٠٠ - ٣٥٠هـ).

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٤٩٦» في ٢٠/٣/١٩٩٧م.
(٢) نفح الطيب للمقري، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت عام ١٣٨٨هـ، ج١/ ص ٣٥٣.

• وقد غزا المنصور بن أبي عام (٣٦٦- ٣٩٩هـ) خلال فترة حكم (هشام الثاني بن الحكم المستنصر)، غزا سبعًا وخمسين غزوة، دوخ خلالها النصارى المتربصين، كما أعاد للمسلمين مكانتهم وهيبتهم، ولهذا لقبه "ابن بسام" بذي "العزة والسطوة"[1].

••• • لقد كانت حركة الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس حلقة في سلسلة جهاد المسلمين، أيام بني أمية.

فلم تكن حركة غزو وغنائم، أو سيطرة سياسية، بل هو موكب دعوة إصلاحية، تدعو إلى الله على هدى وبصيرة، منهجها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وميدانها الأرض كلها، أما موضوعها فهم البشر جميعًا"[2].

• ولما قامت الدولة الأموية في الأندلس (١٣٨ - ٤٢٢هـ) بقي المسلمون محافظين على نشر دينهم الحق، وإرهاب عدوهم، كما التزم معظم الحكام الأمويين هناك بالشرع الإسلامي منهجًا للحكم،

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام، القسم الأول، الجزء الأول/ ص ١٨٥، تحقيق: د. إحسان عباس، بيروت - دار الثقافة/ ١٣٩٩هـ.

(٢) التاريخ الأندلسي، د. عبد الرحمن الحجي، ص ١٧٢، دار القلم بدمشق وبيروت ١٤٠٢هـ.

وسلوكًا شخصيًا لهم، فضلاً عن أخذهم الرعية على ذلك.

فقد كانوا يحكمون بالكتاب والسُّنة، ويقيمون الصلاة ويؤدون الزكاة، وفق ما جاء في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[(١)].

• هذا هو واقع المسلمين في الأندلس، وخلال فتوحاتهم المشروعة، كما جاءت في المصادر الموثوقة، أما ما يعتمد عليه الدكتور الطبيب، فهو النزوات المريضة، والأهواء التي لا تستند إلى مصدر موثوق.

***

---

(١) نفح الطيب للمقري، ج٣/ ص ٣٧، وينظر: كتاب الضعف المعنوي وأثره في شقوط الأمم/ ص ٢٥ - ٢٦، د. حمدين صالح السحيباني، عام / ١٤٢٣هـ.

«٢» مهاجمة الفتوحات العثمانية

دأب الدكتور خالص جلبي على مهاجمة الفتوحات الإسلامية كلها، ابتداء بفتوحات بني أمية، وانتهاء بفتوحات السلاجقة والعثمانيين ضد الصليبيين في آسيا الوسطى وشرقي القارة الأوروبية.

• يقول: "كانت الإمبراطورية العثمانية من حجم مرعب، اجتاح المربع الشرقي من القارة الأوروبية، وجلس لمدة خمسة قرون في البلقان، مما يفسر الحقد التاريخي للصرب ضد الوجود الإسلامي الحالي، فالذاكرة الجماعية مشحونة بتاريخ طويل من الكراهيات المتبادلة"(١).

فالكاتب يبرر للصرب أحقادهم، والمجازر التي ارتكبوها في البوسنة والهرسك ضد المسلمين، لأن العثمانيين نشروا الإسلام والعدل في تلك الديار.

• ثم يقول: "والعسكرتارية التركية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ولكن فرق كبير بين دخول الإسلام إلى الشرق الأوسط والهند مثلاً، وبين دخوله على يد الأتراك إلى شرق أوروبا، ومن يتأمل يدرك"(٢).

---

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٤١٩)، في ١٤١٧/٨/٢٣هـ.

(٢) النقد الذاتي: خالص جلبي (ص٢٠٠ - ٢١٢).

••• فلماذا كل هذا الحقد على العثمانيين؟ ألأنهم فتحوا شرق أوروبا الصليبية؟! أم لأنهم فتحوا القسطنطينية وجعلوها عاصمة الخلافة؟! ومن يتأمل يعرف!!.

•" ويكفي العثمانيين - في ميزان الله - أنهم توغلوا في أوروبا الصليبية، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب، فدخل الناس في الإسلام بعشرات الملايين.

ويكفيهم أنهم حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، ومنعوا قيام الدولة اليهودية على أرض الإسلام، ولم يتمكن شذاذ الآفاق من التجمع لإقامة دولتهم إلا بعد أن زالت دولة الخلافة من الوجود"(١).

• وسوف نتحدث عن واقعتين انتصر فيهما المسلمون، وكان لهما أثر كبير في الحياة السياسية والدعوية في العالم الإسلامي، هما ملاذكرد، وفتح القسطنطينية.

• معركة ملاذكرد:

انتصر فيها السلطان السلجوقي "ألب أرسلان على الروم، بقيادة ملكهم "أرمانوس الرابع". يتحدث خالص جلبي عن هذه المعركة

---

(١) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب ص ١٥٢، ٣١٦.

بنفسية المستشرقين فيقول: "ولم ينتبه مؤرخونا إلى مفصلية هذه الواقعة العسكرية وآثارها البعيدة، فيتعجب المرء وهو يقرأ السرد التاريخي الأسطوري، والذهول عن معركة مشؤومة للشرق الأوسط بكل المقاييس، فهي التي عجلت بانهيار بيزنطة، وهي التي فجرت الحروب الصليبية"[1].

• لا شك أن الكاتب يتجاهل الأسباب الحقيقية للحروب الصليبية بأحقادها ومطامعها وتخلف شعوبها آنذاك.

• وانظر إلى هذا التزوير العجيب لحقائق تلك الموقعة "فملك الروم هو الذي هاجم بلاد المسلمين "حلب وما حولها" وانتصر على أمرائها، ثم توجه بجيش كبير جدًا من الأوروبيين الذين وفدوا على بيزنطة، وكانوا يحملون الصليب رمزًا لحربهم المقدسة!! ولتعاونهم مع بني جلدتهم البيزنطيين"[2].

• **وكان السلطان (ألب أرسلان)**، من خيار الملوك، محبًا للعدل فيه رحمة وشفقة.

---

(١) جريدة الرياض، العدد «١٠٦٠١» في ٢٨/ ٢/ ١٤١٨هـ.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير / حوادث عام / ٤٦٤هـ/ دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٠هـ.

وكـان ملك الروم "أرمـانوس" قد اسـتـاء من قـوة السـلاجقـة وتوسعهم، فقـرر مهاجمة البلاد الإسلامـية، وهاجم مدينة حلب وما حولها، وانتصر عـلى أمرائها، ثم توجه شرقًا بجيش كبـير جدًا حشد في الآلاف من الروس والفـرنسيـين والبلغـار واليونان، وعـسكر في أقصى شـرق الأناضول، وكان مع ألب أرسـلان جيش صغـير، ولم يتوقع أنه سيلتقي مع الروم في هذا الحشد الكبير.

حاول ألب أرسلان أن يعقـد صلحًا مع "أرمانوس" ويتجنب هذا اللقـاء، ولكن أرمانوس كـان مـغرورًا بجـيشـه الضـخم فـرفض كل عروض الصلح، وقال لـرسول السلـطان (لن يتم الصلح إلا في الرّي (عاصمة السـلاجقة)" .

• ولذلك أعلـن "أرسـلان" بين جنوده أن الإسـلام في خطر، ودعاهـم إلى الاستـماتة في القـتال، ونصـحـه الفقـيه "مـحمـد بن عبدالملك البخاري" البدء بالقـتال وقت صلاة الجمعة، فلعل دعوات المسلمين في صلاتهم أن تصيبه.

أعد ألب أرسـلان نفسه للـموت، ونزل عن فرسـه وعفر وجـهه بالتراب، ودعا الله سبـحانه وتعالى، ثم حمل مع جنوده على الروم، وما هـي إلا ساعـات حتى منح الله النصـر للمسلمـين، فأسـر ملك

الروم، وجيء به إلى السلطان، الذي ضربه ووبخه، ثم افتدى نفسه وتم الصلح بين السلطان وملك الروم، على أن يتوقف القتال خمسين عامًا، وأن يرد الروم كل أسرى المسلمين.

وعندما أراد (أرمانوس) العودة إلى بلاده، أعطاه السلطان عشرة آلاف دينار لنفقة الطريق[1].

• هذه هي أخلاق المسلمين، في السلم والحرب، ولم تكن هذه المعركة المشؤومة، كما يصفها كاتب مشؤوم على بلاده!!.

• تعتبر هذه المعركة نقطة تحول في التاريخ الإسلامي، فهي التي يسرت القضاء على نفوذ الروم في معظم أجزاء الأناضول، وهذا الذي مهد الطريق بعد ذلك، ليفتحوا مدينة القسطنطينية.

• لقد تناول (خالص جلبي) الصفحات المشرقة في تاريخنا وراح يلطخها بالسواد، ويشحنها بالتشكيك والتزوير متجاوزًا كل حقائق التاريخ، لاهثًا وراء فكرة خيالية ليس لها في الواقع نصيب، فكرة اللاعنف والسلم الذليل، مما أوقعه في هذا المنزلق الخطير والتناقض العجيب.

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج٧/ ١٤٩، ووفيات الأعيان لابن خلكان، ج٢/ ١٢٨.

فتح القسطنطينية:

تاج الفتوحات الإسامية عام / ١٤٥٣هـ، وإحدى البشائر النبوية لذلك الفتح العظيم، وللقائد الفاتح المبارك.

إلا أن أصحاب اللاعنف الموهوم، وتعطيل حركات الجهاد المشروع، راحوا يشككون بهذا الفتح المبارك. فقال خالص جلبي في مقال له بعنوان: "**لا إكراه في السياسة**" ما يأتي:

"يفرح المسلمون بسقوط القسطنطينية، ولكن هناك من يذكرها مع الدموع، فهل كان فتحها إسلاميًا؟!!.

والمشكلة أنه لا يخطر في بالنا أن تاريخنا قد يكون في بعض صفحاته مربادًا أسود، كالكوز مجخّيًا!!"

• " إن السلطان محمد الفاتح، وفتح المدينة، **يذكر بشارون وهو يريد احتلال القدس**، وطرد أهلها منها.

وبغض النظر عن فظاعات الفتح وحجم النهب والسلب، والاغتصاب على يد الانكشارية، فإن أول ما فعله (**محمد الفاتح**)، أن وضع يده على أقدس مقدساتهم: أيا صوفيا، تلك التحفة التاريخية، ليحولها إلى مسجد. لم يكن هذا الفتح انتشارًا على منهج النبوة، بل اجتياحًا عسكريًا... ونسميه إسلاميًا؟!!"

"ولا تقف مشكلة الإكراه على صورة الفتح الفجة البدائية، بل آثارها المدمرة، حيث انطلق تنين أوروبي برتغالي إسباني، كرد فعل على حروب لا نهاية لها، في هذه الحافة المشؤومة...

"فليس لدينا قدرة على مراجعة تاريخنا، ولا نعتبر مثلاً أن معركة (صفين)، كانت كارثة توقف فيها المد الإسلامي الصحيح، وظهرت على السطح نسخة إسلامية مزورة، صادرت الحياة الراشدية، وتدثر الخليفة مرتاحًا بين الغلمان والحريم، بعباءة كسروية، وتحولت دولة "العدل" إلى إمبراطورية بيزنطية، تجتاح الممالك بالسيف"؟![1].

• هذه مقتطفات من مقال طويل، فيه كلام سقيم، ولغو ثقيل، اضطررت أن آخذ بعضه، وأترك أكثره، حتى لا أزعج القراء بهذا التضليل والتدليس، وقد كفاني مؤونة الرد على هذا المقال، **الدكتور عدنان رضا النحوي**، بمقال له بعنوان: "كلمة إلى السيد خالص جلبي".

يرد فيه على مقال الطبيب خالص جلبي الآنف الذكر، أنقل منه ما يناسب المقام:[2]

---

(١) الشرق الأوسط، العدد «٨٣١٠»، بعنوان: لا إكراه في السياسة في ٢٠٠١/٨/٢٩م.

(٢) مقال للدكتور عدنان النحوي، نشر في شبكة الأنترنت، وقد زودني كاتب المقال بنسخة خطية من المقال المذكور مشكورًا.

• ومن الغريب أن خالص جلبي يحزن لما يفرح به المسلمون أمثال هذه الفتوحات العظيمة، ولا يحزن للمجازر التي يقوم بها الأعداء ضد ديار المسلمين قديمًا وحديثًا.

يقول الدكتور عدنان النحوي:

على الدكتور خالص جلبي، أنْ يتقي الله وأن يدرس التاريخ الإسلامي بميزان العدل بعيدًا عن التزوير المتعمد، لا بميزان اليهود والنصارى.. وعليه أن يدرس سيرة السلطان محمد الفاتح بعناية. هذا وإن المغالاة بتصوير فتح القسطنطينية وتحويله إلى عملية ذبح وطرد للعلماء منها، محاولة غير عادلة.. لقد كان الفتح بشرى لأهل المدينة، وخيرًا كبيرا ًونجاة مما كانوا فيه من فتنة وظلم وضلال".

"الجهاد في الإسلام لا يلزم الناس على الإيمان به، فلا إكراه في الدين، ولكنه وسيلة لإزالة الحجب والعقبات، التي تحول دون أن يرى الناس نور الإسلام ليؤمنوا به.

وقد استبشر أهل القسطنطينية بعدل الفاتح، حتى قام أحد وزراء النصارى **"توتاراس"**، ينادي في شوارع إسلامبول قائلاً: "أود من سويداء قلبي أن أشاهد هنا، تاج السلطان محمد الفاتح، من أن أرى بها إكليل (بابا) أو قلنسوة كاردينال".

"وعسى أن يتلطف الكاتب "جلبي" بمراجعة معلوماته عن الإسلام أولاً، ثم عن فتح القسطنطينية.

فالإسلام كان فد فتح قلوب أهلها قبل أن يفتح الجيش المدينة، ومسح الإسلام الذي دخل القلوب تلك الدموع التي كانوا يذرفونها، ونحن نطمئن الكاتب (الجاحد) أن الفتح كان إسلاميًا يرضي الله ورسوله والمؤمنين، وأنقذ المظلومين المقهورين، الذين كانوا يصبون دموعهم قبل الفتح لا بعد الفتح".

"وقد قلت في هذا الفتح العظيم أبياتًا كثيرة منها:

كأنما فتحوا غلف القلوب بها ... فتحًا من الله لا فتحًا من القُضُب

قسطنطينية هذا النور فانتفضي ... وكبري واسجدي لله واقتربي

لولا فتوح رسول الله قلت هنا ... فتح الفتوح وهذي زهرة الغلب

تسابق الخلفاء المسلمون لها ... على الزمان سباق الصادق الأرب

فلم ينلها سوى هذا الفتى قدراً ... لله يمضيه في ترك وفي عرب

• ويكمل الدكتور النحوي كلامه قائلاً: 'ولقد ذهب الكاتب بعيداً وأساء كل الإساءة، وخالف العلم والحقائق، حين هبط فشبه محمد الفاتح حينًا بستالين وحينًا بشارون، عجبًا كل العجب! حتى لو وسوس له الشيطان بهذا الخطأ، لكان هنالك ألف سبب يمنعه من إطلاق هذه

الأقوال، وما كان الرجل يأخذ حقائق تاريخه من ظنون أعدائه، ويدع الحديث الشريف وتاريخ الصحابة، وحسبك أبو أيوب الأنصاري".

"وعلى كل حال سيظل هذا الفتح شرفًا لمحمد الفاتح، الذي من الله عليه بتحقيق بشرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يرويه (بشر بن سحيم) رضي الله عنه، في التاريخ الكبير للبخاري، وفي المستدرك للحاكم، وفي المسند للإمام أحمد "لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش جيشها".

ولذلك تسابق الخلفاء المسلمون إلى فتحها لينالوا تحقيق بشرى الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أبوابها استشهد أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه، لتحقيق بشرى مشرقة في التاريخ الإسلامي".

"إن تاريخ المسلمين لا يفهم بأسلوب يحمل الغيظ لكل خير يصيب المسلمين، والغيظ لكل أسى يصيب غيرهم".

"فالجريمة عند الكاتب أن يكون المسلمون قوة، يتبرأ من العنف لدى المسلمين، وليته يوجه كلامه للأمريكان والروس والأوروبيين".

"لقد جاء الإسلام ليجتث الكفر من الأرض حتى لا يلقى الناس في جهنم، من أجل أن تقر عينا كاتبنا اليوم بوقف الجهاد في سبيل الله .. لقد فرض الجهاد ليزيل الحجب والعقبات، التي تحول دون أن يرى

الناس نور الإسلام ليؤمنوا به، لإنقاذ البشرية من عذاب الآخرة".

«قد كانت الفتوح الإسلامية عملاً فريدًا في التاريخ البشري كله، كانت فتوحًا تحمل رسالة الله إلى خلقه وعباده، ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور.."

•" مهلاً أيها الكاتب! ليتك توجه كلمتك عن "العنف" إلى الطرف الآخر الذي ملأ الأرض مجازر ودمًا دفاقًا وأيتامًا وثكالى، ليتك توجه كلمتك لهم وتدرس تاريخهم وتنقده، ودعك من التاريخ الإسلامي، فميزانك في دراسته جائر غير عادل".

ليتك تطلب من كبار المعتدين (في الأرض اليوم) أن يوقفوا أسلحة الدمار الشامل التي يملكونها، فيهددون كل من تسول له نفسه بالنقد أو النصح.. أتكون الجريمة هي القوة لدى المسلمين؟! أما الآخرون فمباح لهم أن يملكوا كل سلاح ليفتكوا ويبيدوا قطيعًا من الأنعام تظل واقفة تنتظر الجزار ليذبحها؟!."[1].

•• وعموماً فإن الذين يتظاهرون بالظرف والوداعة، ويدعون إلى السلم الموهوم، يتغافلون عن أيدي الأعداء وقد لطخت بدماء إخوانهم وأخواتهم من أبناء المسلمين في فلسطين والبوسنة والشيشان

(١) الدكتور عدنان رضا النحوي، من مقاله يرد فيه على خالص جلبي.

وكشمير وفي كل مكان..

إن الذين يسعون - بعد كل ذلك - إلى قتل روح الجهاد بتأصيل تربية ذليلة خانعة تستسلم للعدو، وتدعو إلى الاستسلام، تحت حجج واهية بعيدة عن روح الإسلام وطبيعته وتاريخه.. هؤلاء أمرهم غريب، ومواقفهم باتت مريبة مفضوحة!"(١).

***

محمد الفاتح قائد مسلم يلبي الدعوة إلى الله، ويبلغها للناس كافة وسيرته سيرة مسطرة:

كان السلطان محمد الفاتح من الملوك الذين يهتمون بالعلم فأنشأ المدارس الكبيرة، كما عرف بحبه للعلماء، واستقدامهم من البلاد البعيدة، وكان يشاور العلماء ويحترمهم، قال بعد الفتح: "إنكم ترونني فرحًا، فرحي ليس لفتح هذه القلعة "استانبول" إن فرحي يتمثل بوجود شيخ عزيز الجانب في عهدي، وهو مؤدبي الشيخ محمد شمس الدين".

• وكان والده (**السلطان مراد**) قد عهد إلى علماء الحديث والفقه في زمنه تعليم ولده محمد الفاتح، القرآن والحديث والفقه، كما أنه تعلم

---

(١) ينظر: كتابنا «الحياة السياسية عند العرب دراسة مقارنة/ ص ٣٠٧/ ١٤١٤هـ.

التاريخ والرياضيات والعلوم العسكرية، وقد أتقن عدة لغات غير التركية.

وكان أحد مشايخه "الشيخ محمد بن حمزة" يذكره بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فتح القسطنطينية، ويرجو أن يكون فاتحها.

ومن مآثر السلطان الفاتح، أنه قد أعطى أهل المدينة الأمان، وبدأ بتعميرها، ونقل المسلمين إليها. هذه المدينة التي حاول خلفاء المسلمين فتحها لأهميتها وموقعها الممتاز، وبشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد حاول المسلمون فتحها في عهد معاوية رضي الله عنه، وفي عهد سليمان بن عبد الملك، وأيام الرشيد أيضًا - رحمهم الله جميعًا[١].

ورغم كل ما تقدم من أهمية هذا الفتح، فإن للعصرانيين رأيًا آخر حول هذا الفتح المبين، ومن عادة الدكتور خالص مثلاً أنه لا يترك فرصة تفرح المسلمين إلا ويحاول طمسها وتشويهها.. ولا قائدًا عظيمًا إلا ويحاول التعريض به. انظر إلى قوله في صلاح الدين الأيوبي: "كل حكام العالم العربي تقريبًا جاءوا عن طريق بوابة

(١) ينظر: كتاب «وذكرهم بأيام الله» للشيخ محمد العبدة/ ص ٤٥ - ٤٨ كتاب المنتدى / ١٤٢٣هـ.

الانقلابات العسكرية وفرض الآراء بالقوة المسلحة.

الاتحاد السوفيتي، والنازيون والفاشيون، وكذلك الأمويون والعباسيون.

وحتى صلاح الدين الأيوبي، فقد أخذوا السلطة بالقوة المسلحة والغلبة"[١].

ثم يقول معرضًا بصلاح الدين الأيوبي، وبالأيوبيين عمومًا: «لقد كنت يومًا في حارة عتيقة في دمشق، فدخلت مسجدًا أصلي ففوجئت بقبر كان لأم صلاح الدين، ولكن المفاجأة الحقيقية كانت خارج المسجد، حيث وقعت عيني على أثر تاريخي للأمراء الأيوبيين، وقد تحول إلى (مبولة)!!، فكل مَنْ احتقنت مثانته جاء فبال هناك، وقلت لو لم يكن قبر الخاتون «السيدة» في الداخل، لأصبح أكثر من مبولة، فهذه هي مصائر الجبارين»[٢].

• فهل كان ذنب السلطان صلاح الدين، هو طرده للصليبيين الغزاة من ديار المسلمين؟! وهل هذا من الأدب في حق رموز تاريخنا من

---

(١) ملحق الرسالة بجريدة المدينة: خالص جلبي، الحلقة الثانية/ في ٣/ ٩/ ١٤٢٣هـ.

(٢) الزلزال العراقي: خالص جلبي/ ص١٤٣.

الأموات الذين أفضوا إلى ربهم؟!

قال مؤرخ تلك الفترة - فترة الغزو الصليبي لديار المسلمين - أبو شامة المقدسي: «وأطربني ما رأيت من آثار نور الدين وما سمعت من أخباره مع تأخر زمانه، ثم وقفت بعد ذلك على سيرة الملك الناصر صلاح الدين، فوجدتهما في المتأخرين كالعُمرَيْن في المتقدمين»(١).

هكذا يكتب تاريخ المسلمين، بموضوعية ونزاهة، بعيدًا عن التشنج والأحقاد الشعوبية.

•• وانظر إلى ما يقوله جلبي عن هارون الرشيد، الذين كان يغزو سنة ويحج سنة: «وفي يوم تربع الخليفة العباسي هارون الرشد بين الغلمان والحريم وهم يرقصون حوله، فمرت سحابة فتناول خصلة من العنب فمضغها ثم خاطب السحابة بسخرية قائلاً: وليّ حينما تولين ففي النهاية سيأتيني خراجك»(٢).

•• وإنه لأمر غريب أن يكون الجلبي مولعًا إلى هذا الحد بشتم المسلمين والعرب خاصة، حتى أن الصفحات الناصعة قد تحولت عنده إلى صفحات سوداء قاتمة، فلا نجد إلا الشتم والغمز واللمز،

---

(١) الروضين: ج١/ ص٣ - ٤ المقدمة / طبعة بيروت.

(٢) الزلزال العراقي/ ص ١٠٤.

بعيداً عن أمانة المؤرخ، وصدق الكلمة، فها هو يشتم الفترات الذهبية من عهد بني أمية ودولة بني العباس، ناهيك عن الأيوبيين والمماليك، وصلاح الدين خاصة، ذلك القائد المعروف بتسامحه حتى مع أعدائه، ثم يعتبره من الجباريين؟!

والحقيقة أن نظرة الطبيب الجراح كانت جارحة وخطيرة مع تاريخ أمتنا على امتداده، فكأن الكاتب لم يجد حسنة واحدة في هذا التاريخ ليشيد فيها وينقلها بصدق؟!

لقد فاق بهذا التعريض والشتم أساليب المستشرقين والمنصّرين والشعوبيين، على يد هذا المفكر العصراني!! الطبيب الجراح خالص جلبي.

• وبعد كل هذا فأصدق كلمة تقال في هؤلاء المشككين، ما قاله القدماء: «ولا أحد أخس بمن يتتبع القبيح، ليستخرجه من بين ظهراني الحسن».

***

«٣» طبيعة الفتوحات الإسلامية[(١)]

ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب.

هذا ما شهد به الأعداء، من عدل ورحمة، من خلال كتائب الإيمان وهي تنشر نور الإسلام بين الأمم.

يقول غوستاف لوبون: "ما عرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب" ويقول توماس أرنولد في كتابه: الدعوة إلى الإسلام، عن عدل المسلمين في البلاد المفتوحة.

"ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في (فحل)، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمين! أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، وأنتم أوفى لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا على أمرنا، وعلى منازلنا".

"وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم"[(٢)].

---

(١) ينظر: كتابنا، الحياة السياسة عند العرب/ ص ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٢) كتاب الدعوة إلى الإسلام: المستشرق أرنولد، ص ٧٣، نقلاً عن الأزدي والبلاذري.

• هذه هي الحرب المشروعة في الإسلام، وقد أبطل الإسلام حروب التشفي والتخريب والتدمير والتنافس، في مجالات الاقتصاد والسياسة.. مما تجعله الأمم الجاهلية - قديمًا وحديثًا - سببا لحروبها البشعة التي نشاهد لها أمثلة كثيرة في هذا العصر.

ومن المعروف أن القائد المسلم ينذر العدو بالدعوة إلى الإسلام أولاً، وإلا فالجزية، وإن رفضوا استعان المسلمون بالله وقاتلوهم، مع تجنب قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتحريق النخل، وهذا ما أوصى به أبو بكر الصديق رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان، لما أرسله فاتحًا وقائدًا لأحد الجيوش الفاتحة المتوجهة نحو الشام.

كان الإسلام في فتوحاته، رائد رحمة وعدل، وما حمل المسلمون السيف لإكراه الناس على اعتناقه، وإنما ليقرر حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة، ولإزالة العقبات من طريق الدعوة.

وهذا ما أخاف الأعداء من عقيدة الجهاد، فخدعوا بعض المتباكين من أبناء المسلمين، وأوهموهم أن الدين الحق لا ينتشر بالسيف وإنما عن طريق الاقتناع والاختيار، فقام المستشرقون وأتباعهم من أبناء المسلمين يشككون في مفهوم الجهاد عند المسلمين، ويهاجمون أنقى الفتوحات التي سجلها التاريخ[١].

---

(١) انتهى الاقتباس من كتاب: الحياة السياسية عند العرب.

• • وعـمومًـا فلا بـد من عرض التـاريخ الإسـلامي بعيـدًا عن افتراءات الأعـداء من مستشرقين وعلمـانيين، وهذا العـرض لا يمكن أن يتهيأ، إلا إذا كان من مـنطلق إسلامي، وبقلم من يقف في المركز الإسلامي، ويطل على الحيـاة الإسـلامية، ويعيش بكل كيانه في جو الإسـلام، وذلك يعني منتـهى الإنـصـاف، ورائدنا هو التـوصل إلى الحقيقة، ولا يصـح مثلاً أن نأخذ تاريخـنا من كتابات جـورجي زيدان أو فـيليب حـتي، أو سـاطع الحـصـري، ولا بأسلوب المـبـشـرين المتعصبين ولا المستشرقين[1].

ويندرج تحت مظلة هؤلاء: العلـمانيـون والعصـرانيون وخـاصة العصرانيـون الماديون، وفيما سلـف وجدنا شواهد متحـاملة وحاقدة على أروع الفتـوحات الإسـلامية، بنقـائها وصفـائها ونشـرها للعدل والمساواة نور الإسلام.

ولكن العلمانيين والعصرانيين لا يفقهون.

❁ ❁ ❁

---

(١) نظرات في التاريخ الإسلامـي: د. عبد الرحمن الحجي/ دار الاعـتصام، (ص٤٩ - ٥٠) بإيجاز، عام/ ١٩٧٥م.

الفصل الثاني

التطاول على الصحابة والسلف

١ - التطاول على الصحابة هو منهج الفرق الضالة.

٢- فضل الصحابة وحكم من يشكك بعدالتهم.

٣- مكانة الصحابة ووجوب اتباعهم.

٤- منهج السلف فيما شجر بين الصحابة.

٥- التطاول على مقام النبوة والأنبياء.



الفصل الثاني
التطاول على الصحابة والسلف

« ١ » التطاول على الصحابة هو منهج الفرق الضالة

التطاول على الصحابة هو منهج الفرق الضالة قديمًا وحديثًا، وذلك بغرض التشكيك بما يحملونه من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما يروونه من أحاديث، ليستقيم لهم بعد ذلك تأويل النصوص الشرعية أو تحريفها وتعطيلها.

وهذا ما وقع فيه المعتزلة والقدرية وكذلك الرافضة والخوارج.

فالمعتزلة: تطاولوا على أصحاب رسول الله، لأن الأحاديث التي يروونها تناقض أصولهم.

فهذا عمرو بن عبيد أحد كبرائهم يقول: "والله لو أن عليًا وعثمان وطلحة والزبير، شهدوا عندي على شراك نعل ما أجزته".

وقال عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - : "ما تصنع بسمرة قبح الله سمرة"[1].

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، ج١٢/ ص١٧٦ - ١٧٨، نشر المكتبة السلفية في المدينة المنورة.

قبح الله المتطاولين صحاب الضلالة، ورضي الله عن صحابة رسول الله الذين نشروا دينه، وحفظوا سنة نبيه، رغم أنف ابن عبيد ومن سار على نهجه من المبتدعة المعاصرين.

• ومن ثم فقد ولغ بعض ضالي المعتزلة في أعراض الصحابة خلال الفتنة (فتنة الجمل وصفين)، فزعم كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد: "أن إحدى الطائفتين يوم الجمل فاسقة، ولا تقبل شهادتهم"[(١)].

• لقد كذَّب المعتزلة والمبتدعة النصوص النبوية الصريحة، وجرحوا رواتها، ولجأوا إلى التأويل بأوسع أبوابه، وحرفوا الكلم عن مواضعه، واختاروا من الآيات الكريمة ما يوافق رأيهم، وضربوا بعرض الحائط كل تفسير أو قول، لا يوافق آراءهم[(٢)].

• وكانت الفرق الغالية كالسبئية والكيسانية تتقرب إلى الله بسب أعلام الصحابة وأمهات المؤمنين.

وقد تستروا وراء كل واجهة خداعة للوصول إلى أهدافهم، ومن ثم توصلوا إلى تأسيس عدة دول تكيد للمسلمين.

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادي / ص ١٢٠.

(٢) ينظر: منهج المدرسة العقلية في التفسير، د. فهد الرومي/ ص٥٥ وما بعدها - مؤسسة الرسالة عام/ ١٤١٤هـ.

ومن هؤلاء القرامطة والعبيديون "الفاطميون".

ومن المعلوم أن الفرق الباطنية، كان مؤسسوها من المجوس كالبهائية والدروز والنصيرية.

وقد سار على منهج المعتزلة في التطاول على الصحابة، أتباع المدرسة المادية المعاصرة، وحاولوا التقليل من شأن اتّباعهم بكل وسيلة، وفيما يلي نماذج من أقوالهم.

••• يقول جودت سعيد: " إن ذكر بعض أسماء الصحابة الكبيرة المخطئة، أمر يدعو إلى أن تحمر له الأحداق وتنتفخ له الأوداج، لأن الدخول في هذا الموضوع يُفْقَد فيه العقل والسيطرة، وتبدأ العواطف بالعمل "(١).

• فالشيخ جودت يعتبر أن من يتأدب مع الصحابة، أو من يتوقف عن النيل منهم، بأنه أبطل العقل وعمل بالعاطفة، وقد غفل جودت وأمثاله عن حقيقة مجتمع الصحابة، وكيف كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكيف أن الوحي كان يصحح مواقفهم، لتكون الأسوة الحسنة لمن بعدهم، وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو راض عنهم.

---

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم/ جودت سعيد/ ص ٢٤٦.

وقد رضي الله عنهم خلال قوله تعالى: "رضي الله عنهم ورضوا عنه".

•• والذي عليه أهل السُّنة والجماعة، أن الصحابة عدول، ولا يجوز القدح فيهم ولا تجريحهم، ولم يطعن بالصحابة سوى الفرق الضالة، ناهيك عن الفلاسفة وعلماء الاجتماع الوضعيين وأمثالهم[(١)].

••• ويحذر الشيخ جودت من آفة اتباع الآباء، خلال تعريضه بالسلف فيقول: "على المسلم أن لا يضع الآباء المسلمين، المتقدمين منهم والمتأخرين مكان القواعد والسنن، مهما أحسنا الظن فيهم".

ويقول أيضًا: "إن ضغط إرهاب القرون الماضية في الفكر، هو سيف مسلط على رؤوسنا، وإزالة هذا الكابوس لن يتم إلا بجهود عظيمة من الدأب في الدرس والسير في الأرض، ويقول: "وربما كان ما أصيب به المسلمون من الجمود على رأي الآباء، أقوى من جمود غيرهم من الأقوام، لأن الآباء حلوا محل الآيات، سواء آيات الكتاب، أو آيات الآفاق والأنفس"[(٢)].

---

(١) النزعة المادية: عادل التل، ص ٢٦١، بتصرف بسيط.

(٢) ينظر حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد، ص ٢١٤ - ٢٢٩.

• فالاقتداء بنهج الصحابة والسلف الصالح، لا يمثل الآبائية وإن الاقتداء بالمجتمع الأول كنموذج لجيل عظيم، تربى على منهج القرآن، وتحت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم، لا يمثل انحرافًا كما يزعم أصحاب المنهج المادي.

فنحن نتابعهم في منهج تفكيرهم، واعتمادهم على الكتاب والسُّنة، كمنهج للحياة، فكأن الدعوة إلى استئناف الحياة الإسلامية على أساس النصوص الشرعية، تخلف في أمور المعاش، لكن ما يدعو إليه الشيخ جودت سعيد، هو دعوة إلى التخلص من مفهوم السلف والنماذج الصالحة[1].

• ويستمر جودت سعيد في التعريض والتشكيك بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فيتحدث عن شخصية (أبي ذر رضي الله عنه) كنموذج للديمقراطية، وأن الصحابة لم يلتزموا بها.

يقول: "هكذا كان أبو ذر يعارض المخالفين، حتى نفي ومات وهو منفي.. فالمسلمون سواء في زمن أبي ذر أو الآن، لم يفهموا

(١) النزعة المادية في العالم الإسلامي ص ٢٦٣ - ٢٦٤؛ بإيجاز.

هذا جيداً، وكان عليهم أن يلتحقوا بأبي ذر"[١].

• فجميع الصحابة في نظر جودت، لم يفهموا الأصول الصحيحة باستثناء واحد منهم فقط، هو أبو ذر!!.

كيف يتجرأ هذا الرجل على جيل الصحابة بهذا الاتهام، والله سبحانه يقول فيهم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ [المجادلة: ٢٢].

• فعلى كل مسلم أن يتأدب مع الصحابة ويحترمهم، وأبو ذر لم يكن معارضاً ولا مخالفاً، وإنما تكلم بواجب النصيحة، ولم يكن الصحابة من المخالفين لشرع الله، كما يزعم جودت سعيد.

لقد التزم أبو ذر بطاعة أمير المؤمنين - عثمان رضي الله عنه - حين أمره بالاعتزال في الربذة.. وكان أبو ذر من فضلاء الصحابة، وإن كان في الصحابة من هو أفضل منه، كالخليفة الراشد عثمان، وكذلك علي بن أبي طالب، وغيرهما من المبشرين بالجنة، رضي الله عنهم أجمعين[٢].

---

(١) رسالة انظروا «٤٣» لجودت سعيد/ ص ٥.

(٢) النزعة المادية في العالم الإسلامي: الأستاذ عادل التل/ ص ٢٤٦.

• **أما الاستهزاء بعامة المسلمين**: فلا يخلو مقال لجودت أو خالص من توجيه النقد لعامة المسلمين، أو خاصتهم، والاستهزاء بما يقلل من شأنهم.

فهم يضربون الأمثلة للغض من أهل الإسلام، مقابل مدح أهل الكفر وتكريمهم، يقول جودت سعيد:

"إننا نضحك من النعامة حين تدفن رأسها، وتقع في الفخ من جراء تصرفها الغبي، ولكن هل لدينا القدرة أن نرى النماذج الرفيعة من رجال العالم الإسلامي، يقعون في مثل هذا الخطأ، حين يدفنون عقولهم ويبرزون عواطفهم"(١).

ثم يقول: "إننا نحن المسلمين مصابون بعمى ألوان فكري، لا ندرك بسببه كثيراً من الأفكار، ثم ذكر قوله تعالى: ﴿ **فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ** ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحج: ٤٦] "فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور".

وهذا ما يصدم المسلم الذي رسخ في فكره، أن عمى القلوب خاص بالكافر، وكأن المسلم يملك المناعة لمجرد انتسابه إلى الإسلام، إن هذه

---

(١) كتاب العمل قدرة وإرادة : جودت سعيد/ ص ١١٢.

السذاجة هي نفسها من أبرز مظاهر عمى القلوب"[١].

• • ويتابع الطبيب خالص جلبي شيخه في الهجوم على الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) بما تقشعر له الأبدان، ويتطاول بشكل خاص على معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما.

يقول: "وشخصيات هامشية في الثورة الإسلامية الأولى، من طراز عمرو بن العاص ومعاوية، حرفت مسيرة الخلافة الراشدة "١٨٠ درجة"[٢].

ويقول أيضًا: "عند ما يقلب معاوية الوضع الراشدي لبناء دولة بيزنطية، كان سيحدث ولا مفر منه، ومسخ الخلافة الراشدة بالتآمر الأموي، كان سيتم، ولا راد لقضاء الله، لأن هذا هو منطلق الأحداث، وسيرها الحتمي"[٣].

• ويستمر خالص في الدس الرخيص فيقول: "ما نريده من الناس هو الدخول في السلم، لأن من يؤمن بالعنف، قد يتقرب بدم أقرب الناس إليه، وهو ما فعله المسلمون قديمًا مع عثمان

---

(١) العمل قدرة وإرادة ص ١١٢.

(٢) جريدة الرياض العدد (١٠٤٤٠)، في ١٤/٩/١٤١٧هـ.

(٣) جريدة الرياض العدد (١٠٤٢٦)، في ٣٠/٨/١٤١٧هـ.

وعلي رضي اللّه عنهما"[١].

ثم يقول: "فالصحابة - رضي الله عنهم - فشلوا وبوقت مبكر في المحافظة على المجتمع الإسلامي، الذي بناه لهم رسول الله صلى الله علين وسلم، بعد كل تعب وعناء"[٢].

• فكلام جلبي السابق، هو كلام من لا يفهم تاريخ المسلمين، ولا يعرف حقيقة ذلك المجتمع النقي، فالصحابة وأبناء الصحابة عمومًا، كانوا يدافعون عن عثمان رضي الله عنه، إلا أن الخليفة رفض أن تراق الدماء من أجله تورعًا، وكان الثوار من أوباش السبئية وأخلاط الناس، الذين وفدوا على المدينة مخدوعين برؤوس الفتنة والضلال، وحبذا لو يرجع الدكتور الطبيب، الجاهل في تاريخ أمته، والمتحامل على فترة خير القرون، إلى الكتب المعتمدة في تاريخنا، عسى أن يعرف الحقيقة، قبل أن يخبط خبط عشواء، مستلهمًا أقوال الحاقدين على الإسلام وأهله.

• وفي الفقرة القادمين سنذكر فضل الصحابة وحكم من يشكك بعدالتهم.

---

(١) سيكولوجية العنف / خالص جلبي ص ١٣٣.

(٢) السابق ص ٣٤.

« ٢ » فضل الصحابة وحكم من يشكك بعدالتهم

طريق الصحابة هو الطريق السوي، لأنه طريق الحق، الذي سار فيه ذلك الجيل الفريد، متبعًا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم...

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالآية تفيد أن طريق الحق واحدة، وأن للباطل طرقًا متعددة لا واحدة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (**خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطًا، فقال: "هذا سبيل الله"، ثم خط لنا خطوطًا عن يمينه ويساره، وقال: "هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه)**. ثم تلا الآية السابقة[(١)].

• وقد وردت نصوص كثيرة في فضل الصحابة، سواء في كتاب الله أو سنة رسوله، فأفرد البخاري ومسلم وأصحاب السنن فصولاً كاملة حول فضل الصحابة، ووجوب التزام منهجهم، ولزوم طريقتهم في مواجهة أهل الضلالة، من أصحاب الفرق المنحرفة،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك: ج٢/٣١٨، ورواه الإمام أحمد وصححه الشيخ أحمد شاكر برقم (٤١٤٢).

كالمعتزلة والرافضة والخوارج. يقول تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

• وقد بين لنا الرسول صلى الله عليه وسلم الخيرية في القرون الأولى بقوله: (**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**)[١].

وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

• وقد دعا النبي هذه الأمة إلى الاقتداء بسنته وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعده بقوله: (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة... عليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء المهدين الراشدين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ**)[٢].

•• أما التطاول على معاوية رضي الله عنه وعمرو بن العاص من قبل الرافضة والباطنية، ومن سار على طريقهم فهو انحراف وضلال.

---

(١) متفق عليه، واللفظ للبخاري، برقم (٣٦٥١).

(٢) أخرجه أبو داود، برقم: (٤٦٠٧)، والترمذي وغيرهما.

ولمعاوية رضي الله عنه فضائل ومناقب، ذكرها العلماء الثقات فقد ألف ابن حجر المكي كتابًا جليلاً في مناقبه رضي الله عنه، بعنوان "تطهير الجنان واللسان عن التفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان مع المدح الجلي وإثبات الحق لمولانا أمير المؤمنين علي". وهو ما يقارب مائتي صفحة.

• • وفي كتاب المناقب جاء في فتح الباري: أن ابن أبي عاصم، صنف جزءًا في مناقبه.

كيف لا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يطاولون في فضلهم، فلو أنفق غيرهم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[(١)].

• وجاء في الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم في حق معاوية: **(اللَّهم اجعله هاديًا مهديًا واهد به)**[(٢)].

• ومن فضائل معاوية رضي الله عنه: "أنه روى عن رسول الله

---

(١) انظر كتاب: صف العذب على مَنْ سب الأصحاب، للعلامة محمود شكري الألوسي، دراسة وتحقيق عبد الله البخاري، ص ٤٢٥ - ٤٢٦، مكتبة أضواء السلف بالرياض ١٤١٧هـ.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم (١٩٦٩)، وقال رحمه الله: «رجاله كلهم ثقات، رجال مسلم».

مائة حديث وثلاثة وستين حديثًا".

اتفق البخاري ومسلم على أربعة، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بخمسة[(١)].

•• وعمومًا فإن دولة بني أمية، تتميز مع دولة الخلفاء الراشدين بالفتوحات الكبرى، مع وحدة الدولة وقوة سلطان الخلفاء[(٢)].

• **أما عمرو بن العاص رضي الله عنه**: فقد ثبت أنه لما أسلم، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقر به ويدنيه، وولاه غزوة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، ثم استعمله على عُمان، فمات رسول الله وهو أميرها"[(٣)].

• وكان رضي الله عنه، من أمراء الأجناد في الجهاد في الشام زمن عمر وأبي بكر رضي الله عنهما، وهو الذي فتح مصر[(٤)].

• فهؤلاء هم الصحابة الذين يشتمهم خالص جلبي وشيخه،

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج٣/ ص١٦٢.
(٢) المدخل إلى علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي/ ص ٥٠.
(٣) انظر الإصابة لابن حجر العسقلاني، ج٣/ ص٣، دار الكتاب العربي - بيروت - وسير أعلام النبلاء: ج٣/ ص ٦٩.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير، ج٧/ ص٩٩، وكتاب: صب العذاب على من سب الأصحاب للألوسي/ ص ٤٥١.

وانظر إلى أقوال الأئمة الأعلام فيهم، وفي بقية الصحابة رضي الله عنهم في كتب الحديث وأعلام الرجال.

حكم من ينتقص الصحابة أو يشكك بعدالتهم:

- قال أبو زرعة الرازي - رحمه الله - ":إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه زنديق . . . وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسُّنة، والجرح بهم أولى، وهم الزنادقة"[(١)].

- وقال الإمام أحمد - رحمه الله - : "إذا رأيت أحدًا يذكر أصحاب رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام".

وقال أيضًا في كتابه السُّنة: "ومن السُّنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله كلهم أجمعين، والكف عن الذي جرى بينهم، فمن سب أصحاب رسول الله أو واحدًا منهم، فهو مبتدع رافضي، ولا يجوز لأحد أن يذكر شيئًا من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم".

• وجاء في العقيدة الطحاوية: "ونحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير"[(٢)].

---

(١) الكفاية للخطيب البغدادي ص ٩٧.

(٢) العقيدة الطحاوية ص ٤٦٧.

• هذه أقوال الأئمة الأعلام، أما أقوال المفتونين بمذاهب الضلالة، والمتبعين لآراء الفلاسفة والفرق الضالة، فلا يعتد بها ولا يلتفت إليها.

• ويقول ابن تيمية - رحمه الله - :

"إذا ظهر مبتدع يقدح في الصحابة بالباطل، فلا بد من الذب عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل"[١].

• لأن فضل الصحبة لا يدانيه فضل. قال عليه الصلاة والسلام: **(لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه)**[٢].

***

(١) منهاج السُّنة لابن تيمية/ ج٦/ ص ٢٥٤.

(٢) رواه الإمام مسلم: ج٤ برقم (٢٥٤٠).

«٣» مكانة الصحابة وضرورة اتباعهم

لأصحاب رسول الله فضل لا يدانيه فضل، فقد عايشو التنزيل، ونقلوا إلينا السُّنَّة. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم.

كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبًا وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على أثرهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"[١].

• وقال الأوزاعي - رحمه الله - : "اصبر نفسك على السُّنَّة، وقف حيث وقف القوم، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم، وقل كما قالوا، وكف عما كفوا... وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين اختارهم له، وبعثه فيهم، ووصفهم، فقال: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ﴾ [الفتح: ٢٩][٢].

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ج٢/ ٩٧.

(٢) انظر أعلام الموقعين لابن القيم: ج٤/ ١٩٢ - ١٩٤/ طبعة مكتبة ابن تيمية.

• وقال الفضيل بن عياض: "اتبع طريق الهدى، ولا يضيرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين"(١).

• وكتب سيد قطب عن مجتمع الصحابة فقال: "هناك ظاهرة تاريخية، ينبغي أن يقف أمامها أصحاب الدعوة الإسلامية في كل أرض وفي كل زمان، ذلك أنها ذات أثر حاسم في منهج الدعوة واتجاهاتها، لقد خرجت هذه الدعوة جيلاً من الناس، جيل الصحابة رضي الله عنهم، جيلاً مميزًا في تاريخ الإسلام كله، وفي تاريخ البشرية جمعاء، ثم لم تعد تخرّج هذا الطراز مرة أخرى...

نعم وجد أفراد من ذلك الطراز على مدار التاريخ، ولكن لم يحدث قط أن تجمع مثل ذلك العدد الضخم، في مكان واحد، كما وقع في الفترة الأولى من حياة هذه الدعوة"(٢).

•• ورغم كل هذا الفضل والتألق لجيل الصحابة، فإن جودت سعيد وأتباع المنهج المادي، الذين ما زالوا يؤمنون بمراحل التاريخ، ينظرون إلى الفترة الزمنية المعاصرة للنبي وأصحابه، على أنها تمثل مرحلة بدائية، أو ما يطلقون عليها "المرحلة الطفولية" من حياة

(١) الاعتصام للإمام الشاطبي/ ج١ ص ١١٢.
(٢) معالم في الطريق: فصل: جيل قرآني فريد ص ١١.

البشرية، لذلك فهم يعتبرن أن هذه المرحلة لا تصلح أن تكون نموذجًا صالحًا للاقتداء.

وقد لاحظنا ذلك خلال حديثنا عن تأثر جودت سعيد بعلم الاجتماع الوضعي[١].

• وينادي بهذا التوجه عدد من المنحرفين المفتونين بحضارة الغرب المادية والمناهج الفلسفية الضالة، من هؤلاء:-

• **الدكتور محمد عابد الأنصاري**: في كتابه "الخطاب العربي المعاصر"[٢].

ويشيد جودت سعيد بآراء الجابري وانحرافاته في كتابه "أقرأ وربك الأكرم".

فكلاهما ينكر على المسلمين، أن يكون لهم نموذج صالح من السلف، يتخذونه أصلاً، ويرفضون التعامل مع هذا النموذج، وقد التمسوا لهم طريقًا في الفلسفة المادية[٣].

---

(١) النزعة المادية لعادل التل/ ص ٢٦٦، وينظر الباب الأول من هذا الكتاب.

(٢) الجابري كاتب مغربي له توجه قومي من أتباع المدرسة الفلسفية، اهتم بدراسة التراث من خلال أفكاره الفلسفية، وهو يدعو إلى الابتعاد عن منهج السلف.

(٣) انظر: كتاب جودت سعيد «اقرأ وربك الأكرم» ص ٤٢ - ٤٣.

• ومنهم الكاتب المغربي، "**محمد أركون**"، فهو يهدف إلى إحداث قطيعة جذرية مع الدراسات الإسلامية، في عدد من كتبه التي تنحو منحًا متحرراً من سلطة النص الشرعي، وتعبر عن هزيمة فكرية حادة[١].

• ومن هؤلاء الدكتور حسن حنفي وطيب تيزيني، والدكتور محمد شحرور: في كتابه (الكتاب والقرآن)، قراءة معاصرة[٢].

***

(١) ينظر مجلة البيان، العدد (١٧٩)، محمد بوراس/ رجب /١٤٢٣هـ.

(٢) ينظر: التحريف المعاصر في الدين للشيخ عبد الرحمن حبنكة الميداني/ طبعة دار القلم.

« ٤ » منهج السلف فيما شجر بين الصحابة

خاض العصرانيون (في حرب صفين)، وتطاولوا على الصحابة الذين اشتركوا فيها، وفي موقعة الجمل "فهم يتابعون أهل الأهواء والبدع، في السعي حثيثًا لنشر ما حصل بين الصحابة، ولا سيما الرافضة والخوارج والعلمانيون وأمثالهم، بغية قذف المتشابهات في قلوب المسلمين، حتى تتزعزع عقائدهم بعامة، ونظرتهم إلى الصحابة خاصة"[(١)].

• " ولذلك كان من الخطأ أن نجعل من التاريخ مادة سهلة ومرتعًا خصبًا لكل من هب ودب".

فهناك أصول وقواعد للبحث العلمي عند المسلمين، وخاصة فيما وقع بين الصحابة، حتى لا تكون أخبار الفتنة عونًا للمستشرقين والحاقدين على الإسلام وعلمائه، فيما نشروه من دراسات عن التاريخ الإسلامي، حتى أخفوا معالمه الأساسية، وأظهروه في صورة قاتمة شوهاء، لا تزيد على كونها صراعًا على السلطة وتكالبًا على

---

(١) ينظر: كتاب تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة «ص٦»، للشيخ ذياب ابن سعد آل حمدان الغامدي، مكتبة المورد، عام ١٤٢٣هـ.

الشهوات، وفسروا التاريخ الإسلامي كما يحلو لهم تفسيراً ماديًا، أو قوميًا علمانيًا"[١].

وقد تقمص العصرانيون (والعلمانيون) هذا المنهج في التزوير والتشكيك، كما لاحظنا ذلك في المباحث السابقة.

• وقد أجمع أهل السُّنة قاطبة على الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، والسكوت عما حصل بينهم من قتال وحروب، لما لذلك من أثر سيء في إيغار الصدور عليهم، وسوء الظن بما يقلل من الثقة بهم[٢].

• • وأهل السُّنة والجماعة، يترحمون على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، صغيرهم وكبيرهم، وأولهم وآخرهم، ويذكرون محاسنهم، وينشرون فضائلهم، ويقتدون بهديهم، ويقتفون آثارهم، ويعتقدون أن الحق في كل ما قالوه، والصواب فيما فعلوه[٣].

***

---

(١) منهج كتابة التاريخ الإسلامي، د. محمد بن صامل السلمي، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.
(٢) تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة: ذياب الغامدي ص ٥٧ - ٥٨.
(٣) الشرح والإبانة على أصول السُّنة والديانة لابن بطة، ص ٢٦٤ - ٢٦٥.

«٥» التطاول على مقام النبوة والأنبياء

لم يكتف أتباع المدرسة المادية بالتطاول على الصحابة والسلف، وإنما تجاوزوا الحد إلى سوء الأدب في حق النبوة والأنبياء.

فقد قالوا: "بانتهاء النبوة، ووضع البدائل عنها"[١].

• ثم صوروا للناس أن فترة النبوات هي فترة "طفولة البشرية" وأن ذلك العهد كان متخلفًا جدًا، حيث لا يوجد حبة أسبرين واحدة، وهناك المساكن والشوارع القذرة، التي تفوح منها الروائح الكريهة، مع انتشار الأمراض واللصوص في كل مكان... فطبيعة التاريخ تقدمية"[٢].

• ويعتبر خالص جلبي أن النبي نوح عليه السلام "قد فشل في مهمة تغيير المجتمع، على الرغم من كثافة الجهد، مع طول الزمن المبذول"[٣].

ثم يقول: "لقد فشل (نوح عليه السلام) في عملية التغيير الاجتماعية، أمامنا إذن إمكانية الفشل في تغيير المجتمع وتولي

---

(١) انظر: الباب الثاني من هذا الكتاب (القول بانتهاء النبوة).

(٢) جريدة الشرق الأوسط، في ٢٢/ ٤/ ١٤٢٣هـ، من مقال لخالص جلبي.

(٣) النقد الذاتي: خالص جلبي/ ٧١.

قيادته، كما حدث لنوح (عليه السلام)، مع أنه دعا فيه ما يزيد على تسعة قرون" "**فقصة نوح تمثل مرحلة بدائية من التاريخ البشري؟!** ومستوى معينًا من التطور البشري، تظاهرت بشكل حالة استعصاء اجتماعية مزمنة... فالذي حصل أن جسم البشرية أجريت عليه عملية جراحية هائلة، ألقت ما فسد منه، ثم بوشر ببناء جديد للإنسانية"[١].

• إن ما سبق سوء أدب وكلام شنيع بحق نبي الله الذي قام بما كلفه الله به، وهو تبليغ الرسالة لقومه كما قال سبحانه: "وما على الرسول إلا البلاغ المبين" وهذه هي مهمة الرسل، فقد أدوها بنجاح لا فشل فيه، أما هداية الخلق فليست من مهماتهم: "ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء".

• • وانظر إلى هذا التطاول من جودت سعيد خلال تعليقه على قصة نوح عليه السلام مع قومه فقال:

"ليس المهم أن نحل لمسلم اليوم شبهاته في دعوة نوح كقول القائل: "علي أن أسعى وليس عليّ إدراك النجاح فاعتقاد المسلمين بأن النجاح ليس نتيجة حتمية للسعي الصالح، هو من أشد المعوقات

---

(١) المرجع السابق/ ص ٧٧ - ٧٨.

التي تمنع المسلمين من مراجعة أعمالهم ونقدها، لأنهم لا يفرضون فيها الخطأ، بل يفرضون أنها كانت صائبة، ولكن لم تأت النتيجة المطلوبة لأمر أراده الله.

إن مواجهة هذه النقطة أمر جوهري، لتحويل نظر المسلم في رؤية سبب الإخفاق"[١].

• **ويقول خالص جلبي متحدثًا عن فشل الرسول صلى الله عليه وسلم، في مهمته في مكة والطائف** كما يزعم، ونجاحه بها في المدينة المنورة. . انظر إلى تعبيراته السوقية حينما يقول: "فحين فشل في اختراق مجتمع مكة والطائف، نجح في نشر دعوته في أهل يثرب، حتى تفشى الإسلام في مجتمع المدينة، لكنه لم يذهب إليهم على ظهر المدافع والدبابات !!"[٢].

• فحقيقة النبوة أنها رسالة يبلغها النبي بأمر من ربه، وبوحي من السماء، وليس عليه إلا البلاغ، وهداية البشر بيد الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى مخاطبًا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ**

---

(١) العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد/ ط: ١٤١٤هـ/ ص ١٠٦ - ١٠٨.
(٢) سيكولوجية العنف/ خالص جلبي ص ١٢٥.

أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

[القصص: ٥٦].

• • ويتكرر سوء الأدب مع هذا الجلبي مع الأنبياء، وتصوير دعوتهم تصويراً ماديًا، يلغي فيها الجهاد في سبيل الله فقال: "إن الجنس البشري بلغ من النضج، ما جعله يحقق الحلم النبوي القديم، في إلغاء مؤسسة العنف جملة وتفصيلاً. . والمؤسسات الدولية اليوم، هي نطف بدائية، لأفكار عظيمة نادى بها الأنبياء"(١).

وهذا افتراء على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد كانت دعوتهم بنص القرآن، أن يعبد الناس رب العالمين وحده، ولا يشركون به شيئًا.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وما من نبي إلا وقد مارس القتال أو أمر به، لتحقيق هذا الحلم وهذا الهدف. قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عمران: ١٤٦].
وسيرهم حافلة بذلك.

---

(١) سيكولوجية العنف ص ١٥١.

أما المؤسسات الدولية، فحاشا الأنبياء، أن تكون هي أحلامهم، وما هي إلا مؤسسات صليبية متسترة، قامت لأجل خدمة مصالحهم[١].

• وتبقى قضـية لمز الأنبيـاء، والتطاول على مقاماتهـم فهي فرية يهودية قديمة.

❁ ❁ ❁

(١) انحرافات خالص جلبي بقلم الشيخ سليمان الخراشي، شبكة الانترنت، ص ٢٣ - ٢٤.

الفصل الثالث

تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة

١- إعجابهم بالمعتزلة ودفاعهم عن آرائهم.

٢- خالص جلبي يمجد رؤوس الزندقة والضلال.

- كالحلاج ومحمود محمد طه والسهروردي.
- وآراء العلماء فيهم.

٣- تمجيد جودت سعيد لبعض الزنادقة القدماء:

- كابن المقفع والجاحظ.
- وآراء العلماء فيهم.

٤- تناقضات عجيبة: حزن على إعدام الزنادقة وفرح وشماتة بالعلماء والدعاة.

٥- موقف أهل السُّنة والجماعة من المبتدعة وأهل الأهواء.



الفصل الثالث

تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة

« ١ » الإعجاب بآراء المعتزلة

درج بعض الكتاب المعاصرين، على مدح كثير من الشخصيات المنحرفة في تاريخنا الإسلامي.

فقد مجدوا الخوارج، واعتبروا أنهم حزب العدالة والقيم والثورية، واعتبر بعضهم أن القرامطة هم الجناح اليساري في الحركة الشيعية، وأشادوا بثورة الزنج الطائشة[١].

• وقد مجدوا الفرق المنحرفة كالمعتزلة والخوارج. يقول الدكتور خالص جلبي: "وعندما استقر الأمر للعقل الكسيح، وطحن التيار العقلاني من المعتزلة وسواهم، أصبح التشكيك في عقيدة أي إنسان حتى اليوم، يكفيها أن تنسب لهذا الخط الفكري، ورسي مصير المعتزلة والاتجاه العقلاني في خانات الهرطقة.. وبقيت الساحة عقلاً من دون مراجعة، ونقلاً من دون عقل"[٢].

---

(١) ينظر: العصرانيون/ ص ٢٩٣ - ٣٠٠.

(٢) الشرق الأوسط من مقال لخالص جلبي.

•• والمعتزلة قوم فتنوا بالفلسفة اليونانية، فأولوا القرآن وكذبوا الأحاديث، التي تتعارض مع العقلية الوثنية اليونانية"(١).

• وقد حكموا العقل وقدموه على الشرع، فكذبوا ما لا يوافق العقل من الأحاديث الشريفة - وإن صحت - وأولوا ما لا يوافقه من الآيات الكريمة(٢).

• ولذلك أعجب أصحاب المدرسة العصرانية بآراء المعتزلة وطبقوا كثيراً منها، فقد مجدوا النظّام أحد رؤوس المعتزلة، يقول فيه البغدادي: "دخل الفساد على عقيدة النظّام، ممن خالطهم من الزنادقة والفلاسفة وغيرهم"(٣).

"واتخذ المعتزلة ومن شايعهم الجدل والمراء وسيلة للبحث في الدين، وذلك مخالف لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: **(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)**(٤) ثم تلا عليه الصلاة والسلام: ﴿**مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ** ﴿٥٨﴾﴾ [الزخرف: ٥٨].

---

(١) ينظر: السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي - المكتب الإسلامي - بيروت ١٤٠٢هـ.

(٢) التفسير والمفسرون: الشيخ محمد حسين الذهبي/ ص ٣٧٢ - ٢٧٣، الجزء الأول، دار الكتب الحديثة/ ١٣٨١هـ.

(٣) الفرق بين الفرق/ ٤٣، ١٢٧، مطبعة المدني بالقاهرة.

(٤) أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

« ٢ » تمجيد الزنادقة والشخصيات المنحرفة

الأمر الغريب أن هؤلاء العصرانيين يتطاولون على الصحابة وأئمة السلف، وبنفس الوقت يدافعون عن الزنادقة والمرتدين، باسم أنهم مجددون ولو في الكفر والردة، التي قتلوا بسببها، وبعد محاكمة عادلة لهم من قبل العلماء الثقات.

فقد اعتبر الدكتور خالص جلبي، أن الحلاج ومحمود طه والسهروردي، كانوا من المجددين، وقتلوا ظلمًا.

• يقول خالص جلبي، في مقال له في الشرق الأوسط بعنوان "باسم الشعب":

"كل المظالم وقعت باسم الشعب، وباسم الأمن، أنشئت أجهزة الرعب، وأنه تحت بعض الشعارات تغتال الحقائق، فباسم الشعب في بغداد حكم على الحلاج بضرب ألف سوط، ثم قطع لسانه وأطرافه".

"وإن المجتمع الإنساني لم يتقدم، بدون التجديد الدائم ... وكل فكرة جديدة عانت وكابدت، من ذلك إعدام سقراط في أثينا، وأعدم محمود طه في السودان بتهمة الردة"[١].

---

(١) الشرق الأوسط، عدد (٨٣٢٤)، في ١٢/٩/٢٠٠١م.

• **ومن ثم يعترض على إعدام محمود محمد طه فيقول:**

"وتحت شعار تطبيق الشريعة الإسلامية، أعدم محمود محمد طه في السودان لرؤيا رآها، فسرت أنها كفر، ولم ينفع في رفع الحكم عنه سنواته السبعون"[١].

ويقول أيضًا: " وفي عام / ١٩٧١م، أعدم "محمود طه" في السودان بيد الطغمة العسكرية بتهمة الردة، وكان الرجل مجددًا، ولم يكفر ولم يرتد، ولكنها السلطة التي لا تتحمل النقد والمعارضة"[٢].

• **حقيقة محمود محمد طه:**

قتل هذا الرجل مرتدًا، لأنه كان من مدعي النبوة .. وكان قد درس مذاهب الفلسفة والمنطق، وله دراسات عن مدرسة الجدليين.

استقال من عمله في الحكومة السودانية، وشكل الحزب الجمهوري، ولم ينضم إليه أكثر من عشرة أشخاص.

عمد إلى أسلوب المحاضرة في الشوارع والمقاهي، وكان يصدر

---

(١) سيكولوجية العنف: خالص جلبي، (ص٣٦).

(٢) الشرق الأوسط، العدد (٨٣٢٤) في ١٢/٩/٢٠٠١م.

منشورات باسمه، وذلك في أخريات عام / ١٩٤٥م[١].

• سجن محمود طه مرتين، وخرج بعد المرة الأولى بعد سنتين، وقد أطلق لحيته وأرسل شعر رأسه، وأوضح أن الحزب الجمهوري، حزب له رسالة، وهي رسالة الإسلام الحق، وأنه قد كُلّف بهذه الرسالة . . .

ثم سجن مرة أخرى لمدة سنتين، وقد أسقط عن نفسه الصلاة ولكنه نادى أتباعه بإقامة قواعد الإسلام.

وكان يتأول في تفسير القرآن الكريم، ويعتبر أن الآيات المكية هي أساس الشرع، وأن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لم يتمكن في مكة من تعليم المسلمين أسس هذه الآيات.

نفذ فيه حكم الإعدام لادعائه النبوة، وخروجه عن الإسلام، بعد أن أُمهل ثلاثة أيام ليتوب ويرجع عن كفره وضلاله، فلم يتب ولم يتراجع، وتم إعدامه في سجن الخرطوم[٢].

• وتوجد حقائق مذهلة عن أفكاره، ما كان يعرفها كثير من الناس، وقد بسطتها مجلة المجتمع في بعض أعدادها حيث بينت أن

---

(١) ، (٢) تتمة الأعلام للزركلي: محمد خير رمضان يوسف، مجلد ٢/ ص١٦٩ - ١٧٠، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٨هـ.

الجمهوريين في السودان، يرون أن محمود طه أفضل من النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه فصّل الرسالة الثانية، وهي بزعمهم أعلى مرتبة من الرسالة الأولى... وحكمت المحكمة على أربعة آخرين معه بالإعدام[1].

• ورغم هذه الردة عند محمود طه، فإن جلبي يدافع عنه ويعتبر أنه قتل مظلومًا، من قبل السلطة العسكرية، لأنها لا تتحمل النقد والمعارضة.

• ويتجاهل الطبيب خالص، ما كتب عن محمود طه وردته وأفكاره:-

- من ذلك: "موقف الجمهوريين من السُّنّة النبوية"[2].
- وكتاب "الردة ومحاكمة محمود محمد طه"[3].

---

(١) مجلة المجتمع في عددها «٧٠٣»، في ١٥/٧/١٤٠٥هـ، والعدد «٧٠٥» في ٢٩/٧/١٤٠٥هـ.
(٢) موقف الجمهوريين من السُّنّة النبوية، لشوقي بشير، طبع مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامي، عام ١٤٠٨هـ.
(٣) الردة ومحاكمة محمود طه: تأليف المكاشفي طه الكباشي، دار الفكر الخرطوم ١٤٠٨هـ.

الحلاج:

هو الحسين بن منصور المتوفى عام / ٣٠٩هـ، كان جده مجوسيًا، عرف عند الفقهاء أنه زنديق، وكان يتعاطى السحر والشعوذة.

كان الحلاج من أكبر دعاة الحلول، وامتزاج الخالق بمخلوقاته، تعالى الله عما يقول هذا الزنديق علوًا كبيرًا.

• فمن شعر الحلاج قوله[١]:

مزجت روحك في روحي كما — تمزج الخمرة في المال الزلال

فإذا مسَّك شيء مسني — فإذا أنت أنا في كل حال

• ومن شعره أيضًا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا — نحن روحان حللنا بدنا

• يروى أن الحلاج قتل بالعراق، بعد أن ادعى النبوة حينًا، والألوهية حينا آخر، وأقر بكتاب منسوب إليه بهذه التهم. قال ابن تيمية رحمه الله: "الحلاج قتل على الزندقة التي ثبتت عليه، مما يوجب قتله باتفاق المسلمين. ومن قال إنه قتل بغير حق، فهو إما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير، ج١١/ ١٣٢ - ١٣٤/ دار الفكر - بيروت.

منافق ملحد، وإما جاهل ضال"[١].

• • ورغم كل ذلك، فإن خالص جلبي يرى: "أن الحلاج قتل مظلومًا، وأعدم في بغداد بعد أن قطع لسانه وأطرافه"[٢].

• • وقد أشاد خالص جلبي بالشهاب السهروردي أيضًا:

واعتبر أن إعدامه كان تجاوزًا. يقول: "ربما حدثت تجاوزات، حيث قضى السهروردي نحبه بفتوى أيام صلاح الدين الأيوبي"[٣].

• ومعروف أن السهروردي كان حلوليًا، من أصحاب وحدة الوجود كالحلاج.

يقول ابن كثير - رحمه الله - : "وكان الشهاب السهروردي مبتدعًا يخالف في معتقدة وآرائه حملة الشرع، فصلبه السلطان الظاهر في حلب "بأمر من والده السلطان صلاح الدين" بعد أن شهر به"[٤].

***

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج ٣٥/ ص ١٠٨.
(٢) الشرق الأوسط، عدد «٨٣٢٤»، في ١٢/٩/٢٠٠١م.
(٣) جريدة الرياض، العدد «١١١٠٥»، في ١٩/١١/١٩٩٨م.
(٤) البداية والنهاية لابن كثير، ج١٣/ ص٥.

«٣» تمجيد جودت سعيد لعدد من الزنادقة أيضًا:

كان الشيخ جودت معجبًا بابن المقفع والجاحظ أشد الإعجاب وذلك لكثرة قراءاتهما، حسب مفهوم الشيخ للقراءة، يقول جودت سعيد: "إن الإنسان يتصاغر أمام من هو أقرأ منه... أجل إن من يقرأ أكثر ينل أكثر، إنه قانون الله "من يعمل سوءاً يجز به".

ثم يقول: "وإن مجرد إلقاء نظرة على تاريخ العلماء في العالم يبين لك أن القراءة الدائمة هي دأب العلماء".

"انظر مثلاً كتاب كليلة ودمنة، وما وضع في مقدمته من الجهود التي بذلت في تحصيل هذا الكتاب... ففيه معلومات عالمية، محجوزة لا يفرج عنها إلا بعد سنوات تطول أو تقصر حسب رؤى أصحابها"[(١)].

ثم يقول: "وإذا كان لي من نصيحة أثيرة أقدمها للشباب، الذي تعلق الأمة عليه آمالها، فهي أن يتطلعوا إلى مصادر للعلم غير المصادر التي كنا نستقي منها"[(٢)].

• ثم يقول أيضًا: "ويزداد الإنسان إعجابًا بأقوال ابن المقفع حول

---

(١) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد، ص ٢٦ - ٢٩.

(٢) المرجع السابق/ ص ٢٩.

الملك "السياسة"، وأنه إما ملك دين، أو ملك عقل، أو ملك هوى... " ويقول: "هذا هو النظر التاريخي العلمي الأخلاقي"[١].

• ومما يذكره جودت سعيد: "أن من يقرأ أكثر نيل أكثر وأن الإنسان يتصاغر أمام من هو أقرأ منه".

وفيما تقدم مغالطة كبيرة، إذ ليست القضية هي من هو أقرأ؟ ولا عدد الكتب التي تمت قراءتها، فربما تكون القراءة فيما لا يجدي نفعًا، ولا يفيد علمًا، ولربما كان منهم من عناه القرآن أنه "كالحمار يحمل أسفارًا". فكثرة القراءة لا تجيز للشيخ أن يمجد الملاحدة كفلاسفة اليونان، ولا الزنادقة كابن المقفع.

• قال ابن عبد الهادي: "ما رأيت كتابًا في زندقة إلا وابن المقفع أصله.. "[٢].

• وقد ساهم ابن المقفع بنشر الثقافة الفارسية. يقول عنه ابن النديم في الفهرست، وكان معاصرًا له: "كان ابن المقفع، يعتني بكتب المانوية، ونقل إلى العربية منها كتبًا، خص بالذكر منها كتابه "ديانة مزدك".

---

(١) السابق/ ص ١٤٤.

(٢) لسان الميزان: لابن حجر العسقلاني، ج٣/ ٤٤٩.

• وقال الخليفة العباسي المهدي: "وما وجدت كتاب زندقة؟ إلا وأصله ابن المقفع"(١).

• **ويشيد جودت سعيد بالجاحظ أيضًا يقول:** "والجاحظ له مقام في الحضارة الإسلامية، يتألق نجمه على مرّ الزمن.. كان يتذوق مع آيات الكتاب: آيات الآفاق والأنفس... وهو وإن كان إمامًا في الأدب، إلا أنه صاحب مذهب في العقيدة أيضًا"(٢).

ويقول: "كانت وفاته تحت ركام الكتب التي تهدمت عليه، إنه شهيد الكتاب والقراءة، لقد كان قارئًا بمستوى حضاري إنساني عالمي، ولكتبه طعم خاص وذوق معين، وذلك لعالميته في القراءة ولإنسانيته في الثقافة"(٣).

• **أخي القارئ:** إليك أقوال أهل العلم في الجاحظ، الذي جعله جودت أسوة له، وزعم أنه صاحب عقيدة. قال ابن حجر العسقلاني: "كان الجاحظ من أئمة البدع". ويقول أبو العيناء: "كان الجاحظ قدريًا".

• وقال الخطابي: "كان الجاحظ يرمى بالزندقة".

(١) وفيات الأعيان، ٢/ ١٢٥، طبعة: وستنفلد.
(٢) اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد ص ٣٠ - ٣١.
(٣) السابق ص ٣١.

• وقال ابن حـزم عنه: "كان أحد المـجّان الضـلال، غلب عليه الهزل".

• وقـال ثعلـب: "كـان كـذابًا على الله وعلى رســوله، وعلى الناس"[١].

• وقال الذهبي: "العلاّمة المتبحر المعتزلي، أخذ عن النظّام"، وقال أيضًا: "يظهر من شمائل الجاحظ أنه يختلق"[٢].

•• يلاحظ أن هناك ارتباطًا كـبيرًا بين أفكار الجـاحظ وأفكار جودت سعيد، وخاصة فيما يتعلق بأفكار القدر والاعتزال المبثوثة في كتبهما.

***

(٤) تناقضات عجيبة:

بينما كان خالص جلبي يدافع عن الزنادقة والمرتدين، ويحزن لإعدامهم، نراه يشيـد بما سمـاه (المحاكمـة العادلة)، التي حكمت على "سليـمان الحلبي"، الطالب الأزهري الذي اغـتال قـائد الحملة الـفرنسـية بمـصر الجنرال "كليبر"، خليفة نابليون حكمت عليه بالإعدام.

---

(١) لسان الميزان: ج٤/٤٠٩، لابن حجر العسقلاني.

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي، ج١١/٥٢٦.

انظر إلى إشادته بعدل المحكمة وقوله: "انظر إلى النظام القضائي البديع، واستيفاء الوقائع، وجمع الأدة قبل إصدار الحكم... كل ذلك في غياب مطبق لأي صورة من صور العدالة الحديثة والقضاء الجديد، واستقلال القضاء ونزاهته"(١).

• وها هو الطبيب خالص يهاجم الدعاة والعلماء ويشمت بإعدامهم، يقول في مقال له بعنوان: "كيف تنشأ الأساطير": "أفضل طريقة لدخول عالم الأساطير أن يختفي صاحبها إما على حبل المشنقة كما حصل مع سيد قطب، أو غابات بولوڤيا كما حصل (مع غيڤارا). وأفكار سيد قطب في الظلال والمعالم لا تناقش لأن صاحبها هو الشهيد(٢).

• ويتشفى الجلبي بسجن ابن تيمية لأنه لم يتجنب العنف في خصوماته وقد مر معنا هجومه على السلطان محمد الفاتح، والقائد المجاهد صلاح الدين الأيوبي، لأنهم جاهدوا في سبيل الله، وقاتلوا أعداء الإسلام.. في ساحات المعارك، من الروم

---

(١) جريدة الرياض، العدد (١٠٤٨٩) في ٤/ ١١/ ١٤١٧هـ.

(٢) مقتطفات من مقال لخالص جلبي في الشرق الأوسط، في ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٢م.

والصليبيين، وخالفوا منهج الاستسلام واللاعنف كما يفهمه جلبي وشيخه جودت سعيد.

• هذا وإن الولاء والبراء من أوثق عرى الإيمان . قال صلى الله عليه وسلم: (أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله)[(١)].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾ [الممتحنة: ١].

***

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة/ للألباني رحمه الله، حديث رقم «١٧٢٨».

«٥» موقف أهل السُّنة من المبتدعة وأهل الأهواء

لقد وقف علماء أهل السُّنة من المبتدعة موقفًا حاسمًا فردوا عليهم، وبينوا انحرافاتهم، وحذروا الناس من الجلوس إليهم، حتى لا تتشرب القلوب ببعض شبهاتهم، وحتى يحفظ المسلم وقته وعمره من أن يضيع فيما لا ينفعه في آخرته، وكي لا يتحمل وزر غيره، ممن يضلون بسماعهم أو قراءتهم لما ينشر من الشبهات.

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل: ٢٥].

• وقد حذر الله عز وجل - المؤمنين من حضور المجالس التي يخاض فيها بالباطل فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

• أما من كانت لديه القدرة على رد الشبهات وتفنيد الباطل وفضحه للناس، فإن الأمر حينئذ يختلف، ويصبح في سماع الباطل مصلحة لمعرفة من وراءه، والرد عليه، وفضحه للناس وحمايتهم من خطره وشبهاته(١).

---

(١) ينظر: موقف السلف من نشر لشبهات أهل البدع، للشيخ عبد العزيز الجليل بحث في مجلة البيان العدد «١٧٨» جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ.

• وذلك منهج أئمة السلف الذي صنفوا كتب الفرق، وبينوا انحرافاتهم عن المنهج الحق، وحسبنا في ذلك قول الإمام أحمد بن حنبل الذي قيل له: "الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك، أو يتكلم في أهل البدع، فقال: "إذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، وهذا أفضل".

• وقال ابن تيمية رحمه الله محذراً من أهل البدع: "ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسُّنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين... ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب، فإن هؤلاء إذا استولوا، لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فيفسدون القلوب ابتداءً"(١).

• ولابد من حماية الشريعة بعدم توقيرهم. قال الإمام الشاطبي (رحمه الله): "إن توقير صاحب البدعة مظنة لمفسدتين تعودان بالهدم على الإسلام:

إحداهما: التفات العامة والجهال إلى ذلك التوقير.

---

(١) الفتاوى لابن تيمية، ج٢٨/ ص ٢٣١.

الثانيـة: يكـون كالحـادي المحرّض له على انتـشـار الابتداع في كل شيء[١].

•• وقال الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - عند تفسير الآية الكريمة: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [الأنعام: ٦٨].

"ولقد حذر السلف الصالحون من مـجالسة أهل الأهواء أشد مما حذروا من مجالسة الكفـار، إذ لا يخشى على المؤمن من فتنة الكافر كما يخشى عليه من فتنة المبتدع، لأنه يحذر من الأول مالا يحذر من الثاني لأنه يأتيه من مأمنه"[٢].

• أما ما جاء عن الـسلف - رضي الله عنهم - من التشديد على أهل البـدع وعدم الـسماع منهـم، فالروايات في ذلك كـثيـرة، ومن أشهرها مـوقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من صـبيغ بن عسل وهو رجل من تميم قدم المدينة، وكـان عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابـه القرآن، فبلغ ذلك عمر - رضي الله عنه - فبـعث إليه، وقد

---

(١) الاعـتصـام للإمام الـشاطبي، ج١/ ص ١١٤. وينظر: مـقـالاً لسليمـان الخضير في مجلة البيان/ عدد ١٥٦/ بعنوان «كيف نتعامل مع المبتدعة».
(٢) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا، ج٧/ ص ٥٠٦ - ٥٠٧.

أعد له عراجين النخل، فلما دخل عليه وجلس قال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله صبيغ، قال عمر: وأنا عبد الله عمر، وأومأ عليه، فجعل يضربه بتلك العراجين، فما زال يضربه حتى شجه وجعل الدم يسيل عن وجهه، قال: حسبك يا أمير المؤمنين: فقد والله ذهب الذي أجده في رأسي"[١].

• فما أحوجنا في هذه الأيام إلى عراجين كثيرة، تزيل ما في رؤوس المبتدعة والمتطاولين على كتاب الله وسنة رسوله، وعلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأقوال السلف ومواقفهم في هذا الشأن كثيرة ومعروفة، فهل بعد كتاب الله وسنة رسوله، ومواقف سلفنا الصالح من كلام أو اجتهاد لمجتهد، يرى فتح الباب لأهل الأهواء ليقولوا باطلهم بحرية؟!.

• ومما يؤسف له اليوم، أن يفسح المجال للأفكار المنحرفة، وأقوال المبتدعة، والعلمانيين، في المجلات وشبكة الإنترنت حتى في المواقع الإسلامية، بحجة حرية الفكر والنقاش الحر، حتى أضحت تلك المنابر طريقًا للاختراق الثقافي العلماني والبدعي، وسلمًا لتزيين الباطل وتلميع رموزه ودعاته، وفي هذا مخالفة لكتاب

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة، ج٤/ ٧٠٣، اللالكائي.

الله وسنة رسوله. ومنهج السلف الصالح، رضي الله عنهم[١].

وإن فتح باب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن لا يعني أن تفتح الأبواب لكل فكر دخيل ورأي سقيم، يتطاول على عقيدة الأمة وثوابتها، بل الواجب الشرعي يقتضي نصرة الحق، ورد الباطل وكشف زيفه.

كما أن ذلك لا يعني قمع المخالف والتسلط عليه - كما يزعم بعضهم - ولكن لابد أن تحفظ الأمة بسياج من العلم والتقوى بحمايتها من شبهات أهل الأهواء، وأحابيل أهل الزيغ والضلال[٢].

• فالرأي الآخر الذي ينبغي أن تفتح له الأبواب، هو الرأي الاجتهادي الذي يسوغ فيه الاختلاف عند علماء الأمة، وهو الرأي الذي يبنى على الدليل والبرهان، وقواعد الاستدلال العلمي، أما الرأي الآخر الذي يتجاوز ثوابت الأمة، والتمرد على أصولها وعقيدتها، فحقه الهجر، ويجب الرد عليه وكشف انحرافاته[٣].

• هذا ومن العدل: ذكر ما لهم من صواب وقبول الحق إذا جاء من أحد منهم. قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: "اقبلوا الحق من

---

(١)، (٢) مجلة البيان، العدد (١٧٨)، من مقال للشيخ عبد العزيز الجليل بإيجاز يسير.

(٣) السابق/ للشيخ عبد العزيز الجليل.

كل من جاء به، وإن كان كافرًا أو فاجرًا، قالوا: كيف نعلم أن الكافر يقول الحق؟ قال: (على الحق نور)[١].

❁ ❁ ❁

(١) منهاج السُّنة لابن تيمية، ج٢ ص ٣٤٢.

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله ذي الفضل والنعم، والصلاة والسلام على الرسول الأمين، صاحب الرسالة الخاتمة، الذي تركنا على المحجة البيضاء، فلا يزيغ عنها إلا هالك.

وعلى آله وصحبه البررة، ومن تمسك بسنته إلى يوم الدين.

وبعد: -

فقد كان تطوافنا طويلاً في أبواب هذا البحث وفصوله، وقفنا خلاله على متاهات عجيبة مريبة، ينادي بها أصحاب هذه المدرسة المادية العصرانية، **وتتلخص في المنطلقات التالية**: -

١- **التزامهم بالمناهج الفلسفية**، وانبهارهم بفلاسفة الغرب سواء كانوا وثنيين أو من اليهود والنصارى، مع فتنة عجيبة بحضارة الغرب المادية، ومناداة لتطبيق تلك الحضارة في ديار المسلمين، دون مراعاة لتراث أمتنا وأصولها العقدية، بل نادوا بدولة عالمية، تذوب فيها الأديان والأعراق والأجناس، وبالديمقراطية على الطريقة العلمانية، متجاوزين النصوص الشرعية بالتأويل غير المقبول، أو التعطيل العجيب، متطاولين على من يقف في طريقهم، متهمين إياه بالجمود والتخلف، وضيق الأفق، مع

تعريض دائم، وشتم مستمر، لتراث أمتنا وسيرة كبار علمائها.

٢- **تبنيهم لآراء الفرق الضالة كالمعتزلة والقدرية،** فقدموا العقل على النقل، وقالوا: إن الإنسان يخلق أفعاله، وأن مشيئة الله لا تكون إلا بعد تحقيق مشيئة الأفراد.

ونادوا بحتمية السنن، وكان شعارهم: سنن تغيير النفس والمجتمع، باقتطاع جزء من آية هنا أو هناك مع تفسيرها بعيدًا عن سياقها في كتاب الله، مخالفين ما قاله علماء التفسير الثقات قديمًا وحديثًا.

وقد تبين لنا فساد ما قالوا في فهمهم لآيات القرآن، وفساد منهجهم في التعامل مع الوحي، والمنهج الأصولي في تحليل النص، الذي أوصلهم إلى إلغاء قدسية النص الشرعي، لأن النص لا يكون عندهم قطعي الدلالة إلا بدعمه بدليل مادي خارجي !!.

فهم يرون أن الوحي والنبوة قد انتهى دورهما، واستبدلوا ذلك الدور بقراءة التاريخ والسنن الكونية، وزعموا أن نصوص الكتاب والسُّنة لا تزيدهم إلا فرقة واختلافًا لأنها قابلة للتأويل، فأولوا آيات القرآن بما يخدم بدعتهم.

"أما التأويل الشرعي فله شروط: ألا يخالف معلومًا من الدين بالضرورة، وأن يكون تأويله سائغًا، له وجه مقبول في اللغة. .

وأنه لا يقصد معارضة الشريعة" .

٣- **تبنى دعاة هذه المدرسة نظرية داروين في أصل النشوء والخلق**، وتحمسوا لها بشكل عجيب، وأخذوا بآراء المدرسة الوضعية المادية لصاحبها الفيلسوف الفرنسي "أوغست كانت"، كما أنهم اعتمدوا مقررات علماء الاجتماع والفلسفة، وعلم النفس كنتائج نهائية، **وأشادوا بأساليب التغيير لدى الماركسية**، وأعجبوا بالنتائج التي توصلت إليها الشيوعية في ميادين التطبيق، متناسين بُعْدها عن الفطرة السوية، ومآسيها التي نكبت بها البشرية، ناهيك عن إلحادها وكفرها.

٤- **قولهم بانتهاء النبوة**، وإلغاء مصدر المعرفة الذي تقوم عليه، وإحلال البدائل محل النبوة، من ذلك: السنن الكونية والواقع المادي الخارجي، والتاريخ العام وأحداث الكون "أي آيات الأنفس والآفاق" وأخذوا برأي (كانت) والمدرسة المادية، في أن فترة النبوات تمثل مرحلة طفولة البشرية، وقالوا: إن تلك المرحلة المتخلفة، كانت الشوارع فيها قذرة، والأكواخ فقيرة تفوح الروائح الكريهة منها، ولا تجد فيها حبة أسبرين واحدة؟!!.

وقد اعتبروا أن (نبي الله نوح عليه السلام) قد فشل في مهمته، كما

فشل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مهمته بمكة والطائف، ونجح بها في المدينة، رغم أنه لم يذهب إليها على ظهر الدبابات والمدرعات !!.

وجاءوا بمفهوم جديد للإيمان والتوحيد، فاعتبروا أن العلم هو التوحيد، والجهل هو الشرك، وأنكروا مفهوم الردة، واعترضوا على إقامة الحد على المرتدين. ودافعوا عن حرية الإنسان في تغيير دينه دخولاً في الإسلام أو خروجًا منه.

٥- **دعوتهم إلى مذهب اللاعنف، الذي أوصلهم إلى تعطيل مفهوم الجهاد المسلح**، والمناداة بإلغاء تسلح الجيوش العربية والإسلامية، واعتبار أن الجهاد هو الجهاد الفكري فقط، وأن غاية الجهاد، تتمثل في رفع الظلم عن الناس مسلمهم وكافرهم، فكان قتال أمريكا في صربيا والعراق نوعًا من الجهاد، وحولوا مفهوم الصيام والحج إلى تدريب المسلمين على السلم واللاعنف، ودروس لتعطيل شعيرة الجهاد.

ويعتقد دعاة هذا التيار أن زمن الحروب قد انتهى، لأن الردع النووي أوقفها، والدول الراقية اعتبرت بنتائج الحروب، أما الدول المتخلفة ودول العالم الثالث، فمازالت تتبنى العنف الغبي!! ومن

هذه الدول: أفغانستان والعراق والصومال.. ومنها فلسطين، ولذلك لابد من إلقاء السلاح، والتفاهم السلمي مع الأعداء.

وهؤلاء يتناسون ما تفعله إسرائيل مع أهالي فلسطين، وما تفعله الدول الراقية (بمفهومهم) في مهاجمة العراق هذه الأيام، وإلقاء أشد القنابل والصواريخ (فتكًا) على السكان الآمنين في بغداد والبصرة والموصل، وقد بلغت جيوشهم أكثر من ثلث المليون حتى الآن.

• وهم يدعون أهالي فلسطين والعراق إلى استقبال الأعداء بالورود والرياحين، على طريقة غاندي البوذي وميرزا غلام أحمد القادياني.

وإنها لفكرة خيالية، لا توجد إلا في عقول دعاتها بعيدة عن الواقع البشري.

٦- **الهجوم على التاريخ الإسلامي، وتشويه الفترات المشرقة فيه،** كفتوحات بني أمية في المشرق وفي الأندلس، وفتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح، الذي شبهه جلبي بشارون وستالين، وانتصار المسلمين في ملاذكرد على يد السلطان (ألب أرسلان)، مع شتمهم وتطاولهم المستمر على

معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما وعلى خلافة بني أمية، وكذلك صلاح الدين الأيوبي وألب أرسلان، لأنهم يؤمنون بالعنف وقد وصلوا إلى السلطة عن طريق القوة !! فهم يشبهون هتلر وموسوليني على حد زعم الجلبي.

كما تطاولوا على الصحابة والسلف، متبعين منهج الفرق الضالة، كالمعتزلة والرافضة والسبئية والخوارج، وقد وصموا من يتبع السلف بالآبائية وضيق الأفق.

- أما الزنادقة فقد مجدوهم ودافعوا عن انحرافاتهم كالحلاج والسهروردي ومحمود محمد طه، رغم محاكمتهم العادلة ومناظرة العلماء لهم، وبيان ردتهم.

٧- وعمومًا تتلخص دعوتهم:

بأنهم يسعون إلى تكوين مجتمع متحضر؟! على طريقة الغربيين، وإلى التغيير خارج شمولية الإسلام وعدله، ولا نجد في دعوتهم سعيًا إلى تحكيم شرع الله، ولا تأكيدًا على صفاء العبادة لله سبحانه وتعالى، ولا دعوة واضحة إلى الخلق القويم المنبثق عن العقيدة الإسلامية. . . يريدون الوصول إلى الإنسان الكوني بلا هوية، والمتحضر صاحب الأناقة حسب تعبيرهم.

أخي القاريء

قد تستغرب هذه النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث، ولك الحق في ذلك، لأني عانيت طويلاً خلال قراءتي وبحثي هذا، وكنت أصاب بالدهشة كلما وقفت على مصادمة واضحة للنصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة، ومما يزيد دهشتنا أن دعاة هذه المدرسة يتحدثون باسم الإسلام والتجديد، والحرص على مصلحة هؤلاء المسلمين المتخلفين، الذين لم يلتفتوا إلى أساليبهم القويمة في التغيير واكتشاف سنن تغيير النفس والمجتمع - حسب زعمهم- .

• هذا وكلي أمل أن يعود هؤلاء إلى منهج الكتاب والسُّنَّة وترك مناهج الفلاسفة بانحرافاتهم وترهاتهم، فقد سبقهم إلى هذا أئمة أعلام "كالجويني والغزالي والأشعري وغيرهم". رجعوا إلى منهج السلف في اعتماد الحديث النبوي والسُّنَّة المطهرة، وتركوا منهج علماء الكلام وآراء الاعتزال وأقوال الفلاسفة.

• وختامًا أسأل الله الكريم رب العرش العظيم، أن ينفعني وإخواني المسلمين بما نسمع وبما نقول، وأن يرزقنا الإخلاص والصواب، ويهدينا الصراط المستقيم.

وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❁ ❁ ❁

أهم المصادر والمراجع

القرآن الكريم

«أ»

١- استخلاف أبي بكر الصديق: تأليف د. جمال عبد الهادي/ نشر دار طيبة للنشر والتوزيع/ الرياض/ ١٤٠٥هـ.

٢- إسرائيل كما عرفتها: د. أحمد شوقي الفنجري/ دار الأمين للنشر، القاهرة ١٩٩٥م.

٣- الإسلام وأصول الحكم: الشيخ علي عبد الرازق/ ط/ ١٩٧٢م.

٤- الإسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي- مطبعة دار الكتب المصرية/ ١٩٣٦م.

٥-الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين/ نشر دار الرسالة بمكة المكرمة/ ١٤١٣هـ.

٦- الإسلام على مفترق الطرق: د. محمد أسد. ترجمة عمر فروخ.

٧- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني/ نشر دار الكتاب العربي - بيروت.

٨- الاعتصام: للإمام الشاطبي - تحقيق: سليم الهلالي.

٩- الأعلام للزركلي: - نشر دار ابن حزم - بيروت / ١٤١٨هـ.

١٠- أعلام الموقعين: ابن قيم الجوزية - طبع مكتبة ابن تيمية.

١١- الإنسان كلاً وعدلاً: جودت سعيد - دار الفكر المعاصر / بيروت / ١٩٩٣م.

١٢- اقتصاء الصراط المستقيم: تأليف ابن تيمية رحمه الله - نشر مكتبة المعارف بالرياض.

١٣- اقرأ وربك الأكرم: جودت سعيد / ط٢ / دار الفكر المعاصر. بيروت / ١٤١٤هـ.

١٤- أمريكا وغطرسة القوة: قدري قلعجي: ط١/ ١٩٩٢/ دار الكتاب العربي.

١٥- أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني/ ط١/ دار طيبة - الرياض/ ١٤٠٥هـ.

«ب»

١٦- البداية والنهاية: لابن كثير- طبعة دار الفكر - بيروت/ ١٩٧٨م.

١٧- البيروستيريكا: غورباتشوف/ نشر دار الفارابي.

«ت»

١٨- تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

١٩- تاريخ الدولة العثمانية: علي حسون - نشر المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.

٢٠- تجديد الفكر الديني: الدكتور محمد إقبال/ طبعة القاهرة/ ١٩٥٥م.

٢١- التحريف المعاصر في الدين: عبد الرحمن بن حبنكة الميداني/ نشر دار القلم.

٢٢- تربية الأطفال في رحاب الإسلام: محمد الناصر وخولة درويش/ ط٤/ عام/ ١٤١٩هـ/ دار السوادي للنشر/ جدة.

٢٣- التربية السياسية في المجتمع المسلم: خالد أحمد الشنتوت/ دار البيارق. سنة/ ١٤٢١هـ.

٢٤- تسديد الإصابة فيما شجر بين الصحابة: ذياب بن سعد آل حمدان الغامدي. مكتبة المورد/ ١٤٢٣هـ.

٢٥- تفسير القرآن العظيم: لابن كثير- طبعة دار الكتب العلمية.

٢٦- التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبي-ط١/ دار الكتب الحديثة عام/ ١٣٨١هـ.

٢٧- التلمود شريعة إسرائيل: ترجمة ظفر الإسلام خان.

٢٨- التيارات الفكرية والعقدية في بلاد الشام في النصف الثاني من القرن العشرين: تأليف: محمد فاروق الخالدي/ نشر دار المعالي-١٤٢٣هـ.

«ج»

٢٩- جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر القرطبي/ دار الكتب العلمية - بيروت.

٣٠- جاهلية القرن العشرين: للأستاذ محمد قطب- دار الشروق/ ١٤٠٢هـ.

٣١- جدلية القوة والفكر والتاريخ: خالص جلبي - نشر بيروت ودمشق/ ١٤٢٠هـ.

«ح»

٣٢- حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة: د. جميل عبد الله المصري/ نشر دار أم القرى/ عمان/ ١٤٠٩هـ.

٣٣- حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد - داره الفكر المعاصر/ بيروت/ عام/ ١٤١٤هـ.

٣٤- الحركات المناهضة للإسلام: د. محمد يوسف النجرامي/ دار الفكر/ عام/ ١٤٠٠هـ.

٣٥- حكومة العالم الخفية: شيريب سبيريدوفيتش/ ترجمة مأمون سعيد/ دار النفائس/ ١٩٩٠م.

٣٦- الحياة الدينية عند العرب: محمد الناصر وخوله درويش/ نشر دار عالم الكتب/ الرياض/ ط١/ ١٤١٧هـ.

٣٧- الحياة السياسية عند العرب: محمد الناصر/ ط٢/ ١٤١٤هـ - مكتبة السُّنة بالقاهرة - ودار الجيل - بيروت.

«خ»

٣٨- خصائص التصور الإسلامي: سيد قطب-نشر الاتحاد الإسلامي للمنظمات الطلابية/ ١٣٩٨هـ.

«د»

٣٩- درء تعارض العقل والنقل: لابن تيمية/ تحقيق د. محمد رشاد سالم/ ط١ "١٣٩٣هـ.

«ذ-ر-ز»

٤٠- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة: لابن بسام. تحقيق د. إحسان عباس/ دار الثقافة/ بيروت/ ١٣٩٩م.

٤١- الردة ومحاكمة محمود طه: المكاشفي طه الكباشي: دار الفكر/ الخرطوم/ عام/ ١٤٠٨هـ.

٤٢- زاد المعاد: لابن القيم الجوزية/ دار الفكر/ ١٣٩٢هـ.

٤٣- الزلزال العراقي: خالص جلبي - مركز الراية الأندلسية/ ١٤٢٤هـ/ جدة - دمشق.

«س»

٤٤- السنن الإلهية في الشريعة الإسلامية: د. عبد الكريم زيدان/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤١٩هـ.

٤٥- السُّنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: د. مصطفى السباعي/ ط٣/ المكتب الإسلامي-بيروت/ ١٤٠٢هـ.

٤٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة محمد ناصر الدين الإلباني/ ط٣/ ١٤٠٣هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت ودمشق.

٤٧- سير أعلام النبلاء: للإمام الذهبي/ دار الرسالة - بيروت.

٤٨- سيكولوجية العنف: خالص جلبي. نشر دار الفكر المعاصر - بيروت . ودار الفكر دمشق/ ١٤١٩هـ.

«ش»

٤٩- شرح أصول اعتقاد أهل السُّنة: اللالكائي - دار طيبة/ الرياض.

٥٠- شرح صحيح مسلم: للإمام النووي. طبعة رئاسة البحوث العلمية بالرياض/ ط٢.

٥١- شرح العقيدة الطحاوية: لابن أبي العز/ المكتب الإسلامي/ بيروت/ ١٤٠٨هـ.

٥٢- شروط النهضة: مالك بن نبي . ترجمة عبد الصبور شاهين - إصدار ندوة مالك بن نبي.

«ص»

٥٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته: ناصر الدين الألباني/ ط٢/ المكتب الإسلامي بدمشق وبيروت/ ١٤٠٦هـ.

٥٤- صحيح سنن أبي داوود: تحقيق الألباني - طبعة عام/ ١٤٠٩هـ/ المكتب الإسلامي/ بيروت.

٥٥- صب العذاب على من سب الأصحاب: محمود شكري الألوسي-مكتبة أضواء السلف/ الرياض/ ١٤١٧هـ.

«ض»

٥٦- الضعف المعنوي وأثره في سقوط الأمم: د. حمد بن صالح السحيباني. عام/ ١٤٢٣هـ كتاب المنتدى.

«ع»

٥٧- العالم في عام: حسن قطامش. كتاب مجلة البيان/ عام/ ١٤٢٣هـ.

٥٨- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب: محمد الناصر/ ط٢/ مكتبة الكوثر - الرياض/ ١٤٢٢هـ.

٥٩- العمل قدرة وإرادة: جودت سعيد/ دار الفكر المعاصر/ بيروت/ ط٢/ ١٤١٤هـ.

٦٠- علماء ومفكرون عرفتهم: محمد المجذوب/ دار الاعتصام/ ط٣.

«ف»

٦١- فاستقم كما أمرت: عبد العزيز الجليل/ دار طيبة - الرياض/ ١٤٢٣هـ.

٦٢- فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٦٣- فتاوىٰ الدكتور محمد خليل هراس/ دار طيبة - الرياض/ ١٤٢٣هـ.

٦٤- فتاوىٰ ومسائل ابن الصلاح: دار المعرفة-بيروت.

٦٥- فتح الباري: لابن حجر العسقلاني.

٦٦- فقدان التوازن الاجتماعي: جودت سعيد - دار الفكر المعاصر-بيروت/ ١٩٩٣م.

٦٧- فقه الشورىٰ: د. علي بن سعيد الغامدي/ دار طيبة - الرياض/ ١٤٢٢هـ.

٦٨- الفكرة الأفريقية الآسيوية: مالك بن نبي - دار الفكر - دمشق.

٦٩- في ظلال القرآن: سيد قطب - دار الشروق/ ط٩.

٧٠- في مهب المعركة: مالك بن نبي - دار الفكر - دمشق/ ١٩٨١م.

«ك»

٧١- الكامل لابن الأثير - دار الكتاب العربي - بيروت / ١٤٠٠هـ.

«م»

٧٢- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: أبو الحسن الندوي. طبعة الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الإسلامية/ ١٤٠١هـ.

٧٣- مجموع فتاوى ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن القاسم/ طبعة المغرب - مكتبة المعارف/ الرباط.

٧٤- المدخل إلى علم التاريخ: د. محمد بن صامل السلمي - دار الوطن للنشر/ الرياض/ عام/ ١٤٢٣هـ.

٧٥- مذاهب فكرية معاصرة: الأستاذ محمد قطب/ نشر دار الشروق/ ١٤٠٣هـ.

٧٦- مذهب ابن آدم الأول: جودت سعيد - نشر دار الفكر المعاصر/ بيروت عام/ ١٤١٤هـ.

٧٧- المرأة بين الجاهلية والإسلام: محمد الناصر وخولة درويش/ دار الرسالة بمكة-١٤١٣هـ/ ط١.

٧٨- مشكاة المصابيح: تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني-المكتب الإسلامي/ ١٣٩٩هـ.

٧٩- معالم في الطريق: الأستاذ سيد قطب-دار الشروق-١٩٨٠م.

٨٠- المغني: لابن قدامة المقدسي. مكتبة الرياض الحديثة/ ١٤١٠هـ.

٨١- مفاهيم ينبغي أن تصحح: الأستاذ محمد قطب/ ط١/ دار الشروق/ ١٤٠٨هـ.

٨٢- مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد. طبع دار الدعوة/ الكويت/ ١٤٠٥هـ.

٨٣- المنتقى من منهاج الاعتدال: للحافظ الذهبي-مكتبة دار البيان-دمشق.

٨٤- منهاج السُّنة لابن تيمية - رحمه الله - .

٨٥- منهج الإسلام في الحرب والسلام: د. عثمان جمعة ضميرية-مكتبة دار الأرقم-الكويت-ط١/ ١٤٠٢هـ.

٨٦- منهج التربية الإسلامية: الأستاذ محمد قطب. ط٧/ دار الشروق.

٨٧- منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير: د. فهد الرومي-مؤسسة الرسالة/ ١٤١٤هـ.

٨٨- الملل والنحل: للشهرستاني-مكتبة الأنجلو المصرية-١٩٧٧م.

٨٩- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: لابن تيمية، دار الكتب العلمية-بيروت، طبعة أولى/ ١٤٠٥هـ.

٩٠- موقف الجمهوريين من السُّنة النبوية: شوقي بشير - طبع مكة لمكرمة - رابطة العالم الإسلامي/ ١٤٠٨هـ.

«ن»

٩١- النزعة المادية في العالم الإسلامي: عادل التل-نشر دار البينة/ ١٤١٥هـ.

٩٢- نظرات في التاريخ الإسلامي: د.عبد الرحمن الحجي-دار الاعتصام - ١٩٧٥م.

٩٣- نفح الطيب للمقري: تحقيق د. إحسان عباس - دار صادر بيروت/ ١٣٨٨هـ.

٩٤- النقد الذاتي: د. خالص جلبي - نشر مؤسسة الرسالة، ط٢/ ١٤٠٥هـ.

«و»

٩٥- واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب - مؤسسة المدينة للصحافة - الطبعة الأولى.

٩٦- وذكرهم بأيام الله: محمد العبدة - كتاب المنتدى لعام/ ١٤٢٣هـ.

٩٧- وفيات الأعيان: لابن خلكان - تحقيق د. إحسان عباس/ دار الثقافة - بيروت / ١٩٧٧م.

«ي»

٩٨- اليهود والتحالف مع الأقوياء: د. نعمان السامرائي/ كتاب الأمة - قطر - عام / ١٤١٢هـ.

٩٩- **المجلات**:

- مجلة البيان: المنتدى الإسلامي - لندن.
- الجديد في عالم الكتب والمكتبات: دار الشروق/ بيروت.
- مجلة المجلة: لندن.
- المجتمع: الكويت.
- مجلة المعرفة: وزارة المعارف - الرياض.
- الجندي المسلم: الرياض.

١٠- **الصحف**

- جريدة الرياض بالرياض.
- الشرق الأوسط : لندن.
- العالم الإسلامي: مكة المكرمة.
- جريدة المدينة: جدة.

- جريدة الاقتصادية: لندن والرياض.

- جريدة الأهرام: القاهرة.

- جريدة اللواء: الأردن.

- جريدة الأنباء: السودان.

- المحايد: لندن.

١٠١- شبكة الإنترنت العالمية.

❁ ❁ ❁

الفهـــرس

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

❁ ❁ ❁

صدر للمؤلف الكتب التالية:

• **سلسلة الجاهلية في الشعر الجاهلي** - دراسة مقارنة:

١- الحياة السياسية عند العرب.

٢- أخلاق العرب بين الجاهلية والإسلام.

٣- المرأة بين الجاهلية والإسلام: بالاشتراك مع زوجته السيدة خولة درويش.

٤- الحياة الدينية عند العرب: مشترك أيضًا.

• **الكتب التربوية:**

١- تربية الأطفال في رحاب الإسلام: مشترك.

٢- تربية المراهق في رحاب الإسلام: مشترك.

٣- تربية الموهوب في رحاب الإسلام: مشترك.

• **كتب أخرىٰ:**

١- تأملات في رحاب البيت العتيق: دروس من السيرة في العهد المكي.

٢- بدع الاعتقاد وأخطارها علىٰ المجتمعات المعاصرة.

٣- الجهـاد والتجـديد في القرن السادس الهـجري: عـهد نور الدين وصلاح الدين.

٤- العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التقريب.

٥- علمـاء الشام فـي القرن العـشـرين: وجهـودهم في يقظة الأمـة والتصدي للتيارات الوافدة.

• الشيخوخة: دراسة شرعية اجتماعية نفسية/ تحت الطبع.

❁ ❁ ❁